الطريقة الرفاعية

الطـريقـة الـرفـاعـية

إعـداد

عبدالرحمن دمشقية

الناشـــر
الدار المصرية السعودية
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

اسـم الكتاب : الطـريقـة الـرفـاعيـة
اسـم المؤلـف : عبدالرحمن دمشقية
سنـة النشـــر : **2004م**
رقـم الإيـداع : **2004 / 00000م**
الترقيم الدولى : **0 - 00 - 6122 - 977**

الناشـــر
الدار المصرية السعودية
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة
E-Mail: egysaudi@link.net

الإدارة : (16) عمارات العبور شارع صلاح سالم ـ مدينة نصر القاهرة ـ الدور الثالث
تليفاكـــــس : 02/2621365
محمـــــــول : 012/3140315

الكتـاب الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد :

فيأتي هذا البحث ضمن سلسلة دراسات عن التصوف، هو الثالث من بينها بعد كتاب «النقشبندية» وكتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله .

ولقد أرجأت إخراج هذا البحث لأربع سنوات خلت، وذلك لظروف اضطرارية ثم تمكنت بفضل الله تعالى على إتمامه في الآونة الأخيرة .

وهذه الدراسات إنما تهدف إلى إعادة النظر في هذه الطرق وتقييمها ودراستها دراسة جادة وهادفة، بعيدا عن ضجيج المهاترات الكلامية التي لا ينتج عنها إلا المزيد من الإصرار والمعاندة وذلك إيمانا مني بضرورة بيان حقيقة هذه الطرق باللين والرفق والموعظة الحسنة كما قال تعالى: {⑤⍉♌ ⑤☼⌧✞⍓◆ ✦⌖⑨✡❞⌖✠ ⊙⌖⑩❄✈✡⌀⇨ ⑩✡⑥⍉⌧◻⍉✡✋◻⍉⌖➔✡ ➔⌖⑤⍉⌧◻✋⌖↑♊✡⍝⑤⍉⌧◻⍉ ⑤⍉⌧◻♋⌖⌖⍉❄⌖➔☙✡}،

وإذا كنا مأمورين أن نجادل أهل الكتاب بالموعظة الحسنة فأهل كتابنا أولى بذلك منهم .

لقد بقيت هذه الطرق تؤكد بحزم وثبات أن أحوالها وأفعالها وأذكارها مطابقة للسنة المطهرة، وجاءت هذه الدراسات لتتحقق من مدى صدق هذه الدعوى ولتكون بمثابة إجراء اختباري لصحتها. وهذا لا شيء يعيبه .

فإن الناس يدعون ما يشاءون غير أنه بالتمحيص والتجربة يميز الخبيث من

الطيب، ويفترق الحق عن الباطل.

وهذا منهج قرآني علمنا الله تعالى إياه بقوله: {⑤☺✞⌖♒✡⑧⇨ ⑤⍉⌧❍✞⚐⑥▪⇧ ⑤✞☺⮌ ▦❄♦❷❄♊✞❍⚘♦↑⑤❖☠ ⑤✞☺⮌ ▦❄⌖♦⌀↑⌧☼↑⑤☠❖ ⇩③⑤♈⌖❍❄❄❄❄➚✞⑥ ➔⌖⇙♦➢⬄ ①⌖② ▦♦☝❷◘❄⌖❄❍♦↑⮌⌖ ☽▤☎ ➔⌖⌧✞⌀⌖❄♊• ⑤⍉⌧✞⚐○✡▦∩⌖ ⮌⌖❄⌖❷⌖❄❄❍⌖✈⑥ ∩✡♈ ⑤⍉⌧✞⚐○✡▦∩⌖ ⮌⌖❄✞”❄⌖⎇♊⌧✞⅄⌖∩⌖✈ ⑤⍉⌧❍⌖❄⑨♊⌧✡➚✠➢⬄♐ ⑤⍉⌧✞⚐○✡▦∩⌖ ✧⌖•⌖⌀❄♦↑⑤☠ ⑤⍉☜♦⇨☺ ⑤⍉⌧▤⍉❄❄⁋○✡⑩✡✇×➚ ➔⌖⌧✞”⌖♊⌧✞⅄⌖∩⌖✈ ☽▤☎} (العنكبوت). والفتنة هنا بمعنى الاختبار والامتحان، وهي من الضرورة بمكان، وذلك حتى لا يتأتى لأحد أن يدعي دعوى هو فيها كاذب.

وهذا البحث الثالث في سلسلة دراسات التصوف يتناول الطريقة الرفاعية الواسعة الانتشار في بلاد الشام وتركيا ومصر ولبنان وغيرها، ويفصل مبادئها وميولها ومراتبها واتجاهاتها.

ولقد حرصت فيه على الإكثار من النقل عن مصادر الطريقة الرفاعية وكتبها المعتمدة، والتي عرفت بالطريقة وشيخها ومبادئها. وتجنبت الاستطراد وكثرة التعليق ما استطعت وذلك حرصا مني على إحاطة القارئ الكريم بأكثر قدر ممكن مما تضمنته كتب الطريقة. فان أفضل ما يتيح للقارئ التعرف على مبادئ الرفاعية إنما يكون من خلال ما دونه المنتسبون إليها وكتبوه .

فإنني متيقن بأن كثيرين ممن ينتسبون إلى الطريقة الرفاعية لا يعلمون الكثير عن الحقائق المثيرة التي أنقلها عنهم هنا علمها، وستفاجئهم هذه النصوص المنقولة عنهم. لكن هذه المسألة الجادة تتطلب الرؤية والإنصاف وعدم الميل إلى أحد

الخصمين قبل سماع ما عند كليهما.

لقد سافرت خصيصا من أجل البحث عن كتب الرفاعية والتعرف على أمكنتها بغية قراءتها ووجدت بغيتي في دار الكتب المصرية بالقاهرة التي وجدت فيها ما يزيد على الستين كتابا غالبيتها من تصنيف محمد أبي الهدى بن حسن وادي الصيادي الذي كان مستشارا دينيا ومرجعا أعلى للخليفة العثماني السلطان عبد الحميد رحمه الله .

لقد حرصت في بحثي هذا على عزو النقول إلى أصحابها وبيان أسماء كتبهم وأرقام صفحاتها ومكان وتاريخ طبعها لأسهل الطريق على كل من أراد التثبت من صحتها ولئلا يرتاب مرتاب ولكي أتيح المجال بسهولة تامة أيضاً لأتباع الطريقة الرفاعية فيكتشفوا حقائق عن الطريقة طالما حرص شيوخها على صرفها عنهم .

لقد فعلت ذلك إيمانا مني بأنه ليس في ديننا شيء مكتوم وإن الدين واضح لا لبس فيه ولا غموض، وليس فيه عوام لا يجوز اطلاعهم على علم «الحقيقة» أو خواص يمتازون به عن غيرهم. إذ أن مشايخ الطريقة يكتمون وجه طريقتهم الحقيقي عن عامة الناس ويوهمونهم أنهم ليسوا على المستوى الذي يؤهلهم لسبر أغوارها لأن ذلك فوق طاقتهم وأنه لم يحن الأوان لمكاشفتهم بأسرارها بعد .

ولقد بدأت حركة هذه الفرقة الرفاعية تنشط في لبنان بواسطة عبد الله الحبشي الأفريقي الذي عمل ويعمل على بث التصوف في السلوك والتعطيل والتكفير واعتساف نصوص الكتاب والسنة في مجال العقائد .

ولقد لقيت مرة واحدا من المنتسبين إلى الطريقة الرفاعية وهو من أتباع الحبشي أيضاً وكان يخبرني بأن شيخه علم ما يزيد على الثلاثة آلاف تلميذ أحكام الشريعة ومبادئها لكنه لم يعلم أسرار الطريقة الرفاعية إلا لثلاثة من خواص تلاميذه.

فقلت: هذا فيه تفضيل للحقيقة الصوفية على الشريعة النبوية، فإنه إذا كانت

مبادئ الطريقة نافعة للمسلمين في دينهم ودنياهم فما وجه كتمانها؟ لقد اعتبر الإسلام كتم العلم من الذنوب التي يعاقب الله عليها، قال رسول الله ε: **[من كتم علما لجم يوم القيامة بلجام من نار]** (1).

واعتبر أيضاً من الخيانة قال تعالى: {✈⌖➲💣☼⌧⑤ 💻⑥⌖⍻ ⌖➲⬆💧⮝💧❷🖫⍻⌖▦ ⌖⍝▦✡○🏲✞⌧✍⑤ ⌖⍝✡⍻ ⑥⌖❄⍉🖫⌧⌖◎←✞☺⑤ ✍⍝✡⍻ ◆✓⌖•💧↗🖫⌧✍⑤⌖➔ ♑❶✋❄⌖❄⍉✈⌧”❄❄⌖⑨🖫⌧✍⑤ 💧↖❄✋❄❄⌖✈❄⍉✈⌖”⌖❄⑩ ⑥⌖⍻ ✡•♊⌖❄⑩ ♑✉⑧✋❄❄⌖❷✡⍻🖫⌧✍⑤ 🕐 ♑▪⑥🏲✞⍉✡⌫⌧ 💧➢💧↗💧⍉⌖🖎🖫⌫⌖❄▦ ⇨✌💣☼⌧▭✋❄❄✞⌧🏱➔☹☼⑤ 💧➢💧↗💧⍉⌖🖎🖫⌫⌖❄▦⌖➔ ☺⇨💧✍⑤ ↗×⬆💧⍉✡🖎✋❄🏲✞⌫⌧✍⑤} (البقرة 159).

وليست مبادئ الطريقة الرفاعية أعز وأفضل من أحكام الشريعة حتى يكتفي بتعليمها لثلاثة فقط في حين يعلم الشريعة لآلاف من البشر !!

وهل في كتم العلم تفاخر وهو في الحقيقة من تعاليم الباطنية الذين يعتبرون أنفسهم أنهم يمرون الآن بمرحلة الستر والكتمان فيكتمون الدين حتى عن عوامهم ويشترطون عليهم لمعرفته أن يبلغوا سن الأربعين.

** هدية لكل مسلم

وبما أنهم قد أخفوا عنك أسرار هذه الطريقة أيها الأخ المسلم، وأوهموك أن في كتمها عنك: خيرا لك؟

---

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (296) والحاكم 1 / 102 وصححه ووافقه الذهبي.

فها أنا أجعل مبادئها وأصولها واتجاهاتها بين يديك، أمنحك خالص خبرتي في هذه الطريقة كي تكون على بينة من أمرك أن فكرت في الدخول إليها يوما، فلقد جبت المناطق شرقا وغربا أبحث عن كتب الرفاعية وأحصيها لأوفر عليك عناء البحث والتنقيب، ووضعت بين يديك أرقام صفحات كتبهم فيما لو أردت التحقق من صدقي فيما نقلته عنهم، وذلك من باب «ولكن ليطمئن قلبي» وما عليك بعد ذلك إلا أن تختار لنفسك ما يناسب نجاتك يوم الدين .

لقد كنت ولا أزال ولله الحمد أشعر بالغيرة على أهل السنة في بلدي، وأرى بعيني الخطر يحدق بهم من أئمة الضلال الذين جاءوا ليفسدوا عليهم دينهم وليخلطوا لهم السنة بمزيج سم البدعة، وليجعلوا من الاستغاثة بغير الله توحيدا، ومن تكفير المسلمين عقيدة.

وإنني أشعر أن واجبي تجاههم عظيم وهو أن أبين وأظهر الحقيقة لهم، وألا أكتم الحق أو أسكت عن الباطل فان المنهج الإسلامي يحرم ذلك على من أوتي شيئا من الفهم، فانه كلما ازدادت العلوم والمفاهيم كلما ازدادت المسؤولية أمام الله عز وجل. فإن من الناس فئام من «لا يعلمون الكتاب إلا أماني» وهم في حاجة ماسة إلى من يرشدهم ويعلمهم ويحذرهم. وإلا فالسكوت عن الحق والسكوت على الباطل ليس إلا سلامة في الدنيا، وهو عذاب وحساب في الآخرة: وهل يقاس عذاب الدنيا بعذاب الآخرة. قال تعالى: { ➔⌖✡⌖⓿⌖ ⑤⌫⌧⓿✞⚐⑥▪✠ ⓿⌖⌖ ▦⌖⌀♦↑⌀♦ ⇩③⑤⌖⌖⓿❄❄❄❄↗✞⑥ ⑩✡⑥⌫⌫⇨☺✡ ⮳⌖❄⑥✠⚈⭘⌖⑤💻 ⑤☹☼➔⭘✡⇗⇨ ⏲ ⑤⌫⌫✡⇨☺ ♋⌖⮳⌖⌀⇨ ⮳✡❷⌶❄❄⓿⌖➔⌖ ⑤⌫⌧⓿✞⚐⑥▪✠ ⌀✞⮳⌖○⌖⑤⑦♑ ⑤⌫⌫✡⇨☺} (العنكبوت 10).

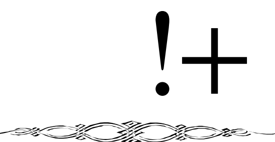
وفي الختام أشير إلى أن همي كان منصبا في هذا البحث في التوصل إلى الحق

واستبانته ومن ثم تبيينه لمن يريدون معرفة أسرار هذه الطريقة ويريدون بإخلاص وتجرد: معرفة الحق من الباطل. ولست أدعي فيه العصمة والإحاطة بكل المطلوب. غير أني التمس من القارئ الكريم إن كانت لديه أية ملاحظة أو وجد خطأ أو زللا أو مخرجا صحيحا لعبارات توهم معنى باطلا، أو نقضا لواقعة تاريخية أو إساءة من قريب أو من بعيد ـ فضلا عن إمام من أئمة المسلمين ـ : إذا كان وجد شيئا من ذلك أن يرسل إلى اقتراحاته ووجهة نظره على العنوان التالي:

المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ ص. ب 7612 رمز بريدي 11472

نسأل الله تعالى السداد في القول والعمل وأن يجعل أعمالنا صالحة على وفق ما شرعه لنا وأن يجعل النوايا خالصة لوجهه الكريم إنه سميع عليم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



سـيرة الرفاعي من خـلال كتـب المؤرخين (٭)

ولد الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله في أول سنة خمس مائة.

قال الذهبي في ترجمة الرفاعي: «الإمام القدوة، العابد، الزاهد، شيخ العارفين، أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي ثم البطائحي، وكان قدم أبوه من بلاد المغرب وسكن البطائح في قرية « أم عبيدة» وهي قرية من قرى واسط بالعراق. ثم توفي وأم أحمد حمل به [2]. ونشأ في كنف خاله الشيخ منصور الزاهد الذي اعتنى به. وكان شافعيا تفقه قليلاً [3] على مذهب الشافعي رحمه الله. قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: « ويقال انه حفظ التنبيه في الفقه على مذهب الشافعي ».[4]

قال الذهبي: «وكان كثير الاستغفار عالي المقدار، رقيق القلب، غزير

(٭) مصادر نقترح الرجوع إليها في ترجمة الشيخ أحمد الرفاعي وهي:
سير أعلام النبلاء 21 / 77، العبر في خبر من غبر 3 / 75، البداية والنهاية 21 / 312، الكامل في التاريخ 11 / 200، مرأة الزمان لابن الجوزي السبط 8 / 370، الوافي بالوفيات 7 / 219، وابن العماد في الشذرات 4 / 259، وابن خلكان في الوفيات 1 / 171.

(2) انظر سير أعلام النبلاء 21 / 77 80 .

(3) هذا اللفظ للذهبي كما في كتابه العبر في خبر من غبر 3 / 75 ط: دار الكتب العلمية 1985 تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول .

(4) البداية والنهاية لابن كثير 21 / 312.

الإخلاص، وكان متواضعا يجمع الحطب ويجيء به إلى بيوت الأرامل. وكان يقول: « أقرب الطريق الانكسار والذل والافتقار، تعظم أمر الله، وتشفق على خلق الله ـ وتقتدي بسمة رسول الله ع ». وكان لا يجمع بين لبس قميصين، ولا يأكل إلا بعد يومين أو ثلاثة أكلا، وإذا غسل ثوبه ينزل في الشط كما هو قائم يفركه، ثم يقف في الشمس حتى ينشف، وإذا ورد ضيف يدور على بيت أصحابه يجمع الطعام في مئزر.

وقيل أحضر بين يديه طبق تمر، فبقي ينقي لنفسه الحشف يأكله، ويقول: أنا أحق بالدون، فاني مثله دون .

وكان لا يقوم للرؤساء، ويقول: « النظر إلى وجوههم يقسي القلب » .

توفي سنة ثمان وسبعين وخمس مائة في جمادى الأولى رحمه الله .

ثم إن الذهبي قال في كتاب العبر: «وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمة والذل والانكسار والإزراء على نفسه وسلامة الباطن ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات، وهذا: « ما عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان ». [5]

* مؤلفات الشيخ أحمد الرفاعي :

وقد نسبت إلى الرفاعي كتب ورسائل عديدة، فأما الكتب فنسب إليه كتاب البرهان المؤيد وكتاب حالة أهل الحقيقة مع الله، وهذان الكتابان يعتبران عند الرفاعية من أوثق ما نسب إلى الشيخ. فانهم يقولون عنه: « هذا الكتاب الذي عز شأن سبكه عن

(5) العبر للذهبي 3 / 75 .

المثيل، الذي جمعه من مجالس وعظه شرف الدين بن عبد السميع الهاشمي الواسطي، وقال شيخنا القوصي: ما قرىء هذا الكتاب ـ يعني البرهان المؤيد ـ على أهل مجلس إلا وظهرت لهم نفحات العرفان والإخلاص والتمكن ».[6]

أما كتاب « حالة أهل الحقيقة مع الله » فانه ليس له مستند يصحح نسبته إلى الشيخ أحمد رحمه الله، وإنما أكد أتباعه صحة نسبته إليه، وهذا الكتاب عبارة عن تعليقات على الأحاديث التي يأتي لها بأسانيد خاصة بأهل البيت عن النبي ε لم تذكر في كتب الحديث كالبخاري ومسلم.

ويظهر منه عدم التضلع في علم الحديث حيث انه يذكر كثيرا أحاديث لم تصح مثل حديث « من ولد له ولد فسماه محمدا كان هو ومولوده في الجنة » وحديث: « نظر الولد إلى والديه عبادة » بل ويكثر أن يقول: « قال الله في بعض كتبه». [7]

ثم يعول على غرائب الإسرائيليات .

* النهي عن طلب الجنة والرضا بالنار :

وفي هذين الكتابين يميل إلى نقل حكم الصوفية وأقوالهم وقد ينقل من كلامهم ما لا يليق بالمسلم اعتقاده مثل تزهيد الناس في الجنة والنهي عن طلبها مثل أن ينقل عن إبراهيم قوله: « الهي إنك تعلم أن الجنة وما فيها لا تزن عندي جناح بعوضة بعد ما وهبت لي معرفتك ». وأن رابعة كانت تصف من يطلب الجنة أنه « أجير سوء ». [8] مع أنه يذكر أيضا نقيض ذلك في الكتاب نفسه [9] .

---

(6) أنظر المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية لأحمد بن عبد الرحيم الصيادي 65، وانظر خزانة الإمداد 64، وكتاب سواد العينين للشيخ عبد الكريم الرافعي .

(7) انظر كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله 139 و 153 و 131 .

(8) انظر كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله 21 و 71 و 72 73 و 76 و 84 .

وكذلك ينقل فيهما دعوة المحبين إلى الرضا بالنار وحمد الله على الدخول فيها يوم القيامة لأنها من قضاء الله! مثل قوله: أن الله أمر جبريل أن يخبر أحد العابدين أنه من أهل النار فلما أخبره خر ساجداً يشكراً لله ويقول: « لك الحمد يا مولاي على قضائك وقدرك حمدا يعلو حمد الحامدين ». [10]

وكذلك ينقل عنهم الاستهانة بها مثل قول أحدهم: « إلهي لا تدخلني في النار فإنها تصير علي بردا من حبي لك » [11].

وكذلك يتضمن مخالفات صريحة للتعاليم النبوية مثل أنه أورد حديثا لا صحة له يوبخ فيه النبي ε أحد الناس لأنه قبل ولده. [12] مع أن الثابت عنه ε عكس ذلك تماما .

هذا ما وجدته في الكتابين غير أنه ليس باليد ما يؤكد صحة نسبتهما إليه والله أعلم. ولعله أن يكون من الصحيح أن لا تصح نسبة ذلك إليه رحمه الله .

وهناك كتب أخرى جمعها المنتسبون إليه من بعده ككتاب «المجالس الرفاعية»، وكتاب «رحيق الكوثر» وكتاب «حكم الرفاعي ». وذكر الزركلي بعضا من أبيات الشعر التي نسبت إليه وقال أن الصحيح أنها ليست له [13].

ومهما يكن من أمر فان هذه الكتب أن ثبت صحتها فان فيها ما يضاد كثيرا من المبادئ السنية الصحيحة بما يتنافى واعتقادات من انتسبوا إليه من بعده ممن

=

(9) انظر كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله 52 ـ 53 .

(10) انظر حالة أهل الحقيقة مع الله 114 ـ 115 .

(11) انظر كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله 72 .

(12) انظر كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله 92 .

(13) الأعلام للزركلي 1 / 174 .

يستغيثون بغير الله، فإننا نجد في كتابه «حالة أهل الحقيقة مع الله» النهي عن الاستغاثة بغير الله مرات عديدة، فيذكر فيه مثلا أن الله غضب من أحد الزهاد لما أراد أن يستغيث بغيره وقال له: « أتستغيث بغيري وأنا الغياث؟ ».[14]

وكذلك كان موقفه من البدع أشد بكثير مما هو حال المنتسبين إليه اليوم، وكان يقول: « من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره لم يثبت في ديوان الرجال ».[15]

إذن فهذان الكتابان يظهران الرفاعي في شخصية تختلف تماما عن الصورة التي ترسمها كتب الرفاعية في ذهن القارئ .

إننا نجد الرفاعي هنا ينهى عن الاستغاثة بغير الله وعن الابتداع في الدين مهما كان قليلا إلى درجة أنه يروي عن أحد السلف توقفه عن أكل البطيخ لأنه لم يرو له أن السلف أكله :

فهل يتفق حاله هذا مع ما عليه المنتسبون إليه من بعده؟

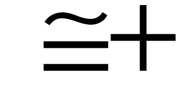
وهل التزموا ما كان يحث عليه من التقيد التام بالكتاب والسنة وترك بناء الدين على المنامات واستنباط أحكام الدين من المشاهدات المنامية وإن خالفت الأحكام الشرعية؟

فلنتابع قراءة الفصول القادمة فإنها تحكي الجواب على ذلك.

---

(14) حالة أهل الحقيقة مع الله 121 ـ 122 .

(15) الفجر المنير 63، الكليات الأحمدية 120 و 121، حكم الرفاعي 21، قلادة الجواهر 174، حكم الرفاعي 21، وانظر كتاب الأنوار القدسية 2 / 26 للشعراني.



سـيرة الرفاعي
من خـلال كتـب التـصـوف

ولد الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله في أول سنة خمس مائة.

تختلف سيرة الرفاعي عند الرفاعية تختلف اختلافا كبيرا عما نجده من سيرته في كتب المؤرخون وما على القارئ إلا أن يتابع ما أنقله عن كتبهم ليتأكد من ذلك.

* مولده وخلقته :

لقد سرى بين الصوفية اعتقاد أن الأنبياء والأولياء خلقوا من مادة متميزة على المادة التي خلق منها البشر.

فنجد عند السهروردي مثلا أن الطينة التي خلق منها البشر قد وطئتها قدما إبليس قبل أن يأخذها جبريل لتتكون منها المخلوقات.

بينما الطينة التي خلق منها الأنبياء والأولياء لم تمسهما قدما إبليس فبقيت زكية نقية.[16]

وأما أرواح الأنبياء والأولياء فإنها تختلف أيضا عن طبيعة أرواح البشر كما يراه الإمام الغزالي، حيث يصف أرواح الأنبياء والأولياء بـ« الروح الأمرية»

---

(16) عوارف المعارف 42 ـ 47 ملحق بكتاب إحياء علوم الدين.

وأرواح باقي البشر بأنها « الروح البهيمية ». [17]

وكانت هذه الأفكار مصدرا لباقي المتصوفة الذين غلوا في مشايخهم، حيث جعلوا لهم خلقة غير الخلقة المعهودة عند باقي البشر.

فنجد محمد أبا الهدى الصيادي الرفاعي يجعل روح الشيخ أحمد الرفاعي مركبة من خلاصة أرواح الأنبياء بل من نور وجه الله عز وجل.

فقد جاء في كتابه « قلادة الجواهر » أن الشيخ أحمد الرفاعي قال: « وحق العزيز سبحانه وتعالى: قبض العزيز جل جلاله من نور وجهه قبضة فخلق منها سيدنا المصطفى محمدا ε فرشحت فخلقني منها » [18] .

وجاء في كتاب الروض النضير أن الله أمر كل نبي أن يعطي شيئاً من روحه إلى الشيخ الرفاعي، فأجاب الأنبياء ربهم إلى ذلك، وأعطى كل منهم شيئا من روحه إلى الشيخ الرفاعي، فتكونت روحه من أرواحهم ومن روح جده المصطفى. [19]

وبهذه الأقاويل يعطون الشيخ الرفاعي ميزة في الخلق على عامة البشر ليكون من طينة الأنبياء والأولياء الخاصة. يلحقونه بمرتبتهم ويجعلونه مشابها لهم في الأحوال والأقوال والأفعال والمقامات.

ومن هنا نجد الصيادي يؤكد لنا بأن جميع أحوال الشيخ أحمد الرفاعي كانت مطابقة لحال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منذ ولادته إلى وفاته. قال :

(17) الأربعين في أصول الدين 195.
(18) قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر 133 ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الفجر المنير في بعض ما ورد على لسان السيد أحمد الرفاعي الكبير 8 ط: المطبعة العامرة ببولاق. مصر.
(19) الروض النضير 57 للشيخ عبد الرحمن بن حسين القرشي على هامش كتاب رياضة الإسماع للصيادي ط: التمدن. مصر.

«كان حال الشيخ الرفاعي طبق حال رسول الله ε وأوصافه موافقة في كل الشؤونات لأوصاف حبيب الله. وقد جرت عليه أحكام المطابقة والاضطرارية: كموت أبيه قبل أمه وهو حمل. وكتسميته «أحمد» وكنشأته في البطاح العربية. وكولادته في قرية حسن وإقامته بـ « أم عبيدة » بلدة جده وموته فيها وبينهما كما بين مكة والمدينة.

وكظهوره بين عرب جفاة. وكموت أولاده الذكور قبله [20] وكحصول الذرية له من بنتيه الكريمتين ». [21]

* الرفاعي وعقيدة ختم الولاية :

وذكر محمد أبو الهدى الصيادي أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر على أبي منصور البطائحي ـ خال الشيخ الرفاعي ـ وبشره أن الله سيرزق أخته بولد يأتي من بعده اسمه أحمد الرفاعي. يكون رأسا في الأولياء كما أنه ε رأس في الأنبياء. [22]

كذلك أمر النبي ε الشيخ علي الواسطي أن يعتني بالرفاعي، وأكد له بأنه: كما هو ε رأس في الأنبياء فكذلك يكون الرفاعي رأسا في الأولياء، وحذره من مغبة إهمال وصيته في الرفاعي لأن شأنه عند الله عزيز. [23]

وقد ضرب الصيادي مثلا لتفضيل الرفاعي على الأولياء فقال: « إذا ذكر الأنبياء فحدثوا عنهم، وإذا ذكر محمد ε فاسكتوا.

(20) هناك تعارض لدى الرفاعية حول إقطاع نسبه من أولاده الذكور سأبينه لاحقا.
(21) قلادة الجواهر 133.
(22) تنوير الأبصار 12 للصيادي، التاريخ الأوحد 109، الكنز المطلسم 65.
(23) قلادة الجواهر 28، 29، روضة الناظرين 128.

وإذا ذكر الأولياء فحدثوا عنهم، وإذا ذكر السيد أحمد الرفاعي فاسكتوا.[24]

ثم بلغ بهم الغلو في إطراء الشيخ الرفاعي رحمه الله أن جعلوه خاتم الأولياء كما أن محمدا ع خاتماً في الأنبياء وذلك جرياً على المشابهة التي بينه وبينه. فذكر الشيخ القرشي أن الله قد ختم بالرفاعي الولاية كما ختم بمحمد النبوة. [25]

وعقيدة ختم الولاية فكرة صوفية أول من تكلم بها الحكيم الترمذي وابن عربي وغيرهما من غلاة الصوفية، ثم أخذها المتصوفة عنهم ونسبها كل منهم لشيخه فنسبت بعد ذلك للشيخ عبد القادر الجزائري والتيجاني وغيرهما. وحقيقة الأمر أن خاتم الأولياء هو آخر مؤمن يبقى على هذه الأرض، وليست ولاية الله تنقطع بموت أحد هؤلاء المشايخ قبل مئات السنين من الآن، فان كل مسلم يؤمن بالله ويتقيه فهو ولي لله تبارك وتعالى.

ولهذا فان المفهوم الصوفي للولاية بعيد جدا عن مفهوم الإسلام لها.

* الرفاعي يخاطب أمه وهو في بطنها :

وجاء في كتاب الروض النضير أن الشيخ الرفاعي كان يخاطب أمه وهو في بطنها فيقول :

« يا أماه السلام عليك. فتقول: وعليك السلام يا ولدي. ما اسمك ؟

فيقول: اسمي أحمد.

ولقد سألها مرة ـ وهو حمل في بطنها ـ: ما تطلبين من الله؟

(24) قلادة الجواهر 30 ـ 31، التاريخ الأوحد 108.
(25) إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين 7 للشيخ أحمد الفاروثي، التاريخ الأوحد 108، قلادة الجواهر 46، 432، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية 90 للشيخ عز الدين الصيادي.

فقالت: الرحمة.

فقال: لها أسباب سبعة:

1ـ النية الصالحة. 2ـ الصلوات الخمس.

3ـ الإحسان إلى الفقراء. 4ـ صفاء الضمير.

5ـ حفظ اللسان من الغيبة. [26]

وكانت أمه تدخل على الشيخ أبي محمد الشنبكي وهي حامل به فيقوم لها إجلالا. فلما تكرر ذلك منه سئل عنه فقال: أنا أقوم إجلالا للجنين الذي في بطنها، فانه أحد المقربين إلى الله عز وجل وهو من أصحاب المقامات.[27]

* كيفية خروجه من بطن أمه :

قال صاحب كتاب الروض النضير: « ولما ولدته أمه خرج منها ويده اليمنى على صدره كما يفعل المصلي. ويده اليسرى يغطي بها عورته، وكلما رفعوا يده عن عورته أعادها ليغطي عورته.

وما أن خرج من بطن أمه حتى صار يحرك شفتيه، فأمر الشيخ منصور البطائحي بعض الحاضرين أن يقتربوا من شفتي الشيخ أحمد. فسمعوه يقول: سبحان الذي صوركم فأحسن صوركم. [28]

ولما ولدته أمه أبى أن يرضع، وما زال على ذلك حتى أتوا له بمرضعة تقية

(26) الروض النضير 15.
(27) قلادة الجواهر 25، روضة الناظرين للوتري ط: المطبعة الخيرية 1306 مصر جامع كرامات الأولياء 2 / 268 ط: دار صادر ـ بيروت.
(28) الروض النضير 17 ـ 18.

طاهرة، فكانت تجدد وضوؤها حالة إرضاعه.

ولما جاء رمضان أمسك عن الرضاع، وامتنع عن شرب الحليب نهارا إلا بعد الإفطار وبقي كذلك إلى بعد العيد. [29]

* شق الملائكة لصدر الرفاعي :

ومن قصة شق صدر النبي الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه أخذ الرفاعيون فكرة الرفاعي فذكروا عنه أنه قال لابن أخته « إبراهيم الأعزب »: « اعلم أني لما دعيت إلى هذا الأمر: حملت إلى قبلة هذا البلد، وشق صدري ملك من الملائكة المقربين، فأخرج منه شيئا مظلما وغسله بماء الحيوان من الرياء وسوء الخلق وكل ما للشيطان فيه نصيب، كل ذلك وأنا أنظر بعيني كما فعل برسول الله ε ». [30]

وهذه الحالة من الأحوال المطابقة لما حصل لسيدنا محمد ε غير أن المرء يتساءل: ما الغرض من حدوث مثل ذلك للرفاعي أليكون معصوما كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام؟ وأي أمر هذا الذي أخبر أنه « دعي إليه أهو النبوة أم الرسالة ؟ ».

إننا نجد عبارة أخرى بين كتب الرفاعية تحدد لنا ما هو هذا الأمر الذي دعي إليه. فقد جاء في كتاب « سواد العينين » أن الله قد رفع الشيخ الرفاعي إلى مقام القطبية والغوثية، وأنه من أجل ذلك ذهب إلى قبر النبي ε وتململ على عتبته وصار يقول: « العفو العفو » إلى أن أحاط به النداء من كل جانب « فاستقم كما أمرت».

---

(29) الروض النضير 15 ، 19، قلادة الجواهر 25، إرشاد المسلمين 30.
(30) قلادة الجواهر 141، الفجر المنير 8 _ 9 ط: العامرة ببولاق القاهرة.

[31]

إن مثل هذه الحادثة إنما وقع للنبي ε ضرورة لنبوته . فالعصمة من الزلل ومن كل ما للشيطان فيه نصيب إنما هو من ضرورات النبوة فما السبب في حصول مثل ذلك لغير النبي كالرفاعي؟

* صك بتحريم النار على الرفاعي وعلى كل ما تمسه يده :

ويدعي الرفاعية أن الشيخ الرفاعي كان بيده ورقة بيضاء فنادى أحد أتباعه وقال له: يا فلان تعال وأقرأ هذه الورقة قال: فقرأتها وهي مكتوبة بالنور.

قال الرفاعي: رأيت في المنام رسول الله ε فأعطاني هذه الورقة وقال: يا أحمد، هذه براءتك من النار. قال: فأخذت الكتاب فقرأته وإذا فيه مكتوب: براءة ابن أبي الحسن من النار، ثم انتبهت وإذا الكتاب بيدي ».[32]

ولم يقتصر الأمر عند ذلك الحد، بل ازداد ليجعل كل من مسته يد الرفاعي محرما على النار.

فقد ذكروا أن الله وعد الرفاعي أن كل من دخل قريته أو مس كفه لا تأكله النار ولا تضره. وحكوا عن الرفاعي أنه أمسك مرة سمكة وأعطاها إلى أحد مريديه ليشويها له فلم تنشو ولم تنضج وبقيت نيئة على حالها فتعجب المريد من ذلك فأخبره الشيخ الرفاعي أن السبب في ذلك أن الله تعالى وعده أن لا تضر النار شيئا مسته يده. [33]

---

(31) سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين 15_ 17.
(32) إرشاد المسلمين 82.
(33) بوارق الحقائق 229، إرشاد المسلمين 87، روض الرياحين 60.

* الرفاعي يبيع قصرا في الجنة :

وهذه قصة منسوبة إلى الشيخ الرفاعي مفادها أن الرفاعي قد باع رجلا قصرا في الجنة محدد المساحة لقاء شراء بستان في الدنيا.

قال محمد أبو الهدى الصيادي: « ونقل أن الشيخ جمال الدين الخطيب كان من أكابر أصحاب السيد أحمد الرفاعي وكان يريد أن يشتري بستانا لضرورة، فامتنع صاحب البستان عن بيعه إياه، فتشفع الشيخ جمال الدين إلى الرفاعي، فأتى رد الشفاعة من صاحب البستان (إسماعيل بن عبد المنعم) الذي قال للرفاعي: يا سيدي أن اشتريته مني بما أريد بعتك إياه.

فقال الشيخ: يا إسماعيل قل لي كم تريد ثمنه حتى أعطيك؟

فقال: يا سيدي تشتريه مني بقصر في الجنة؟

فقال الرفاعي: من أنا حتى تطلب مني هذا يا ولدي؟ اطلب من الدنيا.

فقال: يا سيدي شيئا من الدنيا ما أريد، فان أردت البستان فاشريها بما أطلب.

فنكس السيد أحمد الرفاعي رأسه ساعة، واصفر لونه وتغير، ثم رفع وقد تبدلت الصفرة إحمرارا وقال: يا إسماعيل قد اشتريت منك البستان بما طلبت.

فقال: يا سيدي اكتب لي خط يدك. فكتب له السيد أحمد الرفاعي ورقة فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اشترى إسماعيل بن عبد المنعم من العبد الفقير الحقير أحمد بن أبي الحسن الرفاعي، ضامنا على كرم الله تعالى قصرا في الجنة تجمعه حدود أربعة:

الأولى : إلى جنة عدن.　　الثانية : إلى جنة المأوى.

الثالثة : إلى جنة الخلد.　　الرابعة : إلى جنة الفردوس

وذلك بجميع حوره وولدانه وفرشه وستره وأنهاره وأشجاره، عوض بستانه في الدنيا. وله الله شاهد وكفيل.

ثم طوى الكتاب وسلمه إليه، وأوصى صاحب البستان المذكور أن يوضع الصك معه في كفنه إذا مات، ففعل أبناؤه ذلك، ولما دفنوه وجدوا صبيحة اليوم التالي وقد كتب على قبره « وقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا » (34).

ويتغنى الصيادي بهذه القصة بأبيات من الشعر (35) فيقول مخاطبا الرفاعي:

وبستان إسماعيل لما اشتريته　　بقصر وقد أرهنته الخط والختما

وذاك بدار الخلد في ساحة الرضا　　فصدقك المولى ووعدك قد تما

على أن الرفاعي قد ضمن الجنة لآخر مقابل عصفور يشتريه منه. فجاء في كتاب قلادة الجواهر أن واحداً من أصحاب الشيخ الرفاعي اصطاد عصفورا وشد برجله خيطا وعلقه، والعصفور يصيح من شدة الألم، فقام الشيخ أحمد الرفاعي والتمس منه خلاص هذا العصفور فأبى وقال للشيخ: « تشتريه مني؟

فقال الرفاعي: نعم، بكم هو؟

قال: بأن أكون بصحبتك في دار السلام، وأجوز معك بالسلام على الصراط.

قال الرفاعي: نعم.

فقال صاحبه: والله على ما نقول وكيل؟ قال: نعم.

---

(34) قلادة الجواهر 70 ـ 71، روض الرياحين 440 ـ 441، جامع كرامات الأولياء 1 / 296 ـ 297، الكواكب الدرية 214.

(35) ديوان الفيض المدي 122 - 123.

قال: اعهد معي. فعهد معه وخلص العصفور ».[36]

لقد اعتاد المتصوفة ذكر مثل هذه الحكايات التي يعدون فيها من شاءوا بدخول الجنة. ومثل ذلك أيضاً ما يزعمه متصوفة آخرون عن مشايخهم كالتيجاني القائل: « وعدني رسول الله ε أن كل من رآني يدخل الجنة وان كان كافرا ».[37]

وكذلك قول أحد أتباعه: « رأيت شيخنا التيجاني τ بيده حلة من، وقال لي: من رأى هذه الحلة دخل الجنة ». [38]

ولا شك أن الإسلام يأبى مثل هذه الأقاصيص التي تعلق الناس بغير الله وتجعل رجاءهم فيما عند المحتاجين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا وتقطع الرجاء فيما عند الغني الذي بيده الضر والنفع والثواب والعقاب لا بيد أحد سواه.

ونستطيع القول بأن صكوك ومواثيق دخول الجنة التي يذكرها المتصوفة عن مشايخهم قد سبقهم إليها النصارى، فقد اشتهر عن الكنيسة مثل هذه الصكوك المسماة « صكوك الغفران » والتي كانت تشبه في نصها هذا النص المنسوب إلى الشيخ الرفاعي. ولا يزال النصارى إلى اليوم يسخرون من مهزلة هذه الصكوك ويهزأون بسببها من الكنيسة، فليس للنصارى ولا للمتصوفة أن يتألوا على الله فيضمنوا الجنة لأحد من عباده. « أهم يقسمون رحمة ربك » أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب؟

* الرفاعي يمرض ويجوع فداء للآخرين :

(36) قلادة الجواهر 62.
(37) بغية المستفيد 216، الدرة الخريدة 1 / 80.
(38) رماح حزب الرحيم على حزب الرجيم 1 / 182.

أن فكرة تعذيب شخص فداء عن الآخرين قديمة تبنتها العديد من الديانات والمذاهب، وهي مشتهرة عند النصارى الذين زعموا أن المسيح عليه السلام تألم وتعذب من أجل الآخرين. وتعرف هذه الفكرة بمبدأ « الكفارة والفداء ».

والجدير بالذكر أن هذه الفكرة تسربت إلى أصحاب الطريقة الرفاعية الذين جعلوا شيخهم يتحمل البلاء والمرض نيابة عن الآخرين.

فقد ذكروا أن شيخهم مرض فقال: « أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته عنهم واشتريته بما بقي من عمري فباعني ». وكان يبكي ويقول: اللهم اجعلني سقف البلاء على هؤلاء الخلق. [39]

وكان يقول لخادمه يعقوب: « ما وجد أحد من الفقراء أذى إلا وجدت ألمه في قلبي.[40]

ورأى أحدهم حال الشيخ الرفاعي من الجوع والفقر فقال في نفسه: « أولاد المشايخ يركبون الخيل ويلبسون الناعم، والسيد أحمد لا يركب الخيل ولا يلبس المليح ولا يشبع من الطعام. فعلم الشيخ بما خطر في نفسه وقال له: يا ولدي استغفر الله مما خطر لك، فلو لم يجع سيدك ما شبع أحد من المسلمين، ولا ركب فرسا ولا حمارا ». [41]

* الرفاعي يذوب ويتحول إلى ماء :

ومن أعجب ما حكي عن الشيخ الرفاعي أنه كان يذوب كالرصاص ويستحيل

(39) إجابة الداعي في مناقب القطب الرفاعي 19 للشيخ إبراهيم البرنزحي، ط: المطبعة العامرة ببولاق مصر 1301.
(40) قلادة الجواهر 143.
(41) روضة الناظرين 59.

إلى ماء كلما جلس يتعبد الله تعالى.

فقد ذكر محمد أبو الهدى الصيادي أنه لما كان الله يتجلى على الرفاعي بالعظمة كان يذوب حتى يبقى بقعة ماء ثم تدركه الرحمة الإلهية فيجمد شيئاً فشيئاً حتى يعود بدنه إلى ما كان عليه فيقول لأتباعه: «لولا لطف الله ما عدت إليكم».[42]

وذكر الصيادي والنبهاني أيضاً أن الرفاعي خرج مع أحد مرافقيه (الشيخ سعيد) في الليل فوصلا إلى بستان، فقال له الرفاعي: قف ههنا حتى أرجع.

قال الشيخ سعيد: فوقفت مكاني حتى مضى من الليل شطره وهو لم يرجع. فمشيت على أثره لأعرف خبره، فإذا أنا بثيابه ملقاة على الأرض وعلى جانبه ماء، فجعلت أطوف يمينا وشمالا فلم أجده. فرجعت إلى موضعي وأنا مرعوب من ذلك إذ أقبل علي وأنواره تشرق، فسألته عن ذلك فقال: يا ولدي أنا كنت ذلك الماء الذي رأيته. نظرني العزيز سبحانه بعين اللطف فصرت كما ترى. يا سعيد لولا أن نظرني بعين اللطف لما رجعت إليكم أبدا ».[43]

ومثل هذه الأحوال نسبوها أيضا إلى غير الرفاعي، فقد ذكر الصيادي أن قوما جاءوا إلى الشيخ منصور البطائحي ـ خال الشيخ الرفاعي ـ فسألوه عن المحبة، فسكت ثم ذاب كما يذوب الرصاص قطرة بعد قطرة وهم ينظرونه حتى صار كالماء المائع.[44]

وقد أخبرني أحد من اجتمعت بهم ممن رجعوا عن هذه الطريقة أنه قرأ في أحد كتب الرفاعية أن سبب ذهاب إحدى عيني الشيخ الرفاعي: أنه كلما جلس للعبادة

(42) قلادة الجواهر 67، اجابة الداعي 14.
(43) قلادة الجواهر 81، جامع كرامات الأولياء 2 / 99.
(44) قلادة الجواهر 28، روضة الناظرين 22.

والذكر يذوب ويتحول إلى ماء، فكان يجلس في طست لئلا ينتشر هذا الماء فيضيع شيء من بدنه. فكان أن جلس في الطست مرة وتحول إلى ماء إلا عيناه فانهما بدتا وكأنهما كرتين، فدخلت ابنته ولعبت بإحداهما فعطبتها ومنذ ذلك الحين صار يرى بعين واحدة.

قال لي ذاك الأخ: فقلت في نفسي: أبلغت الخرافة في الدين إلى هذا الحد؟

قال: فأقبلت على الكتاب وما صح من السنة وخلعت عني أوهام التصوف.

* الرفاعي لا يأكل ولا يشرب :

ومما حكوه عنه من الكرامات أيضاً امتناعه عن الطعام والشراب لأيام وأسابيع وشهور، بل وربما سنوات.

فقد ذكر الصيادي أن الشيخ الرفاعي خرج إلى الحج ثم إلى المدينة. ومنذ خروجه من العراق إلى أن عاد إليها من الحج لم يأكل طعاما قط، ولم يتناول جرعة ماء واحدة.[45]

وذكر أيضاً أنه بقي مرة نصف نهار لم يشرب ماء فوجد قدحا على التنور وفيه ماء وسخ من غسل الأيدي. فقالت له نفسه: قد عذبتني نصف النهار بالعطش وتسقيني من هذا الماء الوسخ ؟

فلما رأى منها هذا العتاب ألقى القدح من يده وأقسم أن لا يذيقها الماء سنة كاملة، وفعل ذلك.[46]

(45) الكنز المطلسم في مد يد النبي لولده الغوث الرفاعي الأعظم 14، 18 المطبعة العلمية 1313 مصر.
(46) المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية: عز الدين الصيادي الرفاعي 74 مطبعة محمد أفندي 1305 القاهرة.

ومع عدم الاقتناع بأن يبقى إنسان شيئاً يسيراً بلا ماء، فان الظاهر أن سياق القصة مأخوذ من قصة أبي يزيد البسطامي مع الماء فانه لا اختلاف بين القصتين بتاتا. (47)

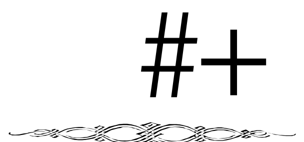
وذكروا مثل هذه الكرامات لغير الرفاعي: فالشيخ أبو رفاعة المهدي الرفاعي بقي أربعين يوما متتالية لا يأكل ولا يشرب بل ولا ينام. ومع ذلك كله لم يغب عن أداء ما افترضه الله عليه. (48)

وكذلك السيد ولي الله « السكران » أبو محمد اليعقوبي الرفاعي كان كثيرا ما يمكث الستة أشهر لا يأكل طعاما ولا يشرب ماء. (49)

ولقد ضرب الشيخ عثمان بن مروزة البطائحي الرفاعي الرقم القياسي في الامتناع عن الطعام والشراب، حيث بقي بلا طعام ولا شراب سبع سنين.(50)

فهل حصل مثل هذه الكرامة لنبي من الأنبياء فضلا عن أن تحصل لغيرهم؟

(47) انظر الرسالة القشيرية 14 للشيخ أبي القاسم بن هوازن القشيري ط دار الكتاب العربي.
(48) ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد 22.
(49) إرشاد المسلمين 117.
(50) جامع كرامات الأولياء 2 / 142.



أخلاق الشيخ أحمد الرفاعي

هذا ونجد في كتب الرفاعية حكايات مبالغ فيها عن أخلاق الشيخ وتواضعه وصبره فيها من المديحيات والمثاليات ما يثير التعجب. ولننقل عنهم شيئا من ذلك:

* الرفاعي يعرض نفسه للضرب :

فقد ذكروا أن الشيخ الرفاعي كان إذا علم أن الفقراء (يعني الصوفية) يريدون أن يضربوا أحدا من إخوانهم لزلة وقعت منه: يستعير الرفاعي منه ثيابه ويلبسها وينام في موضعه فيضربونه ويلقونه على الأرض ويركلونه بأيديهم وأرجلهم، فإذا فرغوا من ضربه واشتفوا منه يكشف لهم عن وجهه فيغشى عليهم لجهلهم أن المضروب كان الشيخ الرفاعي، فيقول لهم: ما كان إلا الخير، كسبتمونا الأجر والثواب. (51)

* التخلق بأخلاق الكلاب !!!

وذكروا أيضا أن أحد أتباع الشيخ الرفاعي دعاه إلى طعام فأجاب الشيخ الدعوة.

فلما وصل إلى بابه قال له ارجع. فرجع. ثم جاءه الثانية فدعاه فأجابه.

(51) قلادة الجواهر 55 ـ 56، جامع كرامات الأولياء 1 / 144 .

فلما وصل إلى بابه قال له ارجع. فرجع. ثم جاءه الثالثة فدعاه فأجابه .

فلما وصل إلى بابه قال له ارجع. فرجع. ثم جاءه الرابعة فدعاه فأجابه .

فأدخله الدار وفرش له وأجلسه ثم كشف عن رأسه وقال: يا سيدي إني استغفر الله مما جرى مني، فوالله ما رأيت أحدا على هذه الطريق الذي أنت سالكه.

فقال له الشيخ أحمد يا ولدي أتستكثر علي خصلة من خصائل الكلب؟.[52]

والقصة مقتبسة من الرسالة القشيرية ومن إحياء علوم الدين [53] ومحكية عن أبي عثمان الحيري الذي دعاه مريده وفعل به ذلك .

أن مما أجد لزاما علي أن أؤكده من خلال مطالعاتي لحكايات كرامات الصوفية عموما: أن متأخريهم يقتبسون فنون الكرامات عن طبقات التصوف المتقدمة وينسبونها إلى مشايخهم ليحببوهم إلى عوام الناس .

ثم القصة مثيرة للتعجب، وذلك أن لا يجد أولئك من أخلاق الإسلام والنبوة ما يفي بحاجتهم حتى يلجأوا إلى التخلق بأخلاق الكلاب والاقتباس من خصالهم .

* الرفاعي وموقفه من الحيوانات (مبدأ الاهنسا) :

أما موقف الرفاعي من الحيوانات والحشرات، ففي دائرة العارف الإسلامية أنه يتبين مما ذكره الذهبي والسبكي في الطبقات تأثر الرفاعي بعقيدة الأهنسا الهندية، وهي الإحجام عن قتل المخلوقات أو إيذائها ولو كانت من القمل أو الجراد. [54]

(52) المعارف المحمدية 74، قلادة الجواهر 54، طبقات الشعراني 1 / 144 .
(53) الرسالة القشيرية 108، إحياء علوم الدين 3 / 71 و 4 / 358 .
(54) دائرة المعارف الإسلامية 10 / 148 ـ 149 .

فنبدأ بما حكاه أتباعه من أن الله كلف الرفاعي بالنظر في أمر الدواب والحيوانات، فصار يعتني بهم ويخرج معهم إلى البرية، ويلاحقهم ويداويهم ويحك عنهم الجرب. [55]

وذكر الذهبي والسبكي أن هرة نامت على كم الرفاعي في وقت الصلاة، فقص كمه ولم يزعجها وعاد من الصلاة فوجدها قد قامت، فوصل الكم بالثوب وخيطه.[56]

وذكروا أنه كان يدور وراء الكلاب ويعطف على المرضى منهم ويداويهم وربما هرب منه كلب فيمشي وراءه ويتعطف بخاطره ويقول له:

يا مبارك إنما أريد مداواتك .

وكان يجد كلابا يأكلون في المطبخ فيقف عند الباب يحفظهم لئلا يأتي أحد ويطردهم أو يؤذيهم، ثم يقول للكلاب :

يا مباركين، كلوا واسكتوا ولا تتخادشوا (تتنابحوا) لئلا يعلم بكم أحد فتمنعون. [57]

وإذا مر أمامه خنزير يقول له: « أنعم صباحا ». [58]

أما موقفه من الحشرات، فكان يرأف بها إلى حد كبير، فربما وقفت على جسمه بعوضة فلا يطيرها ولا يسمح لأحد بصرفها عنه ويقول: « دعوها تشرب من

(55) إجابة الداعي 17 .
(56) طبقات الشافعية للسبكي 4 / 40، سير أعلام النبلاء للذهبي 21 / 78 قلادة الجواهر 62، طبقات الصوفية للشعراني 1 / 143 .
(57) قلادة الجواهر 63، لطائف المنن والأخلاق 490، طبقات السبكي 4 / 40 .
(58) روضة الناظرين 62، إجابة الداعي 17 للبرنزحي الرفاعي .

هذا الدم الذي قسمه الله لها ». [59]

قال يعقوب (تلميذ الشيخ وخادمه) :

« دخلت على سيدي أحمد في يوم بارد وقد توضأ ويده ممدودة، فبقي زمانا لا يحرك يده، فتقدمت لتقبيلها فقال: يا يعقوب، شوشت على هذه الضعيفة .

قلت: من هي؟

قال: البعوضة، كانت تأكل رزقها من يدي فهربت منك ». [60]

وقال الشيخ أبو المكارم: «كنت جالسا مع السيد أحمد الرفاعي فسمعته يقول: دعني ولا تضرني. فالتفت إليه فرأيت ذبابا على ساقه وقد شرب دمه حتى أحمرت ساقه فقتلته. فقال الرفاعي: لا وأخذك الله. وقال للذباب قلت لكم فما قبلتم ». [61]

وكان إذا جلس على ثوبه جراد وهو مار في الشمس يجلس في محل الظل ويمكث للجرادة حتى تطير ويقول: إنها استظلت بنا [62]

ورأى جرادة قد تعلقت بثوبه فقال لها: أيتها المباركة. ما علمت بك، أبعدتك عن وطنك؟ وكان يعتذر إليها بذلك ». [63]

(59) إجابة الداعي 17 .
(60) طبقات السبكي 4 / 40، قلادة الجواهر 65 .
(61) قلادة الجواهر 63 .
(62) إجابة الداعي 17 .
(63) طبقات السبكي 4 / 40، قلادة الجواهر 65 .

الكتاب الثاني

!+

قصة نسب الرفاعي إلى آل البيت

وقد نسب بعضهم الشيخ الرفاعي إلى آل بيت النبي ε، وألف الرفاعيون العديد من الرسائل والكتب لإثبات نسبته إليه ε، وقد تزعم هذه الحملة محمد أبو الهدى الصيادي الذي لم يزل يذكر هذه النسبة في رسائله التي كتبها عن الرفاعي، وخصص لهذا الموضوع مؤلفات منها :

1ـ كتاب التاريخ الأوحد للغوث الرفاعي الأمجد.

2ـ كتاب سلاسل القوم.

وقد كان يقول: « الشيخ الإمام أحمد بن علي بن يحي بن ثابت بن حازم بن أحمد بن علي بن الحسن الملقب برفاعة بن المهدي بن محمد بن الحسن بن الحسين أحمد بن موسى بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنه » [64].

ومع القناعة التامة بأن النسب لا يقدم ولا يؤخر في صلاح المرء أو فساده فلا يجعل الرفيع وضيعا ولا الوضيع رفيعا، فان مدار النجاة على الإيمان والعمل الصالح، غير أنني أجد ضرورة متابعة هذه النسبة للقناعة التامة أيضاً بأن الصوفية دأبوا على ربط من يعظمون من مشايخهم بآل البيت، وعلى وضع أنساب مكذوبة عليهم مثلما فعلوا

(64) قلادة الجواهر 15 و 20.

في الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى حيث نسبوه إلى أهل البيت مع أنه من قبيلة « جنكي دوست » الفارسية [65]. وهذا الاسم كما ترى أعجمي. فالشيخ عبد القادر رحمه الله فارسي الأصل بشثبري النسب.[66] وقس على ذلك.

وقد أنكر المحققون نسبة الرفاعي إلى أهل البيت، منهم بعض أهل الطريقة القادرية الذي كتبوا مصنفات ورسائل تبطل ما يدعيه الرفاعية من وجود أي صلة نسب بينه وبينهم.

ومن ذلك كتاب «الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين» لظهير الدين القادري الذي نقل فيه عن العلامة شمس الدين ناصر الدمشقي أنه قال:

« لم أعلم للرفاعي نسباً صحيحاً إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى أحد من ذريته الأطايب، وإنما الذي وصل إلينا وساقه الحفاظ وصح لدينا أنه: أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة المغربي الأصل البطائحي الرفاعي، نسبه إلى جده الأعلى رفاعة، قدم والده أبو الحسن رحمة الله عليه من بلاد المغرب فسكن البطائح ».[67]

وكذلك نفى عالم الأنساب «ابن طباطبا» هو وتلميذه ابن معية أن تكون للرفاعي أية صلة بأهل البيت منكرا أن يكون هنالك أبو القاسم محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى ». ونقل الصيادي عنهما قولهما:

« وما رأينا ممن يملي النسب للحسين ذكر ولدا اسمه محمد أبو القاسم ».

ثم قالا: «ولم يذكر أحد من علماء النسب للحسين بن أحمد ولدا اسمه محمد،

(65) أنظر قلادة الجواهر 20 ـ 21.
(66) مختصر عمدة الطالب: نقلا عن التاريخ الأوحد 85.
(67) الفتح المبين 102 ط: المطبعة الخيرية 1306 ـ القاهرة.

ولم يدع السيد الرفاعي هذا النسب وإنما ادعاه أولاد أولاده ». [68]

وكذلك تعقب علامة العراق الشيخ محمود شكري الألوسي، دعوى النسب الصيادي التي نافح عنها الصيادي مؤكدا على أن دعوى الانتساب إلى إبراهيم المرتضى من موسى الكاظم رضي الله عنه لا أصل لها.

قال: « فقد نقل عن صاحب مختصر عمدة الطالب أن الشيخ أحمد الرفاعي لم يدع هذا النسب وإنما ادعاه البطن الثالث من ولده ويقولون: أحمد بن علي بن الحسين المهدي بن أبي القاسم بن محمد بن الحسين بن أحمد بن موسى بن إبراهيم المذكور. قال أبو نصر البخاري: لا يصح لإبراهيم المرتضى عقب إلا من موسى وجعفر، ومن انتسب إلى غيرهما فهو كاذب ». [69]

وحتى الشيخ عبد الوهاب الشعراني الصوفي الذي لم يزل يذكر الرفاعي ومناقبه وأحواله فانه لم يذكر هذا النسب، وإنما أورد عبارة توحي بالشك في صحة النسبة إلى أهل البيت، فإنه قال: « أحمد بن أبي الحسين الرفاعي τ منسوب إلى رفاعة قبيلة من العرب ».[70]

وبالطبع لم ترض هذه العبارة الرفاعية فأبدى الصيادي تأسفه على كلمة :

(منسوب) التي وردت في كلام الشعراني حتى قال: « وقد عاتبه بذلك الشيخ أحمد القليوبي في تحفة الراغب على ذلك فقال: فما أدري من أين أتى الشيخ رحمه الله بهذه النسبة ».[71]

(68) التاريخ الأوحد 46 ـ 50.
(69) غاية الأماني في الرد على النبهاني 1 / 223 ـ 224.
(70) طبقات الشعراني 1 / 140.
(71) التاريخ الأوحد 29، قلادة الجواهر 22.

ثم إن عامة المؤرخين أصحاب الطبقات ترجموا للرفاعي ولم يتطرق واحد منهم إلى ذكر نسبته إلى أهل البيت.

فالسبكي ترجم للرفاعي في طبقاته ولم يذكر هذه النسبة. فانه قال :

« الشيخ الزاهد الكبير أحد أولياء الله العارفين والسادات المشمرين، أهل الكرامات الباهرة أبو العباس بن أبي الحسن الرفاعي المغربي، قدم أبوه إلى العراق... » [72] انتهى.

وكذلك الأمر بالنسبة لعامة المؤخرين كالذهبي وابن كثير وابن العماد وابن الأثير وابن خلكان، فانهم ترجموا للرفاعي ولم يذكروا له نسبة إلى أهل البيت.

مع أن من عادتهم أنهم إذا ترجموا لرجل من أهل البيت ولم يفصلوا ذكر نسبه أن يضيفوا على الأقل ما يدل على نسبته إليهم مثل أن يستعملوا عبارة: «الحسيني» أو « الحسني » أو « العلوي » مع اسمه.

مثال ذلك قال الذهبي: « الإمام القدوة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الهاشمي العلوي الحسيني» [73].

بينما نجده يقول في ترجمته للرفاعي: « أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي ثم البطائحي، قدم أبوه من المغرب وسكن البطائح. [74]

وقد علل الصيادي غفلة المؤرخين عن ذكر نسبة الرفاعي إلى أهل البيت بأن عامتهم يعنون بالوقائع التاريخية لا على أنساب الرجال وفضائلهم. وأنكر بالتالي

(72) طبقات السبكي 4 / 40 ط: دار المعرفة.
(73) سير أعلام النبلاء 21 / 104.
(74) سير أعلام النبلاء 1 / 77 ـ 78.

عليهم لاطالتهم ترجمة الكثيرين من الظلمة وأهل الدنيا المحجوبين وعدم تعرضهم لأعالي مقامات المشايخ ولا إلى أنسابهم. [75]

وما قاله غير صحيح، فان عامة المؤرخين ذكروا نسب الشيخ الرفاعي كابن خلكان وابن الأثير وابن العماد وابن كثير والذهبي وابن الوردي والصفدي[76]

غير أن السبب الحقيقي لنقمة الصيادي عليهم لأنهم لم يذكروا نسبة الرفاعي إلى أهل البيت، وهم محقون في عدم ذكر ذلك لعدة أسباب :

أولاً : لأنه لا يوجد ما يؤكد صحة هذا النسب.

ثانياً: إذا كان مؤرخا صوفيا كالشعراني يبدي الشك في نسبة الرفاعي إلى أهل البيت مع تعظيمه له، فلماذا يلام غيره على عدم إثباته هذه النسبة ما دام أنها مشكوك بها عند الصوفية قبل غيرهم.

ثالثاً: أن ما يذكره المؤرخ إنما يجب أن يكون موثوقا به لا شك فيه، وليس بوسع المؤرخ الثقة أن يعتمد الأقاويل والشائعات ويجمع المعلومات جمع حاطب ليل، ولذا فان عدم ذكر هؤلاء هذه النسبة إنما يدل على أصالتهم وأنهم كانوا يتوثقون مما يدونونه في كتبهم. فهذا مما يبعث على الثقة بهم.

وليس الاختلاف حول نسبة الرفاعي إلى أهل البيت فحسب، وإنما الاختلاف أيضا حول حصول العقب منه.

فالعلامة شمس الدين ناصر الدمشقي يقول:

(75) قلادة الجواهر 22.
(76) أنظر البداية والنهاية 12 / 312، الوافي للصفدي 7 / 219، شذرات الذهب لابن العماد 4 / 259، الكامل في التاريخ 11 / 492 لابن الأثير، تاريخ ابن الوردي 2 / 140، وفيات الأعيان لابن خلكان 1 / 172، سير أعلام النبلاء 21 / 77.

«إن الرفاعي لم يبلغنا أنه أعقب كما جزم غير واحد من الأئمة المرضية»[77]

وعامة المؤرخين قد ذكروا بأن الشيخ لم يعقب وإنما العقب من أخيه. [78]

غير أن صاحب كتاب النجوم الزواهر يذكر أن الشيخ الرفاعي تزوج الصالحة الزاهدة « رابعة » أخت زوجته الأولى، وأعقبها السيد قطب الدين، وأن هذا الأخير تزوج في حياة أبيه وأنجب ولدا سماه « منصورا ». [79]

وعلى العكس من ذلك فالصيادي يذكر أن قطب الدين توفي في حياة أبيه ولم يكن قد تزوج حينئذ، ودفن في قبة جده يحيى النجار، وأن من تؤول نسبتهم إلى الرفاعي إنما هم من بنتيه زينب وفاطمة. [80]

* كيف يثبت الرفاعيون نسبة شيخهم إلى آل البيت :

وبما أن الدليل الذي قدمه الصيادي وغيره لإثبات نسبة الشيخ الرفاعي إلى آل البيت لم يكن كافيا: راحوا يستعيضون عن ذلك بالرؤى والحكايات المنامية.

فقد ذكر الصيادي في كتابه المعارف المحمدية أن الشيخ أبا الفضل الواسطي كان ينكر نسبة الرفاعي إلى السلالة النبوية، وأنه رجع عن ذلك بسبب رؤيا منامية لا تميل النفس إلى تصديقها، وفيها أنه رأى أن القيامة قد قامت، واللواء على رأس محمد ε وفاطمة بين يديه، والرفاعي عن يمينها.

قال الواسطي: «وأنا على خوف عظيم، فدنوت من السيدة فاطمة واستنجدتها

(77) الفتح المبين 105.
(78) البداية والنهاية 12 / 312، شذرات الذهب 4 / 259، الأعلام للزركلي 1 / 174، تاريخ ابن الوردي 2 / 140.
(79) النجوم الزواهر 91.
(80) قلادة الجواهر 133 و 321 و 323.

فأعرضت عني وقالت للشيخ الرفاعي: يا ولدي أحمد ما أعجب حال هذا الرجل، ينكر نسبك إلى ويستنجدني؟ والله لا نجدة له عندي إلا بواسطتك. فقال لي الرفاعي: أمي هذه أدرى بأولادها منك. فقالت السيدة فاطمة: الأدب الأدب مع السيد أحمد فإنه قطعة من كبدي ».[81]

الدليل الآخر عندهم على ثبوت النسب: أن الرفاعي والجيلاني قالا ذلك والتأدب معهما يوجب تصديقهما من غير تردد ولا تثبت. فإن عدم تصديق ما قالوه من أنهم ينتسبون إلى أهل البيت قلة أدب في حقهم. والصحيح أنهما لم يثبت عنهما قول ذلك.

قال محمد أبو الهدى الصيادي:

« وقال رجل موصلي لشيخنا الشيخ عبد الرحمن جمال الدين الحدادي: يا سيدي إني رأيت بعضاً من كتب التاريخ سكت عن نسبة الشيخ عبد القادر الجيلاني وسكت عن نسبة السيد أحمد الرفاعي مع أنه عربي الأصل وأشهر منه بالسيادة، وقد قال بعض علماء فارس أن الشيخ عبد القادر « بشتبري » النسب وهكذا يقول بعض أهل بيته. فقال شيخنا قدس الله سره: أكفف يا ولدي عن الخوض واعلم أن من كتب التاريخ سكت عن نسبة الاثنين، إلا أن بعض الصوفية ذكر نسبة الشيخ عبد القادر حرصاً عليه لكيلا يطعن في نسبه من لا علم له لما اشتهر أنه من العجم ولما قيل فيه من أنه « بشتبري » النسب، والأصل الصحيح إنما هو رجل فاطمي لا ريب في نسبته إلى الجد الأعظم ε سكن أجداده فارس إلى زمانه .. وهذا ما يجب علينا اعتقاده، فان الأولياء أعلم منا بالأدب الديني والواجب الشرعي، ولو لم تكن نسبته ثابتة الوصول إلى الرسول لما ادعاها قط. وأما ما ذكرته من شهرة السيد أحمد

(81) سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين 5.

الرفاعي τ بالسيادة وكونه عربي الأصل والمنشأ فهو السبب الذي اعتمد عليه الصوفية وسكت عن ذكر سلسلة نسبه ».[82]

فهذا النص يبين أن من أهم أدلة الرفاعية على نسبة شيخهم إلى أهل البيت كونه عربي الأصل. وهذا ليس بكاف وإلا لجاز لكل عربي أن يسيغ لنفسه إلحاق نفسه بالنبوة لمجرد عروبته.

الدليل الثاني حسب النص أن الرفاعي ادعى هذه النسبة. وهذا ما اتفق المؤرخون على خلافه، فانهم ذكروا أن الرفاعي لم يدع هذا النسب وإنما ادعاه البطن الثالث من أولاده.

(82) قلادة الجواهر 20، جمهرة الأولياء 2 / 206 لأبي الفيض المنوفي.

قصة مـد يـد النبي من خــارج قــبره

ومما يستدل به الرفاعية على صحة نسب الرفاعي إلى رسول الله ε قصة مد النبي ε يده إلى الرفاعي .

وتفصيلها: أن الله ناداه: قم يا أحمد وزر بيت الله الحرام وزر النبي υ، فقال الرفاعي لربه: سمعا وطاعة .

فسافر ومعه جم غفير إلى مكة ثم المدينة ووقف عند القبر وقال: السلام عليك يا جدي، فقال له النبي υ: وعليك السلام يا ولدي. فتواجد الرفاعي وقال:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها — تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت — فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فانشق التابوت ومد النبي يده إلى الرفاعي ليقبلها أمام جمع كبير من الناس يزيدون على التسعين ألفا وكان من بينهم عبد القادر الجيلاني وعدي بن مسافر وحيوة بن قيس الحراني.[83]

(83) قلادة الجواهر 15 و20 و 108، حكم الرفاعي 5، المعارف المحمدية 34 و59، تنوير الأبصار 6، ذخيرة المعاد في سيرة بني صياد 33، الكنز المطلسم 5، الكليات الأحمدية 201، العقود الجوهرية 6، ضوء الشمس في قول النبي بني الإسلام على خمس 1 / 174، الغارة الإلهية 56، نور الأنصاف 14، التاريخ الأوحد 59، إرشاد المسلمين 34، سواد العينين 10، ترياق المحبين 12. إجابة الداعي 18، وللصيادي كتاب خاص في هذه الحادثة اسمه: الفخر المخلد في منقبة اليد =

واعتبروها حادثة متواترة يكفر منكرها [84] ويصير خارجا من ملة الإسلام كما صرح الصيادي بذلك قائلا: « فخروج يد النبي ع لسيدي أحمد بن الرفاعي ممكن ولا يشك فيه إلا ذو زيغ وضلالة، أو منافق طبع الله على قلبه، وإنكارها يؤدي إلى سوء الخاتمة.[85]

* التعقيب على هذه القصة :

إن مجرد تهديد منكر هذه القصة بكفره وسوء خاتمته إنما كان بسبب ضعف الدليل الذي يمكن أن يقدمه الرفاعية لإثباتها، وإلا فالقصة من أساسها لا تثبت والأدلة على عدم ثبوتها كالآتي:

(1) أن أصحاب كتب وتراجم الصوفية الأوائل كالسبكي والشعراني وابن الملقن والمناوي لم يتعرضوا لذكر هذه الحادثة مع أنهم كانوا أقرب إلى عصر الرفاعي من المتأخرين كالصيادي، وليس من المعقول أن يحرصوا على جمع كل ما روي عنه فيروون قصة الجرادة والبعوضة ويهملون هذه الحادثة التي اهتزت لها بقاع الأرض على حد تعبير الصيادي .

(2) أن المؤرخين ـ غير المتصوفة ـ كالذهبي وابن كثير وابن خلكان لم يتعرضوا لذكر هذه الحادثة إطلاقاً، ولو أنها وقعت حقيقة لتسابقوا إلى كتابتها. وقد ذكروا ما اشتهر به الرفاعيون من دخول النيران واللعب بالحيات وركوب السباع غير أنهم لم يتطرقوا إلى ذكر هذه الحادثة، الأمر الذي يبعث على الجزم بأن حبكها كان متأخرا عنهم.

=

10 ـ 11 .

(84) قلادة الجواهر 104.

(85) قلادة الجواهر 15 و 108، ضوء الشمس 175 .

(3) أن رواة هذه الحادثة هم « الصوفية » الذين شهد الرفاعي نفسه بأنهم يكذبون على مشايخهم وأئمتهم، حيث قال: « واحذر الفرقة التي دأبها التفكه بحكايات الأكابر وما ينسب إليهم فان أكثر ذلك مكذوب عليهم: وقال: « يا بني إذا نظرت في القوم الذين ادعوا التصوف وجدت أن أكثرهم من الزنادقة الحرورية والمبتدعة ». [86]

وتصديقا لقول الرفاعي فإني أنقل عن الصوفية ما ورد في بعض كتبهم :

* ذكروا أن إبراهيم الأعزب أنشد شعرا عند قبر النبي ع فقال له النبي: بارك الله بك، أنت منظور بعين الرضا ».[87]

* وأن الشيخ بهاء الدين الرواس الرفاعي وقف عند أحد القبور فخرج له إبراهيم υ من القبر وأعطاه ورقة مكتوب عليها هكذا (محمد1111).

ويتضمن هذا الرمز مئات الأسرار من كتاب الجفر.[88]

* وأن الشيخ علي أبو الحسن الشاذلي استأذن في الدخول على رسول الله ع فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة يقول له: « يا علي أدخل ».[89]

* وأن عبد القادر الجزائري وقف تجاه القبر وقال: « يا رسول الله: عبدك ببابك، كلبك بأعتابك، نظرة منك تغنيني يا رسول الله عطفة منك تكفيني فقال له الرسول: أنت ولدي ومقبول عندي بهذه السجعة المباركة. [90]

(86) الكليات الأحمدية 122 ـ 123 و 156، حالة أهل الحقيقة مع الله 105 .

(87) ترياق المحبين 69 .

(88) بوارق الحقائق 177 - 179 .

(89) عن كتاب «أبو الحسن الشاذلي» للشيخ عبد الحليم محمود. 79 ط: المكتبة العصرية ـ القاهرة.

(90) جامع كرامات الأولياء 2 / 100 .

فمع ما أنه عليه الصلاة والسلام كان يكره السجع ويمقته ويصف أهله بأنهم « إخوان الكهان » [91] إلا أننا نجده هنا يصف السجع بالمبارك !!

* وأن الشيخ الشعراني قال: « ومما من الله علي: شدة قربي من رسول الله وهي المسافة بيني وبين قبره الشريف في أكثر الأوقات، حتى ربما أضع يدي على مقصورته وأنا جالس بمصر، وأكلمه كما يكلم الإنسان جليسه». [92]

وبهذا الزعم يصير الأمر مشاهدة عيانية لا منامية، وأي قيمة بعد ذلك لكتب السنة والحديث ما دام أنه ε حي حاضر مع هؤلاء، وهل يصير اجتهاد المجتهدين في استخراج الأحكام إلا هدرا للوقت؟ هلا طلبوا من الصوفية استفتاءه ε عنها توفيرا للوقت؟ وكيف يتفق أن يشتهر الصوفية بعدم الإلمام بالشريعة وبالحديث يخلطون بين الصحيح والموضوع من الحديث وبينهم رسول الله يحضرهم كلما شاؤا ؟؟

* أن الصيادي ذكر أن إبراهيم المتبولي كان يرى النبي ε ويتلقى أوامره المحمدية، وأن أبا العباس المرسي كان يراه ε ويرى الانحجاب عن رؤيته نقص في مقام ولايته، وأن الشاذلي لم يكن طيلة حياته يفارق النبي ε، حيث يقسم على ذلك قائلا: « والله لو غاب عني رسول الله ε طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين ». [93]

أن الصيادي ذكر أن أحد أعيان الطريقة (الشيخ جلال الدين) كان يجتمع بالنبي ε يقظة لا في المنام، قيل له كم مرة لأيته يقظة؟ قال بضعا وسبعين مرة، فأيهما

(91) الحديث: « إنما هذا من إخوان الكهان » متفق عليه.
(92) لطائف المنن والأخلاق 123.
(93) طبقات الشعراني 2 / 14، ضوء الشمس 1 / 176 _ 177، قلادة الجواهر 106 و292 .

أعظم: من يستلم يد النبي ε مرة واحدة أم من يجلس بجانبه يقظة ويحادثه أكثر من سبعين مرة؟ !! [94]

(4) أنهم زعموا أيضا أن النبي ε رؤي في الرؤيا أنه شد الرحال إلى قرية الرفاعي والكعبة تسير معه وقد قال: « ها أنا والكعبة زائرون، وجلس ينادي أهل القرى في طريقه أن يزوروا معه الشيخ أحمد الرفاعي. [95] ثم تبين للراوي أن الرؤيا حقيقية فقام وذهب إلى قرية الرفاعي مشاركا موكب النبي عليه الصلاة والسلام والكعبة.

(5) أنهم رووا عن الرفاعي أيضا أنه في العام الثاني زار القبر مرة أخرى. قال الصيادي: « ولما حج الرفاعي عام وفاته وزار قبر النبي الذي هو أفضل من الجنة بل من العرش والكرسي، أنشد قائلا:

إن قيـــل زرتـــم بمـــا رجعـــتم ... يـــا أشـــرف الرســـل مـــا نقـــول

فخرج صوت من القبر سمعه كل من حضر وهو يقول:

قولـــوا رجعنـــا بكـــل خيـــر ... واجتمـــع الفـــرع والأصـــول [96]

فالرفاعي نجده في كل مرة لا يخاطب النبي إلا بالشعر، والنبي لا يجيبه إلا بالشعر! لماذا لا يخاطبه بلغة القرآن من غير شعر ولا نثر ولا سجع؟ وهل نسي القوم قول الله تعالى: {➔⌖✓⌖⑥ ⌖⌫♱⚐⍲♊❄✪⌖❄❄⚐↖♦ ⑤⌫✸✡⚐⌖♊●⌖ ➔⌖✓⌖⑥ ▦❄⌖✪⍉⑨❄⌖⌖✡⌖ ⌫❄♱↖♦✋📖📼}. ألم يعلموا أن النبي ε كان يبغض الشعر؟

(94) قلادة الجواهر 422 _ 423 .
(95) روضة الناظرين 59 .
(96) قلادة الجواهر 104، ضوء الشمس 1/ 176 .

عن قتادة: قالت عائشة: كان الشعر أبغض الحديث إليه. وكان υ يقول: « إني والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لي » [97].

(6) أنه يلزم من تكليم الرفاعي للنبي ε وإمساك يده عيانا أن يصير صحابيا، فينال شرف الصحبة. ولو قالوا بأنها كانت رؤيا لما لزم ذلك. لكنهم يصرون على أن الحادثة كانت يقظة لا مناما.

(7) أن الرفاعية نقلوا عن الرفاعي أنه كان يحث المصلين على رفع الإصبع والإشارة به عند الصلاة مؤكدا على أن من فعل ذلك فانه يمس به صدره الشريف. وأن من لم يفعل ذلك لا حصل على النبي ولا حصل له شيء من اليقين ولا علم كيف يصلي عليه.[98]

فما ميزة الرفاعي عن غيره من عامة الناس الذين يمسون كل يوم صدره الشريف وعند كل صلاة !

(8) أن هذا العدد الهائل الذي ذكروه « تسعين ألفا » من الناس لا تتسع له المنطقة المحيطة بالمسجد برمتها، ولا يستطيع هذا العدد رؤية تقبيل اليد كلهم في وقت واحد [99] وحتى لو وقفوا صفوفا طويلة لرؤية يد النبي ε لاستغرق ذلك أياما لكثرة عددهم الهائل، فهل بقي النبي مادا يده أياما أو على الأقل يوما كاملا ليراه هذا الحشد الهائل من الناس؟!

---

(97) رواه الطبري في التفسير 23 / 27 من حديث سعيد بن أبي عروبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور 5 / 268 عن عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(98) قلادة الجواهر 106، وانظر كتاب ضوء الشمس للصيادي 1 / 177 .

(99) ذكر الصيادي في كتاب «الحكم الرفاعية» ص 5 أن الناس جميعهم رأوا يد النبي وهي تشق التابوت ليقبلها الرفاعي .

(9) أنهم ذكروا في سياق القصة أن الرفاعي نودي من الحضرة العلية أن قم يا أحمد وزر البيت الحرام وزر قبر النبي ε فقال سمعا وطاعة. فإن أرادوا بذلك أن الهاتف هو الله تعالى فهذه إذن كرامة أعظم من مجرد تقبيل يد النبي ε، فلماذا لم يعيروها اهتمامهم ؟!

(10) أن سياق الكلام الذي نسبوه إلى النبي ε ينفي أن يكون هذا من كلامه، مثل أن يقول للرفاعي: « البس الزي الأسود» وكذلك قوله: « فإن الله نفع بك أهل السموات وأهل الأرض »، فبماذا انتفع به أهل السموات ثم أنه لم يكن يرد السلام بصيغة المفرد «وعليك السلام» ولم يعهد عنه لفظ « يا ولدي » ولم يقلها للحسن ولا الحسين رضي الله عنهما.

(11) ادعى الصيادي أن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان موجودا وقت الحادثة. وقد أراد الصيادي من ذكر الجيلاني أن يجعل منه شاهدا على ما حدث، ولكن أين شهادة الجيلاني نفسه بذلك وهو لم يذكر في مصنفاته كالمغني والفتح الرباني شيئا من ذلك ولا روى عنه أصحابه ولا مترجموه أنه شهد على ذلك، بل لم يعرف عنه أبدا أنه رافق الرفاعي إلى الحج. أن الصيادي يأتي لنا بشهود لم يشهدوا. إذ لن يستطيع الجيلاني بعد موته أن يكذب هذه الدعوى المنسوبة إليه.

(12) أن هذين البيتين اللذين أنشدهما الرفاعي عند القبر منسوبان إلى غيره.

قال الشيخ الألوسي: « إن كثيراً من أهل العلم والأدب نسب البيتين إلى غير الرفاعي. قال الشيخ صلاح الدين الصفوي في تذكرته: حكي أن ابن الفارض لما اجتمع بالشهاب السهروردي في مكة أنشده:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها	**تقبل الأرض عني وهي نائبتي**
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت	**فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي**

قال: وممن نقل ذلك الشهاب الخفاجي في: كتابه « طراز المجالس ».[100]

(13) أن المتصوفة قد اشتهر عنهم ادعاء مخاطبة الموتى والتلقي عنهم وكتبهم مشحونة بذلك. مثاله:

أن أبا المظفر المنصور أنشد قصيدة عند قبر الشيخ الرفاعي فظهر صوت الرفاعي من القبر يقول له: وعليك السلام.[101]

وأن السيدة نفيسة ـ صاحبة الضريح ـ كانت كثيرا ما تكلم أحد المشايخ المتصوفة وهي في قبرها.[102]

وأن السيد أحمد البدوي أخرج يده من القبر ووضعها بيد الشعراني ليبايعه وكان من شروط المبايعة أن يكون تحت رقابة البدوي أينما ذهب فأقره البدوي وقال وهو في قبره « نعم ».[103]

وهذه شبيهة بقصة مد النبي عليه الصلاة والسلام يده ليبايع الرفاعي حيث قال له: هذه البيعة لك ولذريتك إلى يوم القيامة.[104]

ولا ننسى أن نسجل دعوى أحد الصوفية المعاصرين شيخ الأزهر سابقا الشيخ عبدالحليم محمود أنه حين أراد تأليف كتاب عن السيد البدوي عكف على قبره بمدينة « طنطا » يستأذنه السماح له بكتابته فزعم أنه أذن له مع أنه ميت منذ مئات السنين. والدليل على عدم صحة قوله أنه قد حذف هذه المقولة في الطبعة الثانية لكتابه هذا.

---

(100) غاية الأماني في الرد على النبهاني 1 / 224 - 225 .

(101) العقود الجوهرية 77 - 78، ترياق المحبين 8 و 39 ط: البهية 1304 مصر للشيخ تقي الدين عبد الرحمن الواسطي .

(102) لطائف المنن والأخلاق 403 .

(103) طبقات الشعراني 1 / 186 .

(104) المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية 34 .

ولو كان متثبتا وواثقا مما كتب فلماذا يرجع عنه ؟

(14) أن النبي ε ما كلم أحدا من أصحابه ولا أزواجه ولا أحفاده ولم يمد يده لأحد منهم فلماذا يتميز الرفاعي عن كل هؤلاء؟

قال الشيخ الألوسي: « إن حسن الظن بأحمد رحمه الله يقتضي عدم مخالفته للسنة النبوية والشريعة المحمدية، فقد كان ـ على ما يروي الثقات ـ على خلاف المنتمين إليه من المبتدعة الغلاة، فإنه لم يزل على المنهج المستقيم، والصراط القويم .. فكيف يسوغ لمن تأدب بالآداب النبوية أن يتجاسر في ذلك المقام ويطلب منه ما لم يطلبه غيره من أكابر الصحابة وأئمة أهل البيت ؟

وقد صح عن عمر أنه قال في بعض الأمور: ليتني سألت رسول الله ε عنه.

وقد بلغك ما عرى فاطمة البتول رضي الله عنها من الحزن العظيم بعد وفاته ε .. فهل بلغك عنه عليه الصلاة والسلام أنه ظهر لها كما يظهر للصوفية؟

وقد سمعت بذهاب عائشة إلى البصرة وما كان من وقعة الجمل، فهل سمعت تعرضه ε لها قبل الذهاب، وصده إياها عن ذلك.[105]

(15) أن الصيادي ذكر أن علي بن أبي طالب وقف عند قبر رسول الله ε وبكى حتى كادت تزهق روحه وأنشد عنده أبياتا من الشعر فقال :

كنت السواد لناظري فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

وأن فاطمة رضي الله عنها بكت عند قبر أبيها صلوات الله وسلامه عليه بكاء شديدا

---

(105) غاية الأماني في الرد على النبهاني 1 / 225 ـ 226 .

وأنشدت تقول :

مــاذا علــى مــن شــم تربــة أحمــد ... أن لا يــشم مــدى الزمــان غواليــا

صــبت علــي مــصائب لــو أنهــا ... صــبت علــى الأيــام صــرن لياليــا

وأن عائشة ﵂ بقيت تبكيه وحزنها متواصل حتى لحقت بعده بستة أشهر.[106]

فلم يحصل لهم ما حصل للرفاعي، ولم يمد الرسول لهم يدا ولم يسمعهم صوتاً.

وإنما قدم عليهم الرفاعي وأولياء المتصوفة: فتارة يظهر يده ـ بل نفسه ـ على فريق منهم، وتارة يمد يده وتارة ينشد لهم شعرا .

(15) أن الرفاعي كان ينهى عن إظهار الكرامة ويراها استدراجا وفتنة. إذ كان يقول: « يا أخي أخاف عليك من الفرح بالكرامة وإظهارها، فان الأولياء يستترون من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض ».[107]

بينما القصة هنا تفيد أنه نادي الخلائق أن يرافقوه إلى المدينة ليروا ما سيحصل له من الكرامة.

وفي الختام أشير إلى ما ادعاه محمد سليم حمامي في تعليقه على كتاب ضوء الشمس للصيادي أن من بين الكتب التي ذكرت هذه الحادثة :

1ـ البرهان المؤيد

2ـ الشرف المحتم فيم من الله به على وليه أحمد الرفاعي من تقبيل يد النبي ε.

(106) ضوء الشمس 1 / 190 - 191، قلادة الجواهر 309 .

(107) البرهان المؤيد 81 ـ 82، المعارف المحمدية 10، الفجر المنير 24، قلادة الجواهر 150، القواعد المرعية 34 .

أما كتاب البرهان المؤيد فإنه لا يتضمن ذكر هذه القصة ولا بطريق الإشارة. ويحتمل أن يتحدث محقق الكتاب عن الحادثة، والمحقق على ما أعلم هو الدكتور صلاح عزام أما أن يكون الرفاعي نفسه قد تحدث عنها فيما خلف من كتب فهذا ما لا يظهر لي حسب خبرتي في الطريقة واطلاعي على أغلب المصادر التي كتبت عنها.

وأما كتاب الشرف المحتم للسيوطي فإنه منسوب إليه ولا يثبت للأسباب الآتية :

1ـ أن الرسالة مقتبسة من كلام الصيادي في كتابه « قلادة الجواهر» و « ضوء « الشمس » وغيرهما وهي من عباراته بحذافيرها .

2ـ أن الرسالة تتضمن رمي كل من أنكر هذه الحادثة بالكفر والنفاق والموت على سوء الخاتمة، ومثل هذا لا يعرف عن السيوطي، وإنما حكم الصيادي الرفاعي بكفر منكرها واعتبرها بمنزلة أركان الإيمان، والعبارة منقولة عنه حرفا بحرف [108] فكيف أخذ السيوطي عنه وهو متقدم عليه في الزمن؟

3ـ أن الصيادي كان ينقب شرقاً وغرباً عمن تحدث عن هذه الحادثة، ولقد كان واسع الاطلاع ملما بكل كتاب من كتب الأئمة المتقدم منها والمتأخر ومع ذلك فلا هو استشهد بالسيوطي ولا ذكر رسالته. مما يؤكد أن الرسالة ظهرت بعده.

4ـ أنه لو كان الصيادي مثلا هو الذي اقتبس عبارة السيوطي من رسالته فلماذا لا يشير إليها لا سيما وأن الاستشهاد برجل كالسيوطي أعظم حجة وأقوى دليلا من مجرد النقل عنه مع ترك بيان رسالته.

(108) قارن بين كلام الصيادي في قلادة الجواهر 15 و 104 و 108، ضوء الشمس 175 وبين الرسالة المنسوبة إلى السيوطي وبالتحديد من 4 إلى 6 .

كل هذه القرائن تؤكد أن الرسالة مجموعة من عبارات الصيادي نفسه ومنحولة إلى السيوطي رحمه الله. وهذا ما جعل صاحب إيضاح المكنون يصفها بأنها « منسوبة إلى السيوطي ». [109]

---

(109) إيضاح المكنون (نقلا عن كتاب « مكتبة الجلال السيوطي » 235 للأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال) ط: 1397 دار المغرب .

الكتاب الثالث

!+

أنواع الكرامات المنسوبة إلى الرفاعي وإلى غيره من مشايخ الرفاعية

يمكن تقسيم أنواع الكرامات المحكية في كتب الرفاعية إلى ثلاثة أنواع :

1ـ قسم منها يتعدى مقام الألوهية مثل الإحياء والإماتة والتصرف في الأكوان بكلمة « كن » فيكون. وإبراء مريض ودفع مرضه لآخر وادعاء علم الغيب وتبديل القوانين الكونية ومحو الشقي إلى سعيد ومحو الذنوب من اللوح المحفوظ، كل ذلك سأنقله عنهم بأمانة تامة مع الإحالة إلى ذلك من كتبهم.

2ـ قسم منها يحاكي النبوة ويتعدى مقامها، بل ويطعن فيها مثل قصة تعري سيدنا إبراهيم لأحد الرفاعية، ومثل ادعائهم أن أتباع الرفاعي يغوصون بحرا غرق فيه آلاف الأنبياء .. إلى غير ذلك مما سنراه .

3ـ قسم منها يسخر من الكرامة ويهبط بها إلى عالم الخيال والخرافة جاعلا الأئمة الصالحين الزهاد: عرضة لنقد الآخرين وسخريتهم لا سيما من يصطادون في الماء العكر من أعداء المسلمين الذين يظهرون هذه الخيالات على أنها تمثل تعاليم الإسلام .

* موقف الرفاعي من هذه الكرامات المحكية

وثمة نقطة مهمة أشير إليها وهي أن الشيخ الرفاعي رحمه الله لم يكن خافيا عليه ما ينسبه المتصوفة إلى مشايخهم وأسيادهم، لذا فإنه لم يكن عجيبا أن يحذر أتباعه مما عهده عن المتصوفة من الكذب على مشايخهم حتى قال:

« وأحذر الفرقة التي دأبها تأويل كلمات الأكابر والتفكه بحكاياتك وما نسب إليهم فان أكثر ذلك مكذوب عليهم. وما كان ذلك إلا من عقاب الله للخلق لما جهلوا الحق، فابتلاهم الله بأناس من ذوي الجرأة السفهاء .. وسلط أيضاً أناساً من أهل البدعة والضلالة: فكذبوا على القوم وأكابر الرجال وأدخلوا في كلامهم ما ليس منه. فتبعهم البعض فألحقوا بالأخسرين أعمالا ».(110)

هذه شهادة من الرفاعي نفسه تناقلتها كتب الرفاعية من بعده.

ونتساءل: هل التزم الرفاعيون بما حذرهم منه شيخهم وهل احتذوا حذو الصوفية الذين تكلم عنهم الرفاعي رحمه الله ؟

فلنذكر الحكايات التي نسبوها إلى شيخهم بالتفصيل وذلك لنتعرف على الجواب:

* كن فيكون: هل تصير لغير الله تعالى ؟

الولي المتمكن عند الصوفية يسمى « متصرفا في الأكوان » .

والتصرف ليس له حد ينتهي إليه لا سيما وإنما الصوفي المتمكن يستطيع أن يحوز على كلمة « كن » التي يخلق الله بها الأشياء. فقد ذكروا أن الشيخ أحمد الرفاعي قال: « جاء في بعض الكتب الإلهية أن الله تعالى قال: « يا بني آدم أطيعوني أطعكم، وراقبوني أراقبكم، وأجعلكم تقولون للشيء: كن فيكون ».(111)

---

(110) قلادة الجواهر 147، طبقات الشعراني 1 / 142 .

(111) جامع كرامات الأولياء للنبهاني 2 / 158 .

وقد نقل عن أحد الصوفية قوله: « تركت قولي للشيء: كن فيكون تأدبا مع الله (112).

ونقل عن الرفاعي قوله: « وإذا صرف الله تعالى الولي في الكون المطلق: صار أمره بأمر الله تعالى: إذا قال للشيء كن فيكون »(113)

وصحيح أن الكرامة حق يجب على كل مسلم الإيمان به. أنها لا تبلغ حدا تصل فيه إلى ما لا يجوز في حق غير الله تعالى مثل كلمة « كن » التي يدعون أنها بحوزتهم وفي أيدي مشايخهم .

* الإحيــاء والإمــاتــة :

إحياء الموتى عند الصوفية من علامات التمكن في الولاية، فانه مما ذكروه عن الشيخ الرفاعي أنه قال: « الولي المتمكن يحيي الموتى بإذن الله ».(114)

ولنذكر قصة من القصص المنسوبة إلى الرفاعي ذكرها الصيادي في العديد من كتبه وفيها: « أن الشيخ الرفاعي خرج مرة مع تلاميذه إلى شاطىء الفرات فقام الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان وسأله: يا سيدي: متى يصل المريد إلى مراده ويصير مرادا ويتصرف في الأكوان ؟

فقال الشيخ: حتى يخرج عن نفسه ومألوفات حسه، ويترك جميع الشهوات المباحات وغيرها، ويصرفه الله تعالى في كون وجوده وعوالمه .. وإذا صرفه في

---

(112) قلادة الجواهر 73 و 145. المعارف المحمدية 47 - 48 .

(113) إرشاد المسلمين 124 - 125، روضة الناظرين 85 .

(114) الفجر المنير 5 و 15 - 16، قلادة الجواهر للصيادي 73 و 145، المعارف المحمدية 47 - 48، إرشاد المسلمين 85 - 86، سواد العينين 13 - 14، روضة الناظرين 58، طبقات الصوفية لابن الملقن 99 ط: مكتبة الخانجي 1973 القاهرة .

الكون المطلق صار أمره بأمر الله تعالى: إذا قال للشيء كن فيكون.

وإذا التفت إلى هذا النهر الجاري وقال لأسماكه: أجيبوا طائعين مطبوخين مشويين: يطلعوا بإذن الله ويطيعوه ولا يخالفوا أمره .

وكان في المجلس رجل كبير الشأن يقال له عمر الفاروثي فقال له: يا سيدي هذا الرجل الذي ذكرتموه لم يكن مخلوقا، بل ربا ثانيا !!

فغضب الشيخ أحمد غضبا شديدا وقال: تأدب يا عمر. لا أفلح من كفر. حاشا وكلا أن يصل المخلوق إلى مرتبة الربوبية. بل لله أسماء وصفات، فإذا تخلق العبد بأسماء ربه وصفاته وتحقق بهما فينظر إليه الحق بعين قربه فيصير فعله من فعل ربه .

والتفت الشيخ إلى النهر وقال: يا خلق ائتوني طائعين، واحضروا إلى مشويين لتأكل منكم الإخوان والحاضرون .

فما استتم قوله حتى تراكمت عليه الأسماك من البحر ونطقت بلسان عربي فصيح: السلام عليك يا خلاصة خلقه. كل من لحمنا لنسعد بك يوم القيامة .

فأخذ الشيخ من الأسماك وهي مشوية ووضعها بين أيديهم، وأتى لهم من عالم غيب الله تعالى بخبز طري ساخن رائحته تفوق المسك والعنبر، فأكل الشيخ وأكل القوم أجمعون وما بقي من الأسماك إلا العظام النخرة .

* إحياء العظام النخرة :

فقال السيد عمر الفاروثي: يا سيدي: ما علامة الرجل المتمكن المتصرف في كون وجوده ؟

فقال الرفاعي: هو أن يقول لهذه العظام كوني سمكا كما كنت أولا بإذن الله

تعالى.

فما استتم كلامه حتى قامت وتناثرت سمكا حيا: شاهدة لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة وبالسيد الرفاعي بالولاية العظمى ». انتهى

ولقد بلغ من حب الأسماك له أنه كان كلما مشى على الشاطىء تخرج الأسماك من بطن البحر لالتماس بركاته وتزدحم على أقدامه الشريفة، وتسأله بحق الله أن يأكل منها .[115]

ورووا عنه أنه خرج مرة مع جماعته إلى البر فجاءوا فرأى الشيخ سربا طائرا من الأوز (البط) فأمرهم بالنزول حالا، فنزلت إحداهن بين يديه مشوية جاهزة، فأكلها رجل من رجال الغيب كان معه وما بقي إلا عظامها، فأخذ العظام ومرر عليها يده وقال: أيتها العظام المتفرقة الأوصال المنقطعة: اذهبي بسم الله الرحمن الرحيم. فذهبت وزة سوية وطارت في الجو ثانية .[116]

* الأسد يكلم الرفاعي بلسان فصيح الفصيح :

وذكروا أيضاً أن الشيخ الرفاعي رأى أسداً يفترس شاباً وقد « خلع » كتفه من يده ومكث يأكله. فزجره الشيخ الرفاعي زجراً شديداً وقال له: يا خلق الله أما نهيتكم عن أذية الخلق الذين يمرون ببلادنا [7] فنطق السبع وأتى إلى حضرة الشيخ مسلما عليه بلسان عربي فصيح قائلا له:

« يا سيد السادات وصاحب الجود والكرامات: لي سبعة أيام ما أكلت شيئا، وهذا الشاب أرسله الله لي رزقا مقسوما .

---

(115) قلادة الجواهر 102 .

(116) قلادة الجواهر 73 .

(7) هذه الصيغة مأخوذة من الرسالة القشيرية للقشيري ص 163 منسوبة إلى أبي الخير التيناتي .

فالتفت إليه الشيخ الرفاعي بنظر الغضب والجلال، فوقع السبع ميتا في الحال، فأخذ الشيخ ذراع الشاب ووضعها في مكانها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم. ومسح عليه بيده المباركة فعاد كما كان أولا بل أشد وأقوى ».(117)

وهذه القصة منسوبة إلى آخر غير الرفاعي وهو الشيخ عزاز بن مستودع البطائحي ذكرها النبهاني في جامعه. (118)

قال الصيادي: « وحكي أن الفقراء ـ أي الصوفية ـ كانوا يتواجدون فداسوا طفلا كان نائما فمات وترضرض حتى لم يعد يعرف ظهره من بطنه، فأحياه الشيخ بعد موته.(119)

وحكي أن أمير مصر صنع لأحد الرفاعيين ضيافة عظيمة وجعل أمامه طبقا فيه دجاجة فنظر إلى الطبق وقال: « سمعت سيدي الشيخ أحمد الرفاعي يقول: الولي المتمكن يحيي الموتى بإذن الله. ثم نظر إلى الدجاجة وقال لها: قومي بإذن الله. فقامت الدجاجة وشقت المجلس وخرجت.(120)

وكذلك حكي أن الشيخ محمد سراج الدين الرفاعي المخزومي قد مر بغلام يذبح شاة فلما رآه والشاة تختبط مذبوحة وقد قرب خروج روحها قال للذابح:

يا واضع السكين بعد ذبيحه   في فيه يسقيه رحيق لهاته

ضعها بجرح الذبح ثاني مرة   وأنا الضمين له برد حياته

فأعاد الذابح السكين إلى الجرح، فانتفضت الشاة سليمة لا جرح فيها ولا ذبح

(117) قلادة الجواهر 91، وانظر روضة الناظرين للوتري 58 ـ 59.
(118) جامع كرامات الأولياء 2 / 151 .
(119) إرشاد المسلمين 82، جامع كرامات الأولياء 1 / 296.
(120) إرشاد المسلمين 124 ـ 125، روضة الناظرين للوتري 134 .

.(121)

وجاء رجل إلى الشيخ عثمان بن وروزة البطائحي ومعه ثور ليدعو له بالبركة، فأمر الشيخ السباع واحدا تلو الآخر أن يأكلوا من ثوره حتى لم يبق من الثور قطعة لحم ثم أعاده الشيخ له سمينا أكثر مما كان ولم يتأثر بأكلهم إياه.(122)

وكان الشيخ أبو محمد الشبنكي جالساً على السطح وحده فاجتاز به أكثر من مائة طير واختلطت أصواتها، فقال: « يا رب قد شوش علي هؤلاء. فنظر فإذا الكل موتى. فقال: يا رب ما أردت موتهم. فقاموا ينتفضون وطاروا. (123)

* نقل المرض من رجل إلى آخر :

وبإمكان الولي عند الرفاعية دفع المرض من شخص وإصابة بريء به.

فقد روي عن إبراهيم الأعزب ـ ابن أخت الشيخ الرفاعي ـ أنه زار مريضا عليه جرب كثير، فشكى إليه المريض كثرة التألم بهذا المرض فالتفت الشيخ إبراهيم إلى خادمه وقال له: أتحمل هذا الجرب عن هذا الفقير؟ فقال: نعم يا سيدي. فقال الشيخ: قد حملته عنك وحملته هذا، فانتقل جميع ما كان على الرجل من الجرب إلى خادم الشيخ، وبقي جسد المريض الأول كالفضة البيضاء.

ثم خرج الشيخ، وخادمه يشكو من الألم، فلما كانوا ببعض الطريق رأى الشيخ خنزيرا فقال لخادمه: قد حملت عنك هذا الجرب وحملته هذا الخنزير. فانتقل الجرب إلى الخنزير وعوفي الخادم. (124)

(121) تنوير الأبصار 72، خزانة الإمداد في سيرة بني صياد 102، روضة الناظرين للوتري 112.
(122) جامع كرامات الأولياء 2 / 143.
(123) روضة الناظرين 26 .
(124) قلادة الجواهر 335، التاريخ الأوحد 65، جامع كرامات الأولياء 1 / 237 (16) قلادة =

كذلك نقلوا عن الرفاعي أنه لمس بيده عين رجل مفقود منها ماء البصر فتنورت وصارت أحسن من السليمة وأقوى مع العلم بأن الرفاعي نفسه كان لا يرى إلا بعين واحدة كما ذكر الشعراني، وأن أعداءه كانوا يلقبونه بـ« الدجال الأعور». [125]

كذلك مسح على رأس امرأة قد تساقط شعرها فعاد كما كان ومسح بيده على أحدبية ظهرها فاستقام ورجع قويما كما كان.[126]

* دفع البلاء النازل من السماء :

وقد ذكروا أن أحد تلاميذ الشيخ منصور البطائحي ـ خال الشيخ الرفاعي ـ رأى البلاء وهو نازل من السماء على العراق فاستأذن شيخه في أن يدفع هذا البلاء فأذن له الشيخ فما كان منه إلا أن أخذ قضيبا وأشار إلى السماء فتفرق البلاء واستطاع بمجرد تحريك العصا أن يرد قضاء الله النازل من السماء. [127]

وكذلك الشيخ أبو محمد الشبنكي الرفاعي: إذا مر البلاء من السماء من فوق بلدته: « الحدادية » فإنه يتمزق ويرتفع بفضله.[128]

=

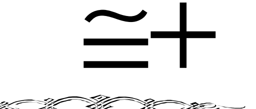
الجواهر 103، إرشاد المسلمين 32 .

(125) طبقات الأولياء للشعراني 1 / 143 .

(126) سر الحال 140 ـ 141 (ضمن مجموعة أشرف الوسائل) لأبي الهدى الصيادي تحقيق عبد الحكيم عبد الباسط ط: 1389 .

(127) قلادة الجواهر 27، جامع كرامات الأولياء 2 / 268 .

(128) روضة الناظرين 26 ـ 27 .



التصرف في الأكوان

التصرف في الكون عند المتصوفة أشبه ما يكون بالتفويض الإلهي للولي لفعل ما يريد في الكون ويصير متصفا بصفات الحق ومتميزا بميزات عديدة منها:

ما نقل عن الرفاعي أنه قال: « والولي إذا أصلح سره مع الله تعالى: كلفه ما بين السماء والأرض، ثم لا يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن يصير صفة من صفات الحق تعالى، فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره ».[129]

وزيادة على ذلك فانه يكون له حماية خمسين فرسخا، ومائة فرسخ، وألف فرسخ .. ومنهم من يكون له حماية كذا وكذا سنة.[130]

ثم لا تزال ترتفع همته وترتقي رتبته عنه الله، حتى تصير همته خارقة للسموات السبع، وتصير الأرضون السبع كالخلخال برجله، ويصير صفة من صفات الحق جل وعلا لا يعجزه شيء » [131].

وقد جعل الرفاعيون هذه المرتبة للشيخ الرفاعي، فذكروا أنه كان قطب

(129) الفجر المنير 20، قلادة الجواهر 147 ـ 148، طبقات الشعراني 1 / 143.

(130) الفجر المنير 13، قلادة الجواهر 143 ـ 144 .

(131) الفجر المنير 19، طبقات الشعراني 1 / 142 .

الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السموات، ثم صارت السموات السبع في رجله كالخلخال. (132)

* نماذج أخرى من تصرفات مشايخ الرفاعية وخوارقهم :

ونبدأ بسرد ما روي عن الرفاعي:

فيحكون أنه وقف مرة على شاطىء النهر وقال لأتباعه: « أعطاني الله التصرف في الأشياء كلها، ثم قال: سيري يا سفن وقف يا ماء، فأوقف حركة الماء حتى صار جماداً ومع ذلك أمر السفن بمتابعة المسير فسارت. ثم بدل الطبيعة الكونية مرة أخرى فأمر الماء أن يسير وأن تتوقف السفن فقال: سر يا ماء وقفي يا سفن. فسار الماء وجمدت السفن.(133)

ومثل ذلك فعل أبو علي الروزباري حين أزعجه صوت الريح واهتزاز أغصان الشجر فنظر إلى الشجر فجمدت وبقيت الريح على سرعتها وقوتها. (134)

وأصدر الرفاعي أمراً إلى شجرة بالمجيء إليه بينها وبينه نهر الفرات، وأقسم عليها بذلك قائلا: « أقسم عليك بالعزيز سبحانه إلا ما أجبت دعوتي وأتيتيني طائعة، فانشقت الأرض، وانفلق البحر، وأتت الشجرة طائعة ناطقة بلسان عربي فصيح تقول: أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وأشهد أنك شيخ الشيوخ على الإطلاق وشيخ أهل الأرض والسماء».(135)

ومن التصرفات في الطبيعة الكونية ما يروى عنه من أنه :

---

(132) ترياق المحبين 9، لطائف المنن 491، قلادة الجواهر 42 و 147 التاريخ الأوحد 107 .
(133) إرشاد المسلمين 15 .
(134) إرشاد المسلمين 10 .
(135) قلادة الجواهر 92 .

ـ كان يصلي الصبح في مكة.

ـ والظهر في المدينة.

ـ والعصر في بيت المقدس.

ـ والمغرب في بعلبك.

ـ والعشاء في جبل « قاف ».(136)

وذكروا أن الشيخ إبراهيم الأعزب كان له خمسون ألف تلميذ، فقال أحد تلاميذه في نفسه: كيف يقدر هذا على تربية هؤلاء ومعرفتهم ؟ فاطلع الشيخ على ما أسره في نفسه وقال له: أن الله تعالى جعل قلوب الكل بيدي. ثم جمع أصابعه في الهواء وإذا بتلاميذه يهرولون من كل مكان حتى امتلأ المكان، ثم بسط أصابعه فرجع كل واحد منهم من حيث جاء.(137) قال الصيادي: فانظر يا أخي إلى هذا التصريف العظيم .

كفر ظاهر: إرادة الشيخ إبراهيم عندهم غلبت إرادة الله .

وقد زعموا أن الشيخ إبراهيم هذا كانت إرادته تعارض إرادة الله في ملكه، وزعموا أن الله ناداه « سيدي إبراهيم » .

فقد حكى محمد أبو الهدى الصيادي أن الشيخ أحمد الرفاعي قال لإبراهيم: « ناداني العزيز سبحانه وقال: إني أريد أن أخسف الأرض وأرمي السماء على الأرض، فقلت: إلهي من ذا الذي يعارضك في ملكك وإرادتك ؟

قال: سيدي إبراهيم. فأخذته الرعدة ووقع على الأرض ».(138)

---

(136) قلادة الجواهر 103. وجبل قاف يعتقد الصوفية بوجوده وفيه أناس يعبدون الله لم يعصوه ولا لمرة واحدة .
(137) قلادة الجواهر 337، لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الإطلاق 485 للشعراني ط: عالم الفكر ـ مصر .
(138) قلادة الجواهر 80 .

وقد رووا عن إبراهيم هذا أنه كان يقول: « أعطاني ربي عز وجل التصريف في كل من حضرني، فلا يقوم أحد ولا يقعد ولا يضحك في حضرتي إلا وأنا متصرف فيه، فقال رجل من الحاضرين في نفسه: فها أنا أقوم وأقعد إذا شئت. فقطع الشيخ إبراهيم كلامه والتفت إلى وقال: انهض. فلم أستطع. ثم قال: يا بني ألم تعلم أن قلوب الخلق بين أيدينا كالمصابيح من وراء الستارة نشهدها رأي العين .(139)

وكان (على حد قولهم) ظاهر التصريف في البواطن والظواهر وكان إذا قال لأشد الناس خوفا من النار: اذهب إلى النار: لم يشعر بنفسه إلا في النار ويمكث فيها ما شاء الله ويخرج منها وما احترقت ثيابه، وكان إذا أحب رجلا لا يقدر ذلك الرجل على مفارقته ويجد باعثاً من نفسه يقوده إليه طوعا أوكرها.(140)

وذكروا أيضا أن الشيخ منصور البطائحي ـ خال الشيخ الرفاعي ـ حضر معركة بين جيش العراق وجيش العجم لم تقع بعد. فصفق بيده فتصادم الجيشان، ثم قبض اليد اليسرى وقال: هذه لجيش العجم. فظهر جيش العجم على جيش العراق. فلما بسطها ظهر الجيش العراقي وهزم الجيش العجمي هزيمة ساحقة.(141)

ويحكون عن الشيخ منصور أنه كان على قدر عظيم من التصريف فقد وصفوه بأن الله « أظهره للوجود، ووهبه المراتب المنيعة، وصرفه في الأكوان، وحكمه في الذرات، وألان له الصعاب، وأذل له الأسود، وجمع عليه القلوب، ونصبه قبلة للعارفين وكعبة للسالكين. (142)

---

(139) تنوير الأبصار 34، قلادة الجواهر 333 ـ 334، إرشاد المسلمين 97، التاريخ الأوحد63، جامع كرامات الأولياء 1 /237، روضة الناظرين 86

(140) روضة الناظرين للوتري 86.

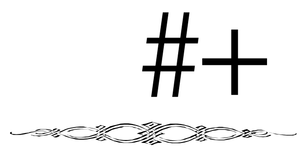
(141) روضة الناظرين للوتري 21، جامع كرامات الأولياء للنبهاني 2 / 268.

(142) إرشاد المسلمين 13 ـ 14 وكذلك أنظر 17 .

ومن الجدير بالذكر أن نجد في كتب الرفاعية ما يفيد إدانة الرفاعي نفسه لهذا التصريف الذي يدعيه الرفاعيون لمشايخهم، فقد جاء في كتاب الكليات الأحمدية أن الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله قال: « قال بعض صوفية خراسان أن روحانية بن شهريار تتصرف في ترتيب جموع الصوفية: ذلك لم يكن إلا لله الوهاب الفعال. أن تصرف الروح لا يصح لمخلوق. (143)

---

(143) الكليات الأحمدية 117.



الرفاعية يعرجون إلى السماء

ويمحون ما في اللوح المحفوظ

يكثر كلام الصوفية عن عروج مشايخهم إلى السماء وحضور ديوان الربوبية ومخاطبة الرحمن والاطلاع على ما في اللوح المحفوظ، بل بلغ الأمر بالرفاعية أن زعموا أن من مشايخهم من يعرج إلى السماء ويمحو من اللوح المحفوظ ما يشاء على ما سأنقله عنهم .. وقد نقلت مثل هذا عن كتب الطريقة النقشبندية من قبل مثل قول الشيخ أحمد الفاروقي: « كثيراً ما كان يعرج بي فوق العرش المجيد، ولقد عرج بي مرة فلما ارتفعت فوق العرش بقدر ما بين مركز الأرض وبينه رأيت مقام الإمام شاه نقشبند » إلى أن قال:

« واعلم أني كلما أريد العروج تيسر لي ».(144)

على أننا نجد مثل ذلك بين كتب الرفاعية أيضاً. فقد ذكر أن الشيخ الرفاعي قال: « أيها الفقراء: الشيخ عثمان السالم أبادي قدس الله سره يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية، وينظر ديوان ذريته: فما يجد من سيئة يمحوها ويكتب « عوضها » بلا معارضة. ثم التفت إلى ابن أخته ـ إبراهيم الأعزب ـ وقال

(144) المواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية 184، الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية 182.

له: يا إبراهيم لا يكون الرجل ممكنا في سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته فيمحو منها ما يشاء ويثبت فيها ما يشاء ».(145)

قال: « وأما سيدي حمزة قدس الله سره فرجل عظيم المنقبة، علي المرتبة، من كان له حاجة فليقصده يوم الأربعاء ،فانه يحضر ديوان الربوبية ويقضي الحوائج ».(146)

وأما سيدي الشيخ منصور قدس الله سره فانه لم يزل في السماء مثل الدلو في حوض البئر، له صعود ونزول، يقضي حوائج الناس وحوائج ذريته وأصحابه إلى يوم القيامة ». (147) يتابع الرفاعي فيقول:

سيدي منصور صاحب طريق عجيب وسر غريب، لأنه كان يقول في أكثر أوقاته: قال لي العزيز سبحانه كذا وقلت للعزيز سبحانه كذا وقال لي ربي وقلت لربي » (148)

* تحويل الشقي إلى سعيد:

وزيادة على ما يعتقده الرفاعية في مشايخهم من الإحياء والإماتة والمنع والإعطاء كما تجد مثل ذلك في شخص السيد عبد الرحيم الرفاعي شقيق علي بن

(145) قلادة الجواهر 193.
(146) قلادة الجواهر 199.
(147) قلادة الجواهر 199.
(148) الفجر المنير 20، قلادة الجواهر 181 - 182، روضة الناظرين 20 وينسب مثل هذا إلى مشايخ آخرين غير الرفاعية أنظر جامع كرامات الأولياء 163/1، طبقات الأولياء للشعراني 104/2.

عثمان خليفة الرفاعي. (149)

فإنهم يعتقدون فيهم أن بإمكانهم محو ما يشاؤون من السيئات وإثبات ما يشاءون في اللوح المحفوظ، بل وتغيير الشقي إلى سعيد وبالعكس.

ولقد رووا عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه كان يقول: « كل شيخ لا يغير صفات تلميذه ويكتب الشقي سعيدا فما هو عندنا برجل ».(150)

ورووا أنه دخل على الشيخ الرفاعي رجل مكتوب على جبهته سطر الشقاوة فمحاه (151)

* الطبيعة تتبدل من أجلهم:

قال الصيادي: « ثبت بين السادة الرفاعية أن وقفت الشمس في قرصها للسيد قطب الدين أحمد كي لا تفوته صلاته. فلما وصل إلى قرية « أم عبيدة » توضأ وصلى لوقته فسقطت الشمس غائبة لوقتها ».(152)

ولا تتوقف الشمس أيضاً عن الحركة من أجل أحد مشايخ الرفاعية، بل إنها تنكسف لموت أحدهم أيضا كما صرح بذلك الصيادي والنبهاني وغيرهما، حيث ذكروا بأن الشمس كسفت لموت إبراهيم الأعزب. (153)

وهذه مخالفة صريحة لا يغفل عنها عالم ولا جاهل، فمن منا يجهل قول النبي

(149) تنوير الأبصار 32، التاريخ الأوحد 75، قلادة الجواهر 328.
(150) قلادة الجواهر 94 .
(151) قلادة الجواهر 103 ـ 104، طبقات الأولياء لابن الملقن 98 ط: الخانجي 1973 القاهرة.
(152) إرشاد المسلمين 110، التاريخ الأوحد 71، روضة الناظرين 99 .
(153) قلادة الجواهر 337، جامع كرامات الأولياء 238/1، تنوير الأبصار 36، التاريخ الأوحد 67، روضة الناظرين 90 .

ε: **[أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته]** (154)

وكذلك تتزحزح الجبال بمجرد إشارة من أحدهم وهو الشيخ عقيل المنبجي الملقب بـ « الطيار» لكثرة ما كان يطير في الهواء (155) وتتفجر الصخرة عيونا من الماء بوكزة منه.

ويسأل عقيل هذا عن علامة الرجل المتمكن، فيقول بأن علامته: أنه لو قال لهذا الجبل تحرك لتحرك. قال: فتحرك الجبل. (156)

وهذه مواصفات وقدرات خارقة عديدة تجتمع في أحد مشايخ الطريقة وهو الشيخ عبدالله بن نجم الدين مبارك الصيادي الرفاعي الذي كان يثني على نفسه قائلا:

« منذ عامين وأنا أتلو سطور القربى، وأتقلب على بساط الصديقية الكاملة، وتحف حضرتي أقطاب الشرق والغرب ويجيئني الخضر، وأرى النبي ε «عيانا» وأتلقى عنه عليه الصلاة والسلام الأوامر الخاصة وتخدمني الهوام، وأفهم لغات الطيور والوحوش، وأسمع تسبيح الجمادات، وتمر بي حوادث الأكوان، ويرهب مكانتي الزمان، وتساعدني الأقدار بكل ما أروم ويبشرني الوارد المحمدي بالترقيات والقبول، وتسلم علي الأبدال، وتتضرع بي الأنجاب، وتنكشف لي عوالم البراري والبحار ».(157)

فهذا الرجل لم يؤت ما أوتيه سليمان عليه السلام فحسب، وإنما أوتي ما أوتيه

(154) أخرجه البخاري في الكسوف 2 / 30 ومسلم رقم (901) .
(155) جامع كرامات الأولياء 153/2، وقالوا عن عقيل المنبجي أيضاً: أنه كان له التصرف في الوجود وأنه كان من الذين يبرؤون الكمه والأبرص ويحيون الموتى بإذن الله .
(156) ترياق المحبين 45 و46، وانظر قلادة الجواهر 335، جامع كرامات الأولياء 237/1 و 268/2 روضة الناظرين 36 .
(157) تنوير الأبصار 67، خزانة الإمداد 97، روضة الناظرين 109 .

الأنبياء جملة واحدة، وربما ما لم يؤتوه أيضاً.

ومما يحكي عنه من الكرامات أن أبا بكر الدينوري سمع الصوفية يروون عن النبي ε حديث: **[من أكل مع مغفور له غفر الله له]**، فلم يصدق به فسأل النبي ε في المنام عن درجة هذا الحديث فقال له: أنا قلت هذا الحديث، وغدا تأكل مع مغفور له ويغفر الله لك .

وفي اليوم التالي أخذ نجم الدين لقمة وقال له: « كل يا أخي أبا بكر، صدق سيدي رسول الله ε: من أكل مع مغفور له غفر الله له، وأنت مغفور لك ». (158)

فالرجل لم يتحقق من الحديث بالرجوع إلى رجاله ورواته وإنما بالتحقق من النبي ε شخصياً، وهذا مشهور عند الصوفية أنهم ربما سألوه في الرؤيا عن الحديث الموضوع فيقول لهم أنا قلته، وربما سألوه عن الحديث الصحيح المتواتر فيقول: لم أقله فيعتبروه حينئذ موضوعا وأن رواه البخاري ومسلم. بمعنى آخر أن لهم إسناد خاص وحكم خاص على الحديث يأخذونه عن النبي مباشرة لا على الطريقة التي مضى عليها أهل الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما .

ثم قد ذاع عند المتصوفة أيضا دعوى رؤية النبي ε عيانا يقظة لا مناما، كما في نص الشيخ نجم الدين « وأرى النبي عيانا » وكما في ادعاء الشيخ جلال الدين الرفاعي أنه رأى النبي ε في اليقظة بضعا وسبعين مرة. والذي ألف كتابا جمع فيه من اجتمعوا به يقظة وأسماه: تنوير الحلك في امكان رؤية النبي والملك.(159)

وهو قول لا يسلم من الزامات عديدة، منها:

أن يصير الذي يراه يقظة « صحابيا » .

(158) روضة الناظرين للوتري الرفاعي 92، التاريخ الأوحد 68، إرشاد المسلمين 100.
(159) قلادة الجواهر 422 ـ 423 .

أن يصير زائر قبر النبي ε إنما يزور قبراً خالياً.

أن يكون النبي ε متنقلا تارة هنا وتارة هناك إذ أن مدعي رؤيته عيانا كثيرون بل منهم من يزعم رؤيته كل يوم بل كل ساعة، وقد بلغ الأمر بأحدهم أن ادعى أنه لو غاب عنه رسول الله ε طرفة عين ما عد نفسه من المسلمين. (160)

على أنهم ذكروا أن أبا الفضل الواسطي كان يعرف أيضا لغة الحيوانات والطيور ويذكر جميع أحوالهم وما هم عليه في البر (161).

* الطعــن بالأنـــبيــاء

لقد كنت من خلال استعراضي لسيرة الرفاعي من خلال ما كتبه عنه الرفاعيون أنهم يحاكونه بالنبي ε وببعض ما جرى له مقل حادثة شق الملائكة لصدر الرفاعي، ومثل التلميح من وقت لآخر بعصمته، بل إنهم يدفعون أولياءهم دفعا إلى مرتبة النبوة حتى انهم ليعتقدون فيهم أنهم الأولياء الكمل الذين هم في غالب أمورهم لا يعمل عملا إلا عن إذن سماوي. (162)ولا يختلف الإذن السماوي عن الوحي السماوي إلا في العبارة .

* إبراهيم υ يتعري !

وقد قالوا على سيدنا إبراهيم عليه السلام بهتانا عظيما فزعموا أنه υ تعرى ليكشف الشيخ إبراهيم الأعزب عن أعضائه .

(160) طبقات الصوفية للشعراني 2 / 14، جامع كرامات الأولياء 1 / 314 .
(161) إرشاد المسلمين 7 .
(162) قلادة الجواهر 191 .

جاء ذلك في كتاب روضة الناظرين الذي ذكر أن إبراهيم الأعزب سئل عن حال الخليل إبراهيم υ فذكر مجموع صفاته وكيفية أعضائه. فقال رجل: « من أهل العلم »: ما قاله السيد إبراهيم في شأن الخليل ما وجدناه في كتاب وما نقل عن أحد. فسمع إبراهيم الأعزب قوله فتبسم وأشار بيده إلى نحوه فنظر الفقيه إلى ذلك المكان فصرخ صرخة ووقع مغشيا عليه. فلما أفاق قال: رأيت الخليل υ وقد تعرى ليرى أعضاءه السيد إبراهيم ».(163)

ولقد أثنى الصيادي على الشيخ الرفاعي بأبيات قال فيها (164):

برقعتـــك العنايـــة الإلهيـــة   يـــا رفـــاعي بـــالبرود الـــسنية

لـم نقـل أنـت فـي مقامـك معصو   م ملكن حفظا هجرت الخطيـة (165)

أنـــت زيتـــونة كريمـــة أصـــل   لا شـــــــرقية ولا غربيــــــــة

أنـت فـرد الأغـواث يـا نبـوي ال   خلــق والخلــق يثبــت الفرديــة

ثم زعم أن الرفاعي منزه عن مرتبة الغوثية لأنه نال ما هو أعلى وأجل منها وهي رتبة النيابة عن النبوة.(166)

وهذا طعن بالألوهية والنبوة معا. فإن الله هو غياث العباد ومددهم وكشاف كروبهم ولا ينزه عن ذلك، وليست مرتبة النبوة بأفضل من تلك فضلا عن أن تكون النيابة عن النبوة أفضل من غوثية الله تعالى .

---

(163) روضة الناظرين 90 .

(164) الكنز المطلسم 20 ـ 21 .

(165) لقد أبقى الصوفية على حقيقة العصمة لدى مشايخهم لكنهم عمدوا إلى تغيير لفظ « العصمة » إلى لفظ آخر يؤدى نفس المعنى وهو « الحفظ ». فإن من عصمه الله فقد حفظه. ففي المعنى لا فرق وإنما الفارق في اللفظ فقط .

(166) قلادة الجواهر 128، المعارف المحمدية 60 و 72 .

ومن صور استهزاء الرفاعية بالأنبياء ما رووه عن الرفاعي أنه قال لأتباعه:

« يا سادة: هذا البحر الذي أنتم تغوصون فيه: غرق فيه وفي ساحله مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي. ومائة ألف وأربعة وعشرون ألف ولي. ومثلهم صديقون ما وجدوا له قراراً وحارت فيه أفكارهم، وضاعت فيه أوهامهم، وذهبت فيه عقولهم. (167)

---

(167) قلادة الجواهر 176.

ادعـــاء علم الغيب مطلقا

لم يختلف المسلمون يوما فيما بينهم عن علم الله الغيب: هل يشاركه فيه أحد كما قال تعالى: {[illegible]}. وكما أمر نبيه أن يقول: (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب).

وقد قال: «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم» متفق عليه.

وقال لجبريل υ حين سأله عن الساعة: « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ».

فادعاء الكشف عن علم الغيوب من أعظم الكذب على الله.

غير أنه يعتبر عند المتصوفة منقبة من المناقب وكرامة من الكرامات.

فالقلب ـ على حد قول الشيخ الرفاعي ـ إذا صلح صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة، وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين.[168]

وعلى حد قوله أيضاً أنه:

(168) الفجر المنير 18، قلادة الجواهر 146، طبقات الشعراني 1 / 142.

« إذا أراد الله أن يتخذ وليا أنعم عليه بأربع:

1ـ الكفاية. 2ـ الحماية.

3ـ الرعاية. 4ـ الهداية.

فإذا تحققت هذه الأربع أكرمه بأربع أيضاً:

1ـ يقرأ ما على الجباه.

2ـ ويصافح الملائكة ويصافحونه.

3ـ ويكلم الموتى وكلمونه.

4ـ ويدخل القبور فيعرف المنعم من المعذب.[169]

وإذا تحلى الأولياء بهذه الخوارق الهائلة من كفاية ورعاية وهداية وعناية فما المانع حينئذ من أن يكونوا ظل الأرض وأمان أهلها من كل خوف وأذية بعد أن ضاهأوا الله في قدرته وصاروا صفة من صفاته، يقولون للشيء كن فيكون، ويتحكمون في الكون، ويكشفون المكنون !!

الحقيقة أنهم صاروا عند الرفاعية كذلك، فقد ذكر الصيادي عن الشيخ عثمان القصير أنه قال:

«كان الشيخ علي الرفاعي ـ خليفة الشيخ أحمد ـ أمانا لأهل الأرض، وظلا ظليلا على سائر الخلق ».[170]

ولما ذكر الرفاعي أنه صحب ثلاثمائة ألف أمة وأنه كان يعرف كلامهم

(169) قلادة الجواهر 167، الفجر المنير 51.

(170) قلادة الجواهر 350.

وصفاتهم وأسماءهم وأرزاقهم وآجالهم، تعجب خادمه يعقوب فقال له الشيخ: «وأزيدك أيضاً أنه لا تستقر نطفة في فرج أنثى إلا ينظر الولي إليها ويعلم بها».

فقال يعقوب: يا سيدي هذه صفات الرب جل وعلا !!

فقال الشيخ: يا يعقوب، استغفر الله تعالى [171] فإن الله إذا أحب عبدا صرفه في جميع مملكته، وأطلعه على ما شاء من علوم الغيب .. وإذا كان الحق تعالى مع عبده كما يريد، صار كأنه صفة من صفاته ».[172]

ذكر الشعراني تلك المساجلة بين الشيخ الرفاعي وخادمه يعقوب، وزاد على ذلك بأن نقل عن شيخه (علي الخواص) شروطاً يجب توافرها في الولي الصوفي وهي:

1ـ أن يكون عنده علم يكشف به الحقائق والدقائق.

2ـ أن يعلم ما جاز وما وجب وما استحال.

3ـ أن يكون له سريان في العوالم العلويات والسفليات.

4ـ أن يكون له قوة على التلبس [173] في الصور، والتطور في الرتب.

5ـ أن ينظر أحوال مريده من اللوح المحفوظ.

6ـ أن يراقب مريده من حين كان في عالم الذر قبل وروده وهبوطه إلى أصلاب

(171) وفي قلادة الجواهر 143، وروضة الناظرين 59 أنه قال لمن أنكر في قلبه «استغفر الله مما خطر في قلبك» وهذا عجيب أن نرى مخلوقين يطلعون على القلوب ويأمرون الناس بالاستغفار مما خطر فيها، فان الذي يعلم السر وأخفى قد عفا عما يخطر في البال وهؤلاء يطالبون بالاستغفار منه !!

(172) قلادة الجواهر 68، لطائف المنن والأخلاق 470 ـ 471.

(173) بمعنى التشكل بالأشكال المختلفة.

الآباء وبطون الأمهات.[174]

وإذا كان للأولياء هذا المبلغ من الكشف والعلم الغيبي على النحو الذي يشترطه شيخ الشعراني فلا يعجب حينئذ أن يقرأ في كتب الشعراني أن شيخه المذكور كان ينظر في الميضأة فيرى الذنوب التي تتساقط عليها من أثر الوضوء، وأنه نظر مرة إلى المغطس فقال: « لا جزى الله خيرا من اغتسل في هذا المغطس فإنه قذرة وأنتنه. فسألوا عمن اغتسل فيه فوجوده رجلا كان قد فعل الفاحشة في عبده ».[175]

* نمــاذج مـن كشـوفــات مشـايخ الرفـاعيـة:

ذكر الصيادي أن من كرامات الشيخ بهاء الدين الرواس الرفاعي: « أنه كان يتكلم على خواطر أصحابه ومريديه كما في صدورهم. [176]

واعترض أحد المريدين على الشيخ إبراهيم الأعزب (ابن أخت الشيخ أحمد) فعرك الشيخ إبراهيم أذنه وزجره عن أسرار الإنكار عليه وقال له: « ألم تعلم أن قلوب الخلق بين أيدينا كالمصابيح من وراء الستارة نشهدها رأي العين » [177]

وكذلك أسر أحد مريدي الشيخ عثمان بن مروزة البطائحي في نفسه الاعتراض على شيخه في قلبه فقال له الشيخ عثمان: «ألم تعلم أني أعلم ما في قلبك». [178]

وكان الشيخ عبد الحافظ بن سرور الرفاعي له قدرة على إبداء ما في النفوس،

(174) لطائف المنن والأخلاق 462 ـ 463.

(175) لطائف المنن والأخلاق 50.

(176) خزانة الإمداد في أخبار الغوث الكبير السجاد مولانا عز الدين أحمد الصياد 171 ط: مطبعة الواعظ ـ مصر 1326.

(177) إرشاد المسلمين 97، قلادة الجواهر 333 و 335، تنوير الأبصار 34، التاريخ الأوحد 63 و65، جامع كرامات الأولياء 1 / 237، روضة الناظرين 86.

(178) إرشاد المسلمين 124 - 125.

ومحبة مريديه تزيد في إيمانهم. ونظرته تصلح قلوبهم. [179]

وذكر أن الشيخ علي أبو الفضل الواسطي يعرف لغات الطيور والحيوانات .. وكان يتكلم على الخواطر ويكشف الأسرار، ونظرته أيضا تصلح القلوب. [180]

وكشف الصوفية يحصل لغيرهم من غير المسلمين أيضاً كالكهان فن الشياطين يكشفون لأمثالهم أخبارا غائبة عنهم وهي بذاتها ليست من علم الغيب فيظن الجاهل أن ذلك كشفا من عند الله تعالى.

وقد صرح بذلك بهاء الدين الرواس فقال: « ومما لا يلتفت إليه سماع هاتف يشير إلى أمر غيبي .. وقد يكون ذلك الهاتف لا من هواتف الحق بل هو من هواتف الشياطين ». [181]

ويصف الصيادي ابن عمه المهدي الرواس في أبيات من الشعر فيقول:

بمكنـــون الغيـــب حـــوى اطلاعـــا   تـــراه بكـــل آتيـــه خبيـــرا [182]

أما الشيخ أحمد الرفاعي نفسه فقد ذكروا أن مغنيا كان يغني للصوفية، فتواجدوا وطربوا، وكان بينهم أحمد الرفاعي صغيرا، فخسف أحمد الدف، فأنكروا عليه فقال لهم: « اسألوه عما خطر بباله. فاعترف المغني أنه لما رآهم على هذه الحالة من التمايل تذكر أنه كان البارحة مع قوم فشربوا الخمر حتى تمايلوا كتمايل المشايخ الصوفية، فخطر في باله أن هؤلاء كأولئك». [183]

---

(179) جامع كرامات الأولياء 2 / 143، روضة الناظرين 134 للوتري.
(180) إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين 7 ط: مطبعة محمد أفندي مصطفى _ القاهرة 1307.
(181) بوارق الحقائق 270.
(182) تنوير الأبصار 131.
(183) روض الرياحين لليافعي 437 ط: الحلبي 1955 مصر، جامع كرامات الأولياء 1 / 297 ط: دار صادر، روضة الناظرين للوتري 18، الكواكب الدرية للمناوي 212.

* الكشف عن علوم المستقبل:

ومرض الشيخ أبو زكريا العسقلاني مرضاً شديداً حتى ظن أنه ميت لا محالة، فقال له الشيخ إبراهيم الأعزب: « أنت لن تموت في هذه المدة، قد بقي من عمرك زمان طويل. وعاش الرجل بعدها خمسين سنة ». [184]

أما الشيخ رجب الصيادي الرفاعي فكان يتنبأ بمن يأتيه من الزوار فيقول:

« الآن بعد ساعتين أو قبيل المغرب يجيء إلينا ضيف شكله كذا وثيابه كذا وفرسه كذا وهو من القبيلة الفلانية، ومعه لنا هدية كذا. فيكون كما يقول بلا اختلاف حرف واحد ». [185]

---

(184) قلادة الجواهر 336، إرشاد المسلمين 99، التاريخ الأوحد 65، روضة الناظرين 89 _ 90.
(185) تنوير الأبصار 119، خزانة الإمداد 159.

كرامات أم خرافات ؟

بجانب ما سقته عن الرفاعية من الكرامات التي تجعل لله شركاء في التصرف والقدرة وحيازة كلمة التكوين. فإني أذكر هنا نوعا آخر من الكرامات، وهي هذه المرة كرامات أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع.

ولأضرب مثالا على الحد الذي وصلت إليه هذه الكرامات أنقا ما أورده النبهاني عن أحد الأولياء أنه كان كثير التطور والتغير:

فتارة تدخل عليه فتراه وحشا، وتارة تدخل فتجده فيلا، وتارة تدخل فتجده صبيا صغيرا. (186)

ويذكر عن ولي آخر أنه: كان إذا أراد دخول الباب فوجده مقفلا: يدخل من شقوقه التي تعجز النملة عن دخولها. (187)

وإيراد مثل الحكايات على أنها كرامات هو استخفاف بالكرامة وهبوط بها إلى حد المهزلة، واستخفاف بعقول الناس، وتعريض لبعض الجهال منهم إلى فتنة إنكار الكرامة من أصلها لما يراه من أنواع الترهات المسماة بالكرامات. فيخرج بسببها

---

(186) جامع كرامات الأولياء 1 / 404 .
(187) جامع كرامات الأولياء 2 / 180 .

عما اتفق عليه أهل السنة من ثبوت الكرامة. وبالمناسبة فإن استخدام لفظ «الترهات » في حق الصوفية إنما هو صوفي المنشأ وليس مني:

فقد قيل للصوفي رويم: أوصني فقال: « .. ولا تشتغل بترهات الصوفية ».(188)

وللرفاعية كرامات قريبة من هذا النوع الذي ذكره النبهاني منها :

أن الشيخ الرفاعي سجد مرة فبقي ساجدا سنة كاملة لم يرفع رأسه أبدا حتى نبت العشب على ظهره. (189) ويتساءل المرء: أين أداء الصلوات المفروضة خلال فترة السنة هذه من جمعة وجماعة؟

بل حكى عنه أتباعه أنه حدث أن النبي ε مر برجل ساجد على صخرة منذ ثلاثمائة سنة .(190)

وذكروا أن الشيخ رجب الرفاعي كان كثيراً ما يتواجد في حلقة الذكر فيقطر من عرقه العطر النفيس الخالص كما يقطر المطر.(191)

وأن الشيخ منصور ـ خال الشيخ الرفاعي ـ كان إذا فتح فمه يخرج منه عمود من نور يخرق السموات السبع.(192)

قال الصيادي: « (أبو الفتح الواسطي) من أكابر أحمد الرفاعي. كان يقول: « اسمعوا هذا الكلام الذي له خمسة آلاف سنة ما تكلم به أحد غيري. (193) أي حتى قبل

---

(188) روضة الناظرين 13 .
(189) قلادة الجواهر 340، خزانة الأمداد 36 .
(190) حالة أهل الحقيقة مع الله 107 .
(191) تنوير الأبصار 119، خزانة الأمداد 159 .
(192) قلادة الجواهر 44 .
(193) قلادة الجواهر 405 .

مجيء النبي ε .

من كرامات الواسطي هذا أنه: كان هناك خطيب لجامع العطار ينكر على الواسطي أشد الإنكار، وكان هذا الخطيب على منبره، فتذكر أنه جنب، فمد له الشيخ أبو الفتح كمه فوجده « زقاقا» ـ أي وجد في كمه شارعا ضيقا ـ فرأى فيه ماء ومطهرة، فاغتسل وخرج وعاد على منبره يخطب، فلما ستره الشيخ الواسطي هذه السترة: اعتقده وصار من أجل أصحابه ».[194]

وبقي الشيخ عثمان بن مروزة البطائحي الرفاعي شاخصا بصره إلى السماء سبع سنوات دون طعام ولا شراب. ثم ما لبث أن « عاد إلى بشريته » فقيل له: اذهب إلى قريتك وجامع أهلك فقد أن ظهور ولد منك. فلما أراد مجامعة أهله صعد السطح ونادى في أهل القرية: يا أهل القرية، أنا فلان، اركبوا فإني سأركب فبلغهم الله صوته وأفهمهم معناه، فمن وافقه تلك الليلة رزق ولداً صالحاً. [195]

أما الشيخ عبد الله الكيال الرفاعي الحلبي فكان يشكو من رجل غير مسلم يكثر من الإنكار عليه، فنظر الشيخ إليه نظرة وهز رأسه، فصار ذلك الرجل يهز رأسه أيضاً، وتركه الشيخ الكيال وذهب، فبقي على حاله أياما يهز رأسه، ثم ما لبث أن مات. [196]

وكان الشيخ عقيل المنبجي ـ من كبار أصحاب الشيخ الرفاعي ـ يقول: « أعطاني الله الكلمة النافذة في كل شيء. ثم قام وقال: يا هوام يا حجارة يا شجر صدقوني. فوفدت الوحوش من الجبل، وملأ زئيرها وصراخها البقاع ودارت حوله

(194) قلادة الجواهر 405، طبقات الشعراني 202/1، جامع كرامات الأولياء 1 / 285 .
(195) جامع كرامات الأولياء 2 / 142 .
(196) سر الحال 145 .

ورقصت الحجارة. فهذه صاعدة، وهذه نازلة، واشتبكت الأغصان ببعضها».[197]

وكان الشيخ عبد الله بن حماد الرفاعي يعمل ميعاد السماع (الأناشيد الصوفية) حول شجرة فحصل لأصحابه وجد وأحوال، فالتفت نحو الشجرة وقال لها:

لقد رقص القلوب وتلك صخر ... فلم لا ترقصين وأنت عشب

فصارت الشجرة تهتز رقصا حتى اقتلعت من أصولها. [198]

وأنشد إبراهيم الأعزب سماعا (نشيدا صوفيا) فتواجد ثم صاح ونادى: يا للرجال قال راوي الحادثة: « فرأيت رجال الغيب ينزلون عليه من الهواء مثنى وثلاث ورباع ».[199]

وإبراهيم هذا كان من أحب الناس إلى الشيخ أحمد فقد قال له مرة: « يا إبراهيم، رمى العزيز محبتي ومحبتك في الماء والهواء، فكل من شرب الماء وشم الهواء أحبني وأحبك ».[200]

ودخل الشيخ عمر الحريري ـ شيخ الطريقة الرفاعية بحماه ـ إلى حجرته الكبيرة مع صديقه السيد عبد الله أفندي الحلبي، وإذ به يملأ الحجرة بعد أن كبر حجمه أضعافاً عما كان عليه في خلال لحظات، فارتعد السيد عبد الله، فطمأنه الشيخ عمر، وأخبره أن ما حصل له إنما كان من فرحته بحضور روحانية المصطفى ε إلى الحجرة.[201]

(197) ترياق المحبين للواسطي 46، روضة الناظرين 36 .
(198) إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين 120 ـ 121، العقود الجوهرية 41، روضة الناظرين 122.
(199) إرشاد المسلمين 98، قلادة الجواهر 337، روضة الناظرين 87 .
(200) قلادة الجواهر 330، روضة الناظرين 90 .
(201) تنوير الأبصار 118 .

وذكر الشيخ أحمد الصياد الرفاعي ـ من سلالة الشيخ أحمد الرفاعي ـ: «كنا كلما مررنا على نهر ماء استقبلت السمك الشيخ أحمد من النهر إلى الشاطئ وازدحمت على قدميه، وكذلك الدواب والغزلان في البر تقف على حافتي الطريق وتزدحم على شم قدميه الشريفين. [202] وذكروا أن الأسماك كانت تسأل الرفاعي بحق الله أن يأكلها.[203]

ووقع بين الشيخ بهاء الدين الرواس وإحدى الأشجار مساجلة كلامية حين كان مع قافلة إذ توقفت فطلب الشيخ من أحد ركاب القافلة أن يسمح له بأن يستظل تحت خيمته فأبى الرجل. وإذا بشجرة تنادي الشيخ وتخاطبه مشافهة وبصوت تقول له: ما أقل حظ صاحب هذه الخيمة، ما أبعده عن ربه، بالله عليك يا ولي الله تعالى شرفني باستظلالك عندي ».[204]

وثبت عند الشيخ عز الدين الصيادي أن الشيخ أحمد كان إذا صعد الكرسي يسمع كلامه القريب والبعيد من إخوانه حتى الأطرش والأصم، فإن الله يفتح سمعهما لكلامه فإذا انتهى الدرس عادا إلى الصمم والبكم.[205] وكان الشيخ القطناني في دمشق يسند رأسه إلى الحائط ويسمع دروس الشيخ الرفاعي في العراق وبينهما من المسير مسافة شهرين.[206]

ورأى الشيخ القوصي النبي ε في المنام يقول له: « ولدي السيد أحمد الرفاعي يربي بحاله أكثر مما يربي بمقاله. فقام مرعوبا وأتى الشيخ الرفاعي فتبسم الشيخ له

(202) قلادة الجواهر 102 و 340، خزانة الإمداد 36 .
(203) قلادة الجواهر 73، طبقات الصوفية لابن الملقن 99 .
(204) بوارق الحقائق 66 .
(205) المعارف المحمدية 120، جامع كرامات الأولياء 142/1، إجابة الداعي للبرنزحي الرفاعي 16.
(206) روضة الناظرين 132، المعارف المحمدية 120، جامع كرامات الأولياء للنبهاني 142/1.

وقال: الرجل الكامل يربي بحاله أكثر مما يربي بمقاله. [207]

وذكروا أن الشيخ أبا السعود أبا العشائر الواسطي كان إذا خلع نعليه يسمع الناس له أنينا كأنين المريض، فسألوه عن ذلك فقال: هي نفسي أخلعها عند النعال فتحدث أنينا عند زوال تكبرها. قالوا: وكان يصوم τ في المهد. [208]

وحكى الصيادي أن رجلا حضر عند الرفاعي فقال له: « يا سيد أنت تعطي الناس يدك يقبلونها فقال: ما يقبلون يدي وإنما يقبلون اسم الله العظيم. ثم مد الرفاعي أصابعه وقال: أنظر إلى أصابعي فإنها اسم الله تعالى، ففرق أصابعه وأقام الخنصر في مقام الألف والبنصر والوسطى في مقام اللمين وضم الإبهام بالسبابة حتى صار بشكل الهاء من اسم الله تعالى فتعجب الرجل ».[209]

وذكر الصيادي أن رجلا كان يكثر من أن يقول: « لا إله إلا الله. فوقع يوما على رأسه جذع فانشج رأسه وجرى الدم فكتب على الأرض: الله. الله. [210]

ويحكي لنا الصيادي عن ديك الذي عند عرش الرحمن يصيح عند الصلوات الخمس ويراه أحد أولياء الرفاعية من الأرض. فيروي أن مؤذنا أذن لصلاة العصر فقال أبو الوفا للشيخ أبي محمد الشبنكي: « يا سيدي أن هذا المؤذن أذن قبل ديك العرش فأراد أبو محمد أن يمتحن كشفه وفراسته فقال له: وأنت ترى ديك العرش؟ قال نعم قال: أرنيه فقال: يا سيدي ضع قدميك على قدمي وارفع بصرك إلى هذه الجهة العلية تراه. ففعل فرأى صحة قوله ورؤياه ففرح به وسجد لله شكرا لله الذي

(207) سلاسل القوم 22، سواد العينين 4، ترياق المحبين 5، روضة الناظرين 57.
(208) قلادة الجواهر 410 ـ 411 .
(209) قلادة الجواهر 198 .
(210) ضوء الشمس في قول النبي ε بني الإسلام على خمس للصيادي 74/1. جمعه عبد الحكيم عبد الباسط .

جعله ينظر إلى العالم العلوي. [211]

وحتى ماء بيوت مشايخ الطريقة كانت بمثابة ماء «زمزم» بالنسبة للمريدين.

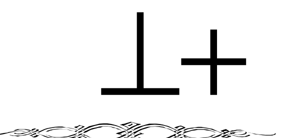
فقد كانت ماء بيت الشيخ محمود الأسمر مجربة لقضاء الحوائج والابراء من العلل، وقد جربها أهل البصرة فنفعهم الله بها.

وكذلك ماء بيت الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم العربي الرفاعي «مجربة»، فهي أعظم دواء لحل العقد وشفاء المرض وحصول الحاجات. [212]

هذه بعض ما تجده عن الرفاعي ومشايخ الطريقة في كتب الرفاعيين وهي في الحقيقة إنما تبعث على الاستهزاء بهم وبشيخهم الرفاعي رحمه الله وتجعلهم موضع النكتة والسخرية، ولهذا أعيد ما صدرت ذكره في باب الكرامات من أن الرفاعي كان محقا حين قال:

« واحذر الفرقة التي دأبها تأويل كلمات الأكابر والتفكه بحكاياتهم وما نسب إليهم، فإن أكثر ذلك مكذوب عليهم ». [213]

(211) ترياق المحبين 42، روضة الناظرين 27 .
(212) خزانة الإمداد 110 و 121، روضة الناظرين 115 ـ 116 .
(213) الكليات الأحمدية 122 ـ 123 .



تـحذير الرفاعي أتباعه من الكذب عليه

كل النصوص التي نقلتها عن الرفاعي تؤكد بأنه كان يخشى أن ينسب إليه ما كان ينسب إلى الأئمة الآخرين من قبله إذ كان يعهد مثل ذلك من الصوفية. ولذلك نجده يحذر أتباعه من الكذب عليه فيقول لهم :

« لا تسبوني من بعدي. فيقولون: كيف نسبك وأنت أمامنا وقدوتنا ؟

قال: تقولون علي قولا لم أقله، وتفعلون أمرا لم أفعله، فيراكم الناس ويسمعونكم، فيقولون لولا أنهم رأوا شيخهم، ولولا أنهم سمعوا شيخهم ما قالوا ولا فعلوا ». [214]

وقد وقع ما كان يحذره، وبولغ في اطرائه إلى أن صار غوث أهل الأرض والسماء وصارت السموات السبع والأرضون السبع في رجله كالخلخال، وصار كعبة القاصدين ورب الخوارق الواجد الماجد، وحيكت حوله أكاذيب من مولده إلى موته.

* تحذيره من كذب الصوفية على أئمتهم

والذين غلوا في الرفاعي هم أنفسهم الذين رووا عنه أنه كان ينهى عن الغلو

(214) الفجر المنير 70، قلادة الجواهر 178، حالة أهل الحقيقة مع الله 4 تحقيق صلاح عزام ط: مطبعة الشعب، القاهرة. وانظر البرهان المؤيد 4 تحقيق صلاح عزام أيضا ط: الشعب أيضا.

والشطح وما شابههما ويقول بأنهما « زندقة بشكل تصوف».

يقول الرفاعي: «وإننا ما رأينا من عواقب أهل الغلو إلا أنهم ضلوا وأضلوا وما رأينا من عواقب التشرع ـ يعني الاستقامة على الشريعة وملازمة السنة ـ إلا السلامة».[215]

وكان يحذر أتباعه من أن ينساقوا وراء حكايات المتصوفة وأكاذيبهم التي نسبوها إلى مشايخهم كما أسلفت ذلك عنه حيث قال :

« واحذر الفرقة التي دأبها التفكه بحكايات الأكابر وما ينسب إليهم فان أكثر ذلك مكذوب عليهم ».[216]

وفي موضع آخر نجده يكشف الستار عن حقيقة ما يكمن وراء دعاوى الوجد والتخشع والتزهد والتصفية التي يدعيها المتصوفة فيقول لأحد تلاميذه :

« يا بني، إذا نظرت في القوم الذين ادعوا التصوف اليوم وجدت أن أكثرهم من الزنادقة الحرورية والمبتدعة، ورأيتهم أكثر الناس جهلاً وحمقاً، وأشدهم مكراً وخديعة، وأعظمهم عجبا وتطاولا، وأسوأهم ظنا بأهل الزهد والتقوى.[217]

بل نراه يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حين نجده يؤكد اشتقاق التصوف من أحد زهاد الجاهلية في قريش قبل الإسلام، واسمه: « الغوث بن مرة بن اد بن طابخة الربط ».[218]

وكان رحمه الله يعيب على الصوفية موقفهم من الفقهاء وتذمرهم من إنكارهم الدائم عليهم قائلا :

---

(215) المعارف المحمدية 42 .
(216) الكليات الأحمدية 122 ـ 123 ط: مطبعة الواعظ ـ مصر. جمع محمد أبي الهدى الصيادي.
(217) حالة أهل الحقيقة مع الله 105، الكليات الأحمدية 156 .
(218) البرهان المؤيد 14 .

« قل يا أخي للمساكين المحجوبين من الصوفية: ما تريدون أن يوجد في قطركم هذا رجل عالم يدفع شبه الملحدين وأهل البدع والزيغ بالحجج الظاهرة ».[219]

ويستفاد من هذا النهي عن انتهاج منهج الصوفية المتسم بالغلو ما يلي :

(أولاً) اعترافه بمادة الغلو التي عرفت عند الصوفية .

(ثانياً) اعترافه بكثرة كذبهم على مشايخهم وأئمتهم.

(ثالثاً) اعترافه بأن أكثرهم هم من الزنادقة المبتدعة الذين يتسترون بالزهد والتذلل والانكسار ويبطنون العجب والتطاول على حد قوله .

(رابعاً) اعترافه بكثرة إنكار الفقهاء عليهم، وليس ذلك إلا لسهولة انتشار البدع والمخالفات الشرعية بينهم .

وموقف الشيخ رحمه الله من البدعة لا يتفق وموقف أتباعه منها، ويتجلى ذلك في قوله :

« لو عبد العابد ربه خمسمائة عام بطريقة غير شرعية، فعبادته راجعة إليه، ووزره عليه، ولا يقيم الله له يوم القيامة وزنا، وركعتان من فقيه في دينه أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل في دينه ».[220]

وقوله: « إياكم ومحدثات الأمور، قال رسول الله ع: [**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**]. اطلبوا الله بمتابعة رسول الله ع، وإياكم وسلوك طريق الهدى بالنفس والهوى، فمن سلك الطريق بنفسه ضل في أول قدم ».

ولقد بالغ الرفاعي في الحث على اتباع السنة إلى درجة قد لا يوافقه عليها

---

(219) المعارف المحمدية 79، البرهان المؤيد 91 ـ 92 .
(220) كتاب البرهان المؤيد 4 وكتاب حالة أهل الحقيقة مع الله 4. وكلا الكتابين لهما القبول عند سائر الرفاعية ويعترفون بصحة نسبتهما إليه .

كثيرون وذلك أنه قال :

« بلغنا عن بعض الأئمة أنه ما أكل البطيخ لأنه لم ينقل له كيف أكله رسول الله ε .. ما تهاون قوم بالسنة وأهملوا قمع البدعة إلا سلط الله عليهم العدو .. وما انتصر قوم للسنة وقمعوا البدعة وأهلها إلا ورزقهم هيبة من عنده ونصرهم وأصلح شأنهم.[221]

ولكن هل يوافق الرفاعيون شيخهم بأن كل بدعة ضلالة؟ وهل يتابعون الرسول ε في أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم ؟

إنهم كثر الزغل بينهم كما يقول الذهبي رحمه الله، وانتشرت بينهم البدع وعمل المخاريق، كما أن عامة المتصوفة يجيزون البدعة الحسنة ويتعبدون الله بها وإلا فما مصدر الخلوة المحرمية وأحزاب البر والبحر والأوراد التي لا تجد شيئا منها في صحيح الأذكار النبوية، وما مدى شرعيتها، وهل يقيم الله لها وزنا يوم القيامة أم أنها عائدة على مبتدعيها ومتبعيها وزرا !!

لقد أشرب غلاة التصوف حب البدعة والدفاع عنها حتى قال قائل منهم: «كل ما ابتدع على طريق القربة إلى الله تعالى فهو من الشريعة والسنة الظاهرة»[222]

إن هذا هو الانحطاط الذي جعل التصوف محط أنظار أعداء الإسلام كالباطنية وغيرهم يبثون فيه ما يشاءون من سمومهم ليجعلوا أهل السنة ينتمون إلى السنة اسما فقط مع كونهم يتبنون في الحقيقة كثيرا من مبادئ مخالفة للسنة كالقول بالعلم الباطن واستمداد العلوم والبيعات من سلسلة المشايخ الأموات وهو عين مبدأ التلقي من

(221) الفجر المنير 21، البرهان المؤيد 3 و 20 و 10 _ 11 و 57 و 65، المعارف المحمدية 13، قلادة الجواهر 220، إرشاد المسلمين 41 و 62، الكليات الأحمدية 77 _ 78، ترياق المحبين 10.
(222) الأنوار القدسية للشعراني 1 / 123 على هامش الطبقات .

المعصوم عند الباطنية، والموالد والأضرحة، ولا ننسى تعمد الفاطميين ملأ مساجد أهل السنة بالأضرحة أثناء فترة حكمهم في مصر والشام وغيرها، وكذلك الأحزاب والأوراد التي تتضمن الشرك وسجع العرافين، والسماع الذي لا يضاهيهم فيه إلا الرافضة .

ولو قفل باب البدعة لاستعصى الأمر هؤلاء الأعداء وسد في وجوههم هذا الباب وحصن المسلمون دينهم وطهروا مجتمعهم من أمراض البدع المختلفة التي تعاني منها الأمة والتي توقعهم في سخط الله بسبب تبديل السنن باستحداث البدع، فإن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأنها تخل بالتشريع الإلهي، أما المعصية فلا تخل إلا بصاحبها.

أدلة كذبهم على الشيخ الرفاعي رحمه الله وعلى غـيره

لقد ثبت لي من خلال متابعتي للكرامات المذكورة عن الشيخ الرفاعي أنه تم اقتباس العديد من كرامات السابقين المروية في كتب التصوف المتقدمة كالرسالة القشيرية.

وللدلالة على ذلك أحيل القارئ أن يقارن القصص التالية التي نسبت إلى الشيخ الرفاعي :

1ـ قصة دعوة الرفاعي والتي قال فيها: « أتستكثر علي خصلة من خصائل الكلب».

والتي ذكرها الصيادي أن يقرأ القصة عينها منسوبة إلى أبي عثمان الحيري كما في الرسالة القشيرية للقشيري، وإحياء علوم الدين للغزالي وكلاهما ماتا قبل مولد الرفاعي.

2ـ قصة الأسد الذي أكل الشاب وفيها أن الرفاعي قال له: « ألم أقل لكم لا تتعرضوا لضيوفنا ». ذكرها الصيادي منسوبة إلى الرفاعي والعبارة في الحقيقة مذكورة في الرسالة القشيرية ومنسوبة إلى إبراهيم الدقي.

3 ـ قصة الأستاذ الذي أعطى كل تلميذ من تلاميذه عصفورا وأمر أن يذبح كل

منهم عصفوره على حدة بحيث لا يراهم أحد ففعل كل منهم ذلك إلا الرفاعي فانه جاء ولم يذبح العصفور، فقال له الأستاذ: لم لم تذبح العصفور ؟

قال الرفاعي: يا سيدي شرطتم علي خلو المكان، وكل موضع ذهبت إليه رأيته مشغولا بالله .. هذه القصة ذكرها الصيادي في قلادة الجواهر.

غير أنك تجدها بتفاصيلها موجودة في الرسالة القشيرية منسوبة إلى شيخ لم يذكر اسمه لكنها بالطبع لغير الرفاعي لأن القشيري كتب رسالته قبل أن يولد لرفاعي بعشرات السنين.

ولقد روى الرفاعية من تواضع الرفاعي الشيء الكثير وأنه لم يكن يرى لنفسه مقاماً ولا رتبة ولا مشيخة حتى إنه كان يحلف بالله أن يحشره مع فرعون وهامان أن كان خطر بباله يوما أنه شيخ على أحد من الناس.

ويقول: « ما مثلي إلا كمثل ناموسة على الحائط لا قدر لها ».

إن هذا التواضع الذي يحكيه الرفاعية عن شيخهم لا يتفق مع ما نسبوه إليه من الخفض والرفع والعطاء والمنع، وكون الأرض في قبضته والدهر طائع لأمره إلى غير ذلك مثل زعمهم أنه قال:

أنا الكعبة الغرا أنا البيت والحما ... أنا المسجد الأقصى لمن جاء

أنا الدولة العظمى أنا السطوة ... تذل لها الأشياخ في البر والبحر

وكل رجال الله طافوا بحضرتي ... لوا المدادات العظيمة من ذكري

فإن عدت الأقطاب أدعى كبيرهم ... وإن عدت الأشياخ في بدئهم

وطاعت لي الحيات والأسد في ... وباسمي يلقى زمهرير على الجمر

أنا أحمد الغوث الرفاعي وبصرتي ... محط رحال القوم في مدة العمر

وأنه قال أيضاً :

أنــا الرفــاعي طبــولي فــي الــسما ... والأرض فـــي قبــضتي والأوليـــا
الْجأ بأّعتاب عزي والـتمس مـددي ... وطْف ببابي وقف مستمطرا نعمي
ولازم الــذل فــي شــطحاء منزلنــا ... تنجــو بهمتنـــا مـــن حالـــة العــدم
من لاذ فينا اكتفى عن غيرنـا أبدا ... وجـاء فـي ركبنـا بـالامن مـن نـدم

وأنه قال أيضاً:

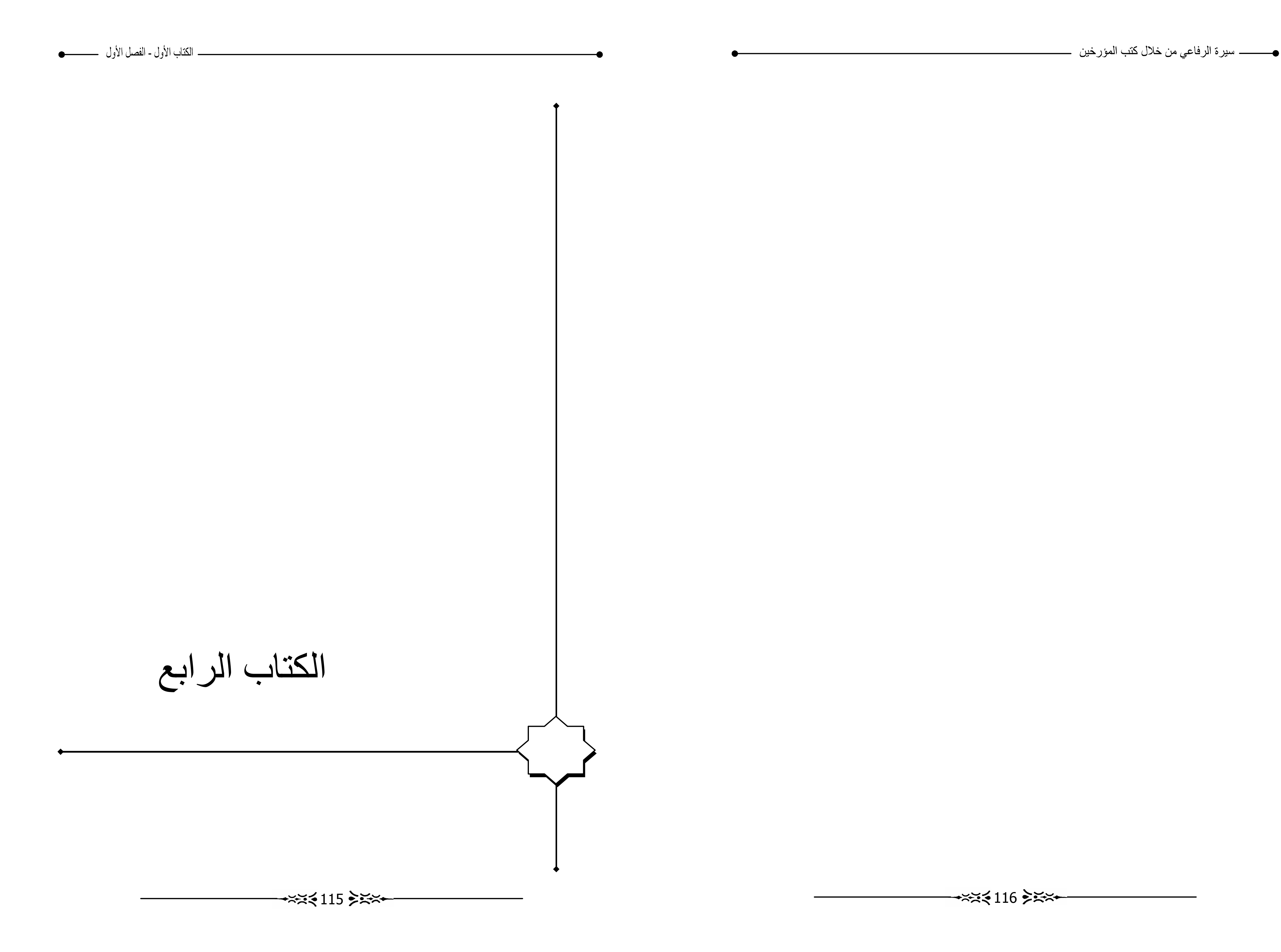
أنا الرفاعي ملاذ الخافقين فلذ في ... باب جودي لتسقى الخير من ديم
إذا دعاني مريدي وهو في الحج ... البحــار نجــا مـــن حالـــة العــدم
هـلال سـلطان عـزي للوجـود بـدا ... وحـالتي انفـردت مـن جملـة الأمـم
فلـو ذكـرت بـأرض لا نبـات لهـا ... لأقبلـت بـصنوف الخيــر والــنعم
ولــو ذكــرت بنــار قــط مــا لهبــت ... ولو ذكرت ببحر غار من عظمي
ولو دعوت لميت قام لـي ومشى ... بـــإذن ربـــي يـــسعى علـــى القــدم
ونـــوبتي ضـــربت فـــي الأرض ... ودولتي حكمت في العرب والعجم

بعد هذا نخلص إلى نتيجة هامة وهي أن سيرة أئمة التصوف كالرفاعي والجيلاني والجنيد والبسطامي في كتب وتراجم الصوفية: متناقضة وشخصياتهم مضطربة لا يمكن التعرف على حقيقة شخصياتهم من خلال كتب التصوف المليئة بالمبالغة. أن الصوفية إذا أرادوا تعريف الناس بتواضع مشايخهم تواضعهم صوروهم للناس على غاية من الضعف والمذلة، وإذا أرادوا إثبات كراماتهم وقدراتهم وصفوهم بما يوصف الله به من التمكن في عوالم الكون العلوية والسفلية وكشف خفايا الضمائر والصدور وتغيير المقدور الخ ..

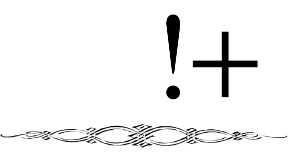
وهم مرة يجعلون الرفاعي متواضعا يرى نفسه مثل الناموسة التي على الحائط: فيحلف بالله أن يحشره مع فرعون وهامان أن خطر له أنه شيخ على أحد،

ومرة أخرى نجدهم يجعلون الأرض في قبضته، وجميع الأولياء خدما له، وينسبون إليه القول بأنه يرى نفسه شيخ الأقطاب وكبيرهم .

نقص يجب تكملته من الكتاب ص 89.



الكتاب الرابع



حـقـيـقـة الكـرامـــة

* تعريف الكرامة:

الكرامة: من الإكرام ضد الإهانة. قال الله تعالى: {➔✦✦⮟♦ ⮟✡♦ ☤❄☩⬉♦✋ ⮰❄✦⮝✦⑥ ⑤✍✉♦⇨☺ ⊞❄♦⬈✠♦✠ ⮟♦✈❄⮞🖫⭘✠⌘☸🕮} (الحج 18).

فالضال هو المهان. والمؤمن هو المكرم .

ومعنى ذلك أن الإكرام ليس مقصورا على خوارق العادات كما يتبادر إلى أفهام الكثيرين إذا سمعوا لفظ الكرامة، فإن كل من آمن بالله فهو مكرم، وليس من يحرم من خوارق العادات يكون مهانا.

* ما هي أعظم الكرامات :

إن من أعظم أنواع الكرامات: توفيق الله لعبده إلى اتباع الكتاب والسنة واجتناب البدعة كما قال الشاذلي: « ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السنة، فمن أعطيها وجعل يشتاق إلى غيرها فهو مغتر كذاب». [223]

(223) نور التحقيق من أعمال الطريق 133، طبقات الشعراني 2 / 7 .

وهذا ما يغيب المتصوفة عن تدبره وتحقيقه، فإن كثيرا من أورادهم وأحوالهم وأذكارهم ليست على السنة. وإذا حرم المسلم من كرامة التمسك بالكتاب والسنة فلن تكون له كرامة بعدها. فإن طلب الاستقامة أعظم كرامة .

إن الكرامة ليست على النحو الذي يذكره الصوفية من التصرف في الكون بكلمة: «كن» والاتصاف بصفة الغوثية والعروج إلى السماء وإثبات أو محو ما في اللوح المحفوظ، أو الخروج عن نطاق البشرية. إن هذا ليس كرامة وإنما فرية وتطاولا على مقام الألوهية. إذ كيف يصدق مسلم عاقل أن تكون «كن» بيد غير الله عز وجل؟ أو أن يكون الكون رهن إشارة مخلوق أو أن تكون القلوب تحت نظره؟ .

وهل يكرم الله أحدا من خلقه بأن يجعله شريكا له في ملكه وقدرته ؟

* لـماذا تكون الكرامة

إن الكرامة إنما تعطى من الله لتأييد دينه والذب عن شريعته وسنة نبيه ε وليس كما يصوره الصوفية من نزول طائر مشوي من السماء أو سمكة مشوية من البحر أو الطيران في الهواء. أو اللعب بالنار. أو العروج إلى السموات. وإنما يكرم الله من يعمل على رفع كلمته ضد أهل الكفر والفسق وصونه من أهل البدع.

وإن من أعظم الكرامات أن يرزق المسلم الشهادة في سبيل الله أو أن يختم له عمله بخير، فيموت على السنة والتوحيد. وأين خوارق العادات من ذلك؟

* الكرامة بين النظرية والواقع:

إننا نجد هذه الخوارق المزعومة المنسوبة لمشايخ التصوف تتزامن مع أوقات لم تخل فيها الأمة من نكبات سياسية واقتصادية بل وهزائم عسكرية وسلاطين وولاة ظلمة ولم يشهد التاريخ أي أثر لهؤلاء المشايخ، فأين كان التصرف في الأكوان أيام التتار، وأين كان الأغواث والأقطاب والأبدال أيام الصليبيين وأيام المصائب

والهزائم التي لحقت بالمسلمين؟

إن هذه الكرامات لا تعرف إلا في بطون الكتب التي أدت بالكثيرين إلى اعتقاد حصول الضر والنفع والإعطاء والمنع والمحو والإثبات والتصرف المطلق من غير الله أو معه، وكان نتيجة ذلك تحول القلوب رجاءاً وخوفاً وطمعاً وإنابة وتوكلاً وسؤالاً عنه إلى غيره. وصار الناس يخوفون المعترض عليهم هذا الشرك تماماً كما كان مشركو قريش يخوفون ذويهم الداخلين في الإسلام من خطر سب «هبل والعزى» وغيرها من الأصنام .

* أقوال الناس في الكرامة:

والناس من الكرامة على ثلاثة أصناف:

(**الأول**) قسم كذبوا بالكرامة وجعلوها محرمة لغير الأنبياء كالمعتزلة، وهذا ضلال فإن الكرامة ثابتة بالكتاب والسنة.

(**الثاني**) قسم صدقوا بالكرامة من غير تمييز بينها وبين الخدعة، وشهدوا بولاية كل من أتى شيئا من خوارق العادات من غير أن يعرضوا حاله على الكتاب والسنة. وهؤلاء كثيرا ما يلتبس عليهم الأمر. فانهم لم يفرقوا بين الكرامة وبين الخدعة والسحر. بين الكرامة وبين الاستدراج والابتلاء.

(**الثالث**) قسم يصدقون بالكرامة بعد عرض صاحبها على الكتاب والسنة، فإن كان متابعاً للسنة مجتنباً للبدعة صدقوه، وان كان مبتدعا غير متبع كذبوه ولو طار في الهواء ومشى على الماء. وهؤلاء حققوا ما قاله الشافعي والبسطامي والرفاعي: « لو نظرتم إلى رجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعلموا متابعته للسنة وحفظه للحدود وأداءه

للشريعة».[224] فهذا هو القانون الذي يعرف به هذا الخارق للعادة إن كان كرامة رحمانية أم خديعة شيطانية.

وقول الشافعي وغيره دال على إمكانية أن يلتبس أمر الكرامة على الناس فيظن عوام الناس أنها كرامة بينما هي مكر وخديعة ولا يزول هذا الالتباس إلا بالطريقة التي بينها. وهنا تعترض مشكلة أخرى وهي جهل عوام الناس بالسنة وهنا تبرز مسؤولية من آتاهم الله بسطة في العلم أن يبينوا ذلك لهم وينصحوهم ولا يخشوا في الله دجالا ولا مشعوذا فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقرب الآجال المكتوبة عن وقتها المقدر.

فالضرب بالشيش والدخول في النار والجلوس عليها ومسك الحيات، كل ذلك ليس دليلاً على الولاية، إذ أن فعل ذلك مشاهد عند الهندوس والبوذيين وغيرهم وقد رأيتهم معاينة يفعلون ذلك، ويمكن التأكد من ذلك من خلال الصور المرفقة بالبحث .

وإنما القانون الذي تعرف به الكرامة أن يتابع حال صاحبها إن كان على السنة أو كان نقيضها.

* نماذج من الخوارق التي ظنها البعض كرامات:

ولقد روى الحافظ ابن كثير أن عبد الملك بن مروان أمر بسجن الحارث الدمشقي (مدعي النبوة) ومع ذلك فقد كانت الشياطين تفك القيد من رجله كلما سجنوه وتمنع السلاح أن ينفذ في جسده. وكان الحارث يري الناس رجالا ركبانا على خيولهم في الهواء ويقول لهم إنها الملائكة. ولم يكونوا في الحقيقة سوى جن وأمر عبد الملك بقتله، فلما أمسكوه ليقتلوه طعنه أحدهم بالرمح فلم ينفذ فيه.

(224) حلية الأولياء 10 / 40، الرسالة القشيرية 14، حكم الرفاعي 13، جمهرة الأولياء 2 / 138.

فقال له عبد الملك: انك لم تذكر اسم الله عليه، فلما ذكر اسم الله طعنه فنفذ الرمح إلى بطنه فقتله.[225]

وهذا المسيح الدجال يأتي بأعظم خوارق العادات حتى انه ليقول للسماء أمطري فتمطر ويقول للأرض أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها، ومع ذلك فهو كذاب يسوق الناس إلى الضلال [226].

إذن فيجب على كل مسلم التحقق من ذلك ولا يجوز القطع بولاية كل من فعل خارقا من خوارق العادات. لأن الغاية من خرق العادة عند المشعوذين: التلبيس على المسلمين في دينهم. كما كانت الشياطين تخدع المشركين فتدخل في أجواف الأصنام وتصدر أصواتا يظنون أن أصنامهم تتحدث إليهم.

أو تحركها الشياطين من مكانها فيظنوا أنها تتحرك من تلقاء نفسها .

ولقد ذكر الشعراني أن الشيطان كان يدخل في أجواف الأصنام والغربان والعصافير ويتكلم على ألسنتها بما شاء حتى عبدت من دون الله. [227]

ويروي في ذلك قصة حدثت لأبي العباس المرسي شخصيا، وهو أنه دخل زاوية للصوفية فرأى فيها أفعالا تخالف الشرع، فلما أنكر عليهم ظهر له شخص متربع في الهواء يقول له: « أتنكر على القلندرية وأنا منهم؟ فترك الإنكار ظنا منه أن الذي ظهر عليه كان من الأولياء الصوفية .

علق الشعراني على الحادثة فقال: « ويحتاج من يترك الإنكار بمثل ذلك إلى علم وافر، يفرق به بين الولي والشيطان، فربما كان ذلك المتربع في الهواء شيطانا

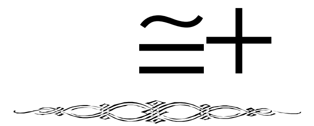
(225) البداية والنهاية 9 / 27 ـ 29 .

(226) أخرجه مسلم رقم (2937) في الفتن وأبو داود رقم (321) والترمذي رقم (2241) . لطائف المنن والأخلاق 509 .

(227) لطائف المنن والأخلاق 377 .

فيحصل لذلك الذي ترك الإنكار: التلبيس في دينه ».[228]

(228) تاريخ الإسلام (نقلاً عن شذرات الذهب لابن العماد 259/4 وانظر سير أعلام النبلاء (الحاشية) 21 / 80. وكذلك كتاب العبر في خبر من غبر للذهبي رحمه الله 233/4 ط: دار الكتب العلمية، وانظر دائرة المعارف الإسلامية 10 / 148 ـ 149.



خــوارق الرفاعية وموقف الرفاعــي منـــها

وقد ذكر الذهبي رحمه الله ما تميز به الرفاعيون عن غيرهم من الطرق الصوفية فقال: «قد كثر الزغل في أصحاب الشيخ أحمد وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذ التتار العراق، ولهم أحوال عجيبة من دخول النيران، وأكل الحيات حية والنزول في التنانير وهي تضطرم نارا، والدخول في الأفرنة، وينام الواحد منهم في جانب الفرن والخباز يخبز في الجانب الآخر، وتوقد لهم النار العظيمة ويقام السماع فيرقصون عليها إلى أن تنطفىء. وهذا لا يعرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم ».[229]

وما قاله الذهبي حق. فقد كان الرفاعي رحمه الله ينهى عن الظهور بالكرامة والفرح بها قائلا: « يا أخي أخاف عليك من الفرح بالكرامة وإظهارها، فلا ترغب للكرامات وخوارق العادات، فإن الأولياء يستترون من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض ». [230]

(229) البرهان المؤيد 18 و81-82، المعارف المحمدية 10، الفجر المنير 24 قلادة الجواهر 150، القواعد المرعية 34.
(230) الكليات الأحمدية 106 .

وكان يقول: « من أظهر كرامة فهو مدع ».[231]

* موقف صلحاء أصحابه من خوارق الرفاعية :

أما صلحاء أصحابه الذين أشار إليهم الذهبي فمنهم الشيخ شمس الدين محمد الذي كان يقول: « إظهار الكرامات مرض، وإخفاؤها سر، وما ينبغي أن تظهر الأسرار ».[232]

ومنهم سبط الشيخ أحمد الرفاعي: « صدر الدين علي» الذي كان يقول: «إظهار الكرامات مرض، وكتمها سر ».[233]

ومنهم أحمد بن محمد تاج الدين الرفاعي: « نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني عن الإمام الذهبي قوله فيه: إنه كان كبير القدر وكان وقوراً عاقلاً فاضلاً يكره دخول النار وأخذ الأفاعي » [234]. واعترف الصيادي بكراهيته لذلك. [235]

وقد حمل عليهم ابن تيمية فيما يفعلونه من تفتيل الشعر وحمل الحيات، وقال بأن هذا لم يكن من شعار الصالحين ولا من الصحابة والتابعين، ولا شيوخ المسلمين ولا الشيخ أحمد بن الرفاعي ولا غيره، وإنما ابتدعت ذلك بعد موته بمدة طويلة طائفة ممن انتسبوا إليه، مخالفين بذلك طريق المسلمين. [236]

وكذلك حمل عليهم الشيخ الألوسي الذي قال: « وأعظم الناس بلاء في هذا

(231) قلادة الجواهر 347، تنوير الأبصار 37، إرشاد المسلمين 106 - 107، التاريخ الأوحد 69 .
(232) تنوير الأبصار 55، قلادة الجواهر 353، وانظر روضة الناظرين 97 و 102.
(233) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثمانية 1 / 328 .
(234) الغارة الإلهية 50، تنوير الأبصار 57 .
(235) مجموع الفتاوى 11 / 494 .
(236) غاية الأماني في الرد على النبهاني 1 / 370 .

العصر على الدين والدولة: مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله وعبادة مشايخهم. وأعمالهم عبارة عن مسك الحيات ». ا. هـ [237]

ويظهر أن إنكار أهل العلم على الرفاعية في ذلك الزمن قد اشتد حتى أصدروا فتوى بأن: « أخذ الحيات وشرب السم والضرب بالآت السلاح مثل السيف والخنجر والسكين من الكفر، وفاعل ذلك يكفر. [238]

ولقد ضاق الصيادي صدرا بهذه الفتوى معتبرا ذلك من جملة الحسد على هذه الطريقة، وشنع عليهم في رسالته المسماة «الغارة الإلهية» واصفا إياهم بالحسدة أصحاب التعصب الواهي [239]

غير أنه هو الآخر استنكر ما يفعله الرفاعية من هذه الخوارق التي يدعون أنها كرامات على حد قوله.

قال: « وإني رأيت كثيرا ممن تصدر لمشيخة هذه الطريقة العلية الرفاعية لا يعرفون أصولها ولا فروعها ولا خلواتها ولا أورادها .. غاية ما عرفوا في هذه الطريقة اللعب بالنار والدبوس والحيات وغيرها وادعوا أن هذه البراهين كرامات لهم، حاشا ».[240]

فالعجب أن تحصل الخوارق لهؤلاء الذين تصدروا مشيخة الطريقة مع أنهم لم يعرفوا أصول الطريقة ولا فروعها ! فلم يعد من تفسير لهذه الظاهرة إلا أن تكون كما

---

(237) عن كتاب الغارة الإلهية للصيادي 2 .

(238) المصدر السابق، وانظر قلادة الجواهر 201 - 203 .

(239) قلادة الجواهر 280 .

(240) قلادة الجواهر 433 .

ذكر الشعراني خدعة من خدع شياطين الجن .

* الصيادي يصرح بأن الخوارق تقع عند ذكر اسم الرفاعي :

إن احتمال أن تكون هذه الخوارق خدعة شيطانية قريب جدا وغير مستبعد لا سيما أنها تحصل لهم عند الاستعانة بالرفاعي وندائه. والرفاعية يعترفون بأن خوارقهم لا تحصل إلا عند ذكر اسم الرفاعي وطلب المدد منه. وهذه هي مادة الشرك التي بها تحصل الخوارق بواسطة الشياطين. هذه المادة التي بها يفعل الوثنيون من البوذيين والهندوس فعل خوارق مماثلة لخوارق الرفاعية.

فالاعتراف الأول: من الصيادي نفسه الذي أنشد يثني على الرفاعي ويقول[241]:

لـه مـدد قـد أطفـأ النـار نـوره ... وعزم بـه مـا السيف أن سل بـاتر

يـذل الأفـاعي حـين يـذكر اسـمه ... وتخضع أسد الغاب وهي كواشر

يمـد ويحمـي الملتجـي لطـريقه ... سـواء بهـا بـر ومـن هـو فـاجر

****

نـاده واهجـم علـى ليـث الثـرى ... تلقــه فــي غابــه كالثعبــان

نـاده وأقبـل علـى الأفعـى تقـف ... وتناولهــا تجــدها غـصن بــان

وبهذا الاعتراف يسقط ما قاله الصيادي من أن دخول الرفاعية النار مسبوق بمعجزة إبراهيم الخليل، وأن السقوط من أعلى إلى أسفل مسبوق بإسقاطه عليه السلام

---

(241) القواعد المرعية 33، المعارف المحمدية 90، تطبيق حكم الطريقة العلية 313 للصيادي .

بالمنجنيق، وأن أخذ الحيات مسبوق بمعجزة موسى. [242]

فإن معجزة إبراهيم υ كان سببها التوحيد ومحاربة الوثنية بين قومه.

أما الرفاعية فلا تمنح الخوارق لهم إلا عند ذكر اسم الرفاعي والاستغاثة به.

وأما اللعب بالحيات فلم يكن من عمل موسى وإنما كان من عمل سحرة فرعون، فإن موسى لم يمسك حية واحدة وإنما ألقى العصا فانقلبت حية، وكانت معجزته تحديا لأخذهم الحيات الذي كان من وراءه شياطين الجن.

ثم إن الشبه إنما هو حاصل في الحقيقة بين الرفاعية وبين سحرة فرعون وليس بينهم وبين موسى. فإن الرفاعية يقولون: «بعزة الرفاعي» عند فعل الخوارق وكان سحرة فرعون يقولون: «بعزة فرعون» فكلا الفريقين يعتزون بغير الله فمن أين وقع الشبه بينهم وبين موسى؟

إنهم كانوا ـ ولا يزالون ـ يمسكون الحيات ويدأبون على اللعب بها والتباهي بذلك أمام الناس كما قال الشيخ الألوسي عنهم بأن أعمالهم «مسك الحيات والعقارب»[243]

الاعتراف الثاني: من أحد من كانوا من كبار الطريقة الرفاعية في هذا العصر واسمه « مصطفى السعدني [244] بقي في هذه الطريقة زمناً طويلاً إلى أن نال فيها مرتبة « الشاويشية » ثم رجع عنها. وقد التقيت به فترة بمصر، ثم أرسل إلي رسالة أخبرني فيها أنهم كانوا يستغيثون بالرفاعي ويطلبون منه أن يذلل لهم الثعابين فيتمكنون من تذليلها، وكانوا ينادون باسمه ويغرسون الدبابيس في وجوههم، والصيغة كانوا يقولونها كالتالي :

(242) غاية الأماني 1 / 370 .
(243) مصري من قرية « إيتاي البارود » محافظة البحيرة .
(244) يقصدون بالأول: الرفاعي وبالثاني البدوي .

ناد على الأربعة يلي أنت لهم محتاج

أربع سلاطين أمارى لابسين التاج

أحمد ويا أحمد [245] نظرة يا أبا فراج

دسوقي وجيلاني نظرة يا ساكن بغداد

أنا لاموني العوازل لقول سر الكرام راح فين

أنا لهجم على الدبوس وقول مددين

مدد يا أبا العلمين

قال: ثم نغرس الدبوس بهذا الدعاء الشركي، الذي به كنا نمسك الثعابين ونخرجها من الشقوق أمام الناس في القرى.

وقد أخبرني شخصياً أن أهم ما جعله يعيد النظر في انتمائه إلى الرفاعية هو قصة ذوبان الشيخ الرفاعي وتحوله إلى ماء كلما ذكر ربه، وما تتضمنه هذه القصة من الخرافة التي لا يمكن للعقل استساغتها.

وهنا ينجلي الأمر وتنكشف حقيقته، فان الشياطين وراء هذه الخوارق يسوقون الناس بها إلى الشرك بالله واعتقاد حل المشكلات وكشف الكربات والآتيان بالمعجزات بواسطة الرفاعي والبسملة به لا بالله .

وهذا هو السر في اعتراف الشيخ صالح الرفاعي أحد كبار الرفاعية أمام ابن تيمية وأمام أمير البلاد بأن: « أحوالنا ما تنفذ أمام أهل الكتاب والسنة وإنما تنفذ أمام من لا يكون كذلك من الأعراب والترك والعامة ».

فذكر ابن كثير أنه قال: « نحن أحوالنا إنما تتفق عند التتار، ليست تتفق عند

(245) البداية والنهاية 14 / 36.

الشرع ». قال ابن كثير: فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة. (246)

وذلك لأن أهل الشرع والسنة تؤيدهم الملائكة فتنكص الشياطين حينئذ على أعقابها كما نكصت يوم الزينة يوم حشر الناس ضحى، وانكشف للناس السحر وبطل عمله. ولا يفلح الساحر حيث أتى .

* كيفية حصول هذه الخوارق بالتفصيل :

أما الكيفية التي تحصل بها هذه الخوارق فيبينها ابن تيمية الذي كان له مع الرفاعيين مواقف عديدة، قائلا بأنهم « لا يدخلون النار إلا مع خروجهم عن الشريعة، فإن الشياطين تلابس أحدهم بحيث يسقط إحساس بدنه، حتى أن المصروع يضرب ضرباً عظيماً وهو لا يحس بذلك ولا يؤثر في جلده.

فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين وتدخل بهم النار وقد تطير بهم في الهواء .

وإنما يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله كما يلبس الشيطان المصروع .. ومنهم من يصعد في الهواء ويأخذ الحديد المحمى بالنار ثم يضعه على بدنه ».

أضاف: «وهؤلاء عندهم أحوال شيطانية تعتريهم عند السماع الشيطاني، فتنزل الشياطين عليهم كما تدخل في المصروع، ويزبد أحدهم كما يزبد(247) المصروع، وحينئذ يباشر النار والحيات والعقارب، ويكون الشيطان هو الذي يفعل ذلك ». (248)

وهذه الأحوال ـ والكلام له ـ لا تحصل لهم عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند

---

(246) الزبد: عبارة عن كثرة التماوج والهيجان والاضطراب .
(247) مجموع الفتاوى 11 / 610 - 611 .
(248) مجموع الفتاوى 11 / 575 .

قراءة القرآن، لأن هذه عبادات شرعية إيمانية إسلامية نبوية محمدية تطرد الشياطين وتلك عبادات شركية شيطانية فلسفية تستجلب الشياطين ». (249)

وللرفاعية مراسم يجتمعون عليها، ومن هذه المراسم: عدة النوبة وهي عبارة عن الدفوف يضربونها ليالي الجمعة والجمع، يرفعون الألوية والرايات ويضربون الدفوف، ففي إحدى زوايا الرفاعية ـ وهي زاوية الشيخ سلمان البارودي ـ في مدينة طرابلس تجري حلقات ما يسمى بالذكر كل ليلة جمعة تستخدم فيها « الآلات الموسيقية » بشكل إيقاعي، وخلال الذكر يقوم بعض المشايخ باستعمال الشيش ويبدأ بطعن المريدين ويمسك الجمر المحمى. وفي زاوية الشيخ أحمد الرافعي يعملون ذكر النوبة هذا ويضربون أنفسهم بالسلاح والشيش والنار.(250)

* الأستاذ سعيد حوى والرفاعية

ولقد اغتر الأستاذ سعيد حوى رحمه الله بما يفعله الرفاعية من كونهم يدخلون النار ولا تؤثر فيهم، ويضربون أنفسهم بالرصاص أو بالسيوف ولا يؤثر ذلك فيهم، معتبرا أن هذا من أعظم فضل الله على هذه الأمة، مع أنه اعترف في نفس الوقت أن مثل هذا قد يجري على يد بعض الفساق. قال:

« إن الحجة الرئيسية للمنكرين أن هذه الخوارق تظهر على يد فساق من هؤلاء كما تظهر على يد صالحين ». أجاب: « هذا صحيح، والتعليل هو:

1ـ أن الكرامة ليست لهؤلاء بل هي للشيخ الأول الذي أكرمه الله عز وجل بهذه الكرامة وجعلها مستمرة في أتباعه .

---

(249) طرق الصوفية ومشايخها في طرابلس 126 للدكتور محمد درنيقة ط: دار الإنشاء. طرابلس 1984 .
(250) تربيتنا الروحية 217 - 218 .

2ـ أن هذا قد يكون استدراجا في حق بعض أتباعه الفساق. [251]

الجواب:

1ـ أما قوله: « أن حجة المنكرين الرئيسية كون هذه الخوارق تظهر على يد الفساق من أتباع الطريقة » أن هذه الحجة ليست هي الرئيسية كما ذكر.

وإنما السبب الرئيسي في الإنكار: كون هذه الخوارق تظهر على غير المسلمين كالبوذيين والهندوس مما يؤكد أن هذه الخوارق ليست في حقيقتها كرامات وإنما خدع شيطانية قد تنطلي على فاعليها أيضاً حيث يظنون أنها كرامات وهي في الحقيقة خداعات. ولولا ذلك لقلنا بأن ما يفعله أولئك البوذيون والهندوس كرامات أيضاً.

2ـ أنه إذا كان الرفاعية يضربون أنفسهم بالرصاص ولا يؤثر فيهم ويدخلون الشيش في بطونهم ويخرجونه من ظهورهم: فانه يصير من الواجب عليهم والحالة هذه أن يستعملوا هذه الكرامات لصالح المسلمين فيتحتم عليهم إخراج الأمة من هذا الذل والهوان وتسلط الأعداء على بلاد المسلمين إذ ماذا ينفع المسلمين أن يقف هؤلاء وسط المحتشدين من عامة الناس ويفعلون هذه الخوارق بينما كان الأولى بهم ـ إذا كان عندهم شيء من الكرامات ـ أن يذهبوا وكراماتهم إلى ساحات الجهاد ليريحوا المسلمين من تسلط الكفار والباطنية على بلاد المسلمين.

3ـ لعل الأستاذ سعيد رحمه الله غفل عما يقوله هؤلاء عند إدخال الشيش والضرب بالنار من كلمات الشرك التي يتعلمونها من مشايخهم مثل أن يقسموا بالرفاعي من دون الله ليحقق لهم هذه الخوارق وينادونه باسمه. وهذا ما صرح به

(251) قلادة الجواهر 433 .

الصيادي وغيره من الرفاعية حيث قال بأن الرفاعي [252]:

لـه مـدد قـد أطفـأ النـار نـوره	**وعزم بـه ما السيف أن سل باتر**
يـذل الأفـاعي حـين يـذكر اسـمه	**وتخضع أسد الغاب وهي كواشر**
نـاده واهجـم علـى ليـث الثـرى	**تلقـه فـي غابـه كالثعبـان**
نـاده وأقبـل علـى الأفعـى تقـف	**وتناولهـا تجـدها غـصن بـان**

4ـ إن للكرامة سببا مهما وعظيما، ألا وهو نصر الدين ورفعته، وتأييد المؤمنين في حربهم ضد الكفار والمشركين، وماذا تنفع الكرامة إن كان أهلها أعزة في ساحات الاستعراضات أذلة: مستضعفين عاجزين عن مقاومة أعدائهم في ساحات الجهاد؟!

إن الصوفية يكثرون من التحدث عن صنوف الكرامات، ولا يتدبرون السبب الذي من أجله يعطي الله هذه الكرامات، ذلك أن كرامات الأولياء إنما هي امتداد لمعجزات الأنبياء التي أيدهم الله بها لإقامة دينه وإخضاع أعداء المسلمين .

5ـ أن الأستاذ سعيد وغيره يدركون تماما أن هذه الخوارق لا تحصل عند تلاوة القرآن، وإنما تحصل عند استعمال الآلات الموسيقية كالطبل والدف والمزامير وغيرها، فهذا دليل آخر على أن حالهم شيطاني وليس إيماني .

6 ـ أن بعض من شهدهم حدثني أنهم كانوا يشترطون عليهم ألا يقرأوا قرآنا ولا يتكلموا بشيء البتة. وقد طلبوا من أحد إخواننا أن ينصرف عنهم حيث كان يتمتم بالذكر وقراءة القرآن مما أدى إلى جرحهم لدى إدخالهم الشيش حتى قالوا: إن بين الحاضرين رجل روحه شريرة فلينصرف عنا .

وحكى لي أحد الثقات من أهالي عكار أنهم أدخلوا الشيش في ولد أحد أقاربه

(252) تفسير المنار 10 / 290.

فأصيب الولد بجرح عميق وأسرعوا به إلى المستشفى، وأقسم والده أنه أن مات سيقتلهم واحداً واحداً لكن الولد لم يمت .

وقد طلب أحد مشايخ التصوف في بيروت من مريده أن يجلس على الموقدة وينادي باسم الشيخ غير أن مقعدته احترقت وأخزى الله الكذب وأهله.

وقد زعم أمامي واحد من أهل الطريقة الرفاعية أن من إكرام الله لهم حاصل في كونهم يأكلون الزجاج أمام الكفار وأن عاينوا الزجاج في بطنه وتأكدوا من صحة ذلك وأدى ببعضهم إلى الإسلام. فقلت: هذا من جهل أولئك بحقيقة الأمر، فإنهم لو علموا أن هذا يحدث للوثنيين والبوذيين لربما ارتدوا على أعقابهم، بل ويحدث مثل ذلك أيضا على مسارح السيرك، ولقد شاهدت بنفسي في أحد أندية السيرك هذه كيف يدخل الساحر الشيش في الفتيات، بل قد رأيت أحدهم كيف يقسم الفتاة بالسيف إلى نصفين، هذا وهو غير مسلم أصلاً.

* الشيخ رشيد رضا والرفاعية :

ويؤكد الشيخ رشيد رضا أن ما يفعله الرفاعية من اقتحام النار وضرب الشيش وإدخال الحديد المحمى في ألسنتهم وأكل الحيات والحشرات إنما هو من الشعوذة التي لا ينفردون بها عن غيرهم، بل إنها منتشرة بين كثيرين من المنتمين إلى أديان ومذاهب ونحل مختلفة وفي أقطار عديدة. (253)

ويحكي قصة حدثت له معهم فيقول :

«لقد شاهدت عمل الرفاعية في إدخال السيف في البطن والحربة في جفن العين، وقد أحرجت واحدا منهم وطلبت منه أن يمكنني من وضع النار حيث أريد من

(253) تفسير المنار 22 / 25 - 26 .

بدنه فلم يقبل، ثم استتبته فأظهر التوبة عن مخادعة الناس بذلك ». (254)

* خوارق من نوع الحيل :

على أن هناك نوع آخر من الخوارق ليس سببه مباشرة الشياطين وإنما يتم بطريق التعلم والحيلة، مثل أن يمسك بعضهم الحية من عنقصها حتى لا تضره، وتارة يمسكون الأفاعي المائية، أو يسلخون جلد حية ويحشونه طعاما، وكم قتلت الحيات من أتباع هؤلاء ».

وهناك نوع آخر من الحيل التي يستخدمونها ذكرها ابن تيمية: وهي أنهم كانوا يستعملون بعض الدهون المعروفة مثل: دهن الضفادع والنارنج وحجر الطلق يدهنون بها لحاهم ووجوههم وأجسامهم فتحول ولو لفترة وجيزة بينها وبين النار. ولما كان هو عليما بهذه الخدعة اجتمع بهم بحضور أمير البلاد آنذاك وتحداهم بأن يدخلوا النار ويدخل هو معهم بشرط أن يغسل الجميع أجسادهم بالماء الحار والخل، فسأله الأمير عن سبب ذلك فأخبره بأن الرفاعية يطلون أجسادهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل المعروفة. فلم يكن منهم إلا أن تراجعوا وطلبوا العفو من الأمير وأعلنوا التوبة أمام الملأ. وهذه القصة موجودة بتفاصيلها في كتاب البداية والنهاية لابن كثير. (255)

(254) مجموع الفتاوى 11 / 610 .

(255) البداية والنهاية لابن كثير 14 / 36، مجموع الفتاوى 11 / 445 .

النهي عن الخوف منهم

ويبدو أن مثل هذه الخوارق قد أدت بالبعض الى الاحجام عن الانكار على الرفاعية خوفا من أذاهم « فإنهم قد تعينهم الشياطين على الأضرار ببعض الناس بقضاء الله تعالى وقدره. غير أن هذا الإيذاء _ كما يقول ابن تيمية _ إنما يتسلطون به على من كان خارجا عن شريعة محمد ع مثل أهل الفجور والبدع الذين لا يصلون الصلوات الخمس، فهؤلاء قد تسلط عليهم بذنوبهم وخطاياهم. أما الذين يفعلون ما أمرهم الله به ورسوله ع ويخلصون دينهم لله: فلا يدعون مع الله أحدا: فهؤلاء جند الله الغالبون وحزبه المفلحون، فانه يؤيدهم وينصرهم فيهزمون شياطين أولئك الضالين، بل تهرب الشياطين حينئذ منهم .

فهذا هو سر قول أحدهم «أحوالنا لا تظهر أمام أهل السنة والكتاب». فيما رويته عنه من قبل.

قال ابن تيمية: «ولا يجوز للمؤمن أن يخافهم، فان الله تعالى يقول في كتابه:

إلى أن قال:

(256)

حقيقة العلاقة بين الرفاعية والتتار

عار لا كرامة

لقد عمل الصيادي على إعطاء الرفاعية في عهد دخول التتار إلى بغداد صورة مشرقة ودوراً بارزاً من غير إثبات تاريخي يدعم هذا الادعاء، إلا أن الوثائق التاريخية تشهد بخلاف ذلك.

فقد بين الذهبي وغيره أن فساد الرفاعية تزامن مع دخول التتار إلى العراق بعد أن سقطت بأيديهم فقال:

« قد كثر الزغل في أصحاب الشيخ أحمد وتجددك لهم أحوال شيطانية منذ أخذ

(256) أي يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وشدة . (انظر تفسير ابن كثير 1 /430).

(257) مجموع الفتاوى 11 / 669 .

التتار العراق ».[258]

وفي فوات الوفيات أن الرفاعية: «فسدت حالهم منذ مجيء التتار، وأنهم بدأوا يفعلون ما الشيخ بريء منه حين دخل التتار العراق. [259]

إن هذين النصين ليؤكدان بوضوح على أن ابتداء هذه الخوارق إنما كان متزامنا مع دخول التتار العراق، حيث كان الرفاعية يتوددون إليهم بها ليدرأوا شرهم أو لينالوا عندهم الحظوة والمكرمة والمكافأة على الخوارق التي كانوا يفعلونها أمامهم.

فقد روى المؤرخون عنهم أنهم كانوا يترددون على التتار، ويأوون عندهم ويقبلون منهم الهدايا والأعطيات .

فذكر ابن كثير مثلا أن الشيخ صالح الأحمدي ـ وهو من أكابر مشايخ الرفاعية في وقته ـ كان يأوي إلى نائب التتار " قطلو شاه " ويقيم عنده وكان هذا الأخير يكرمه جداً. وهو الذي كان قد قال لابن تيمية أمام الأمير: « أحوالنا لا تتفق إلا عند التتار، وأما عند الشرع فلا ».[260]

وقد اعترف الوتري والصيادي بمنزلة الشيخ صالح عند التتار وأنه كان يقيم عندهم ويكرمونه خلال إقامته عندهم.[261]

إن خوارق الرفاعية قد أكسبتهم الحظوة والرضا عند التتار ومنعت عنهم القتل والتنكيل الذي أصاب كثيرا من المسلمين آنذاك، ولم تكن هذه الخوارق تحديا للتتار.

(258) العبر 233/4. ط: دار الكتب العلمية .
(259) فوات الوفيات 4 / 240 .
(260) البداية والنهاية 14 / 47 و 36 .
(261) قلادة الجواهر 204، روضة الناظرين 141، وانظر الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر 2 /201.

إذ لو كان الأمر كذلك لشملهم القتل والتنكيل .

ولو كانت أحوالهم كرامات من عند الله فأين كانت هذه الكرامات عند دخول التتار عنوة إلى بغداد يوم قتل فيه أكثر من مليوني مسلم؟ أين كان التصرف في الأكوان، أين الأمان الذي تحقق بهم، ولماذا لم يرفعوا البلاء الذي نجد في كتب الرفاعية أن مشايخهم كانوا يرفعونه بالقضيب والعصا؟

* هل أسلم زعماء التتار على يد الرفاعية ؟

ولقد أراد الصيادي أن يمحو هذه الصفحة المشينة من حسن العلاقات بين الرفاعية وبين التتار وعمل على استبدالها بصفحة أخرى مناقضة لها تماما.

فادعى أن للرفاعية الفضل في دخول التتار إلى الإسلام وتخليص الأمة الإسلامية من شرهم وفتنتهم حيث استولوا على بلاد المسلمين لفترة طويلة من الزمن، وقتلوا منهم مئات الآلاف واستذلوهم.

وذكر أن اثنين من كبار زعماء التتار دخلا الإسلام على أيدي الرفاعية هما: «هولاكو» و«غازان خان» .

أما هولاكو فذكر الصيادي أنه أسلم فزعاً من الشيخ عز الدين أحمد بن محيي الفاروثي بعدما رأى بعينه دخول النار وأكل الحيات. وادعى أن ابن كثير ذكر ذلك في تاريخه وبالتحديد في حوادث سنة أربع وتسعين وستمائة [262] مع أن ابن كثير لم يذكر عن عز الدين هذا إلا أنه كان خطيبا فعزله السلطان عن الخطابة فألح عليه ألا يعزله وأخبره أنه يصلي كل ليلة مائة ألف ركعة ويقرأ في كل ركعة {♐❄♦♐♊ ⬋♦⬆✦ ⑤♐⬛♦⇨☺ ⑤☺✞☙❄❄❄♐•♎} .

(262) خزانة الأمداد في ذخيرة بني الصياد 221 ـ 222، روضة الناظرين 63.

قال ابن كثير: « وهذه دناءة وقلة عقل وعدم إخلاص من الفاروثي ».

وذكر أنه خرج مرة في جمع من الناس ليستسقي لهم فلم يسقوا، واستسقى لهم ثانية فلم يسقوا، ثم سقوا بعد ذلك من غير دعائه. (263)

ثم إن الصيادي نقض ما قاله عن عز الدين الفاروثي، فزعم في موضع آخر أن إسلام هولاكو ورجوعه عن الكفر والزندقة كان على يد الشيخين « بندي ويعقوب » اللذين دخلا النار أمامه وشربا النحاس المذاب والسم. (264)

والقولان على تناقضهما يردهما المؤرخون الذين أكدوا موت هولاكو كافرا مصابا بالصرع. وأنه مات على ملة الكفر .

قال الذهبي: « ومات طاغية المغول » هولاكو بن تولى بن جنكيز خان الذي أباد الأمم ببغداد وحلب .. مات على دينه بعلة الصرع. (265)

وقال ابن كثير: « وجاءت الأخبار بأن هولاكو هلك إلى لعنة الله وغضبه بمرض الصرع .. وكان ملكا جبارا فاجرا لعنه الله. (266)

أما « غازان خان » فقد زعم الصيادي أنه أسلم على يد عثمان سيف الدين بن عز الدين الرفاعي. (267) وهذا غير صحيح أيضاً، فان إسلامه كان بناء على إشارة من نائبه « نورور » كما صرح الذهبي بذلك حيث قال: « ونثر الذهب واللؤلؤ، ولقنوه شيئاً من القرآن، وفشا الإسلام في التتار ».(268)

(263) انظر البداية والنهاية 13 / 329 _ 330 .
(264) قلادة الجواهر 218 _ 219 .
(265) كتاب دول الإسلام 169/2 ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب _ مصر، فوات الوفيات 4/ 240.
(266) البداية والنهاية 13 / 245 و 248 .
(267) خزانة الأمداد 212، روضة الناظرين 100.
(268) دول الإسلام 196/2.

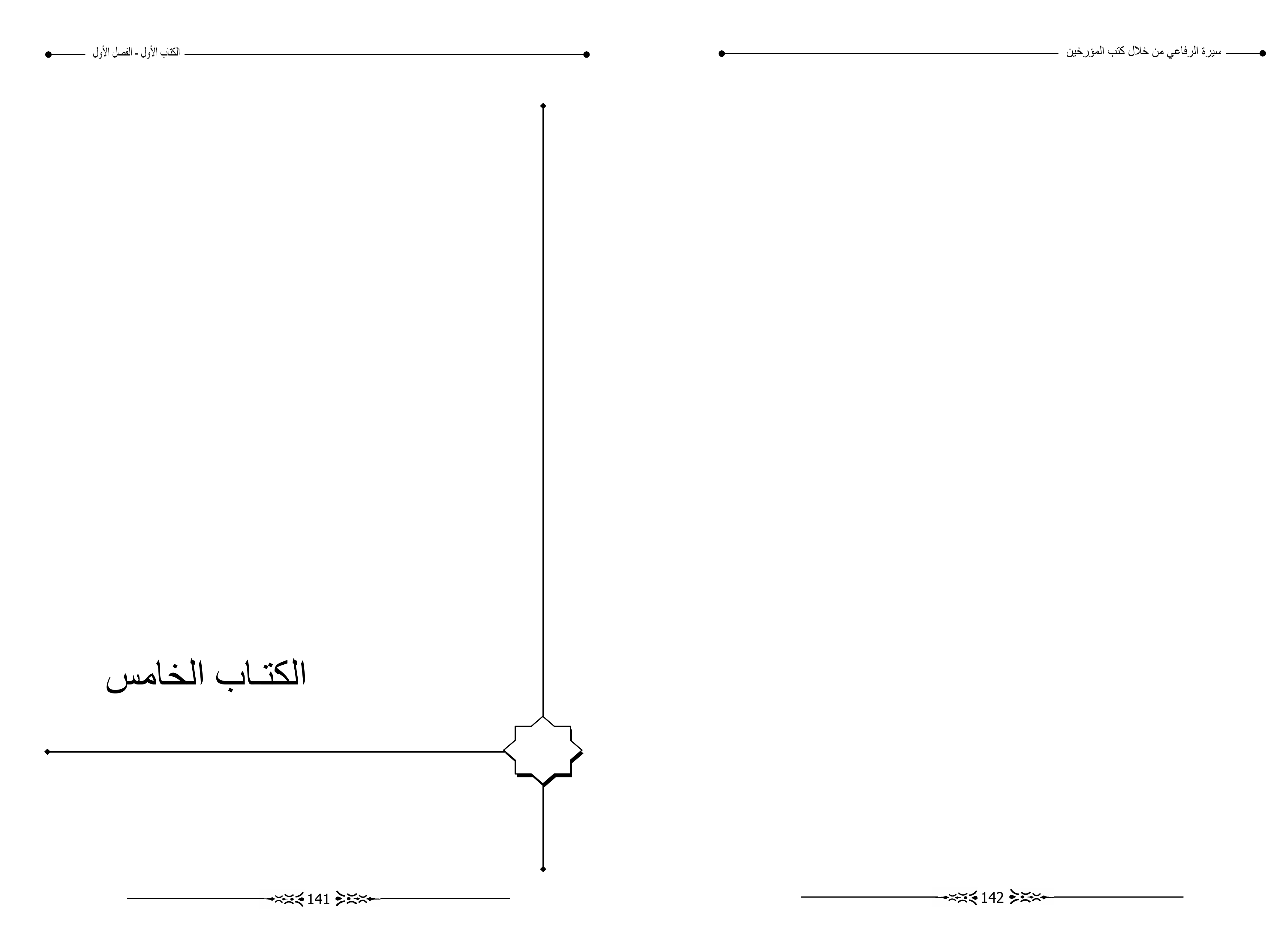
وبالتالي فإننا ننتهي إلى أنه لم يسطر التاريخ للرفاعية أي فضل في دخول التتار إلى الإسلام وإنما على العكس من ذلك فانه يشهد بفساد أحوالهم وكثرة الزغل بينهم منذ دخل التتار العراق.

إن هذا الذي ذكره الصيادي لم تشهد به كتب التاريخ بل ولا طبقات التصوف المتقدمة ولم يكن معروفا حتى جاء هو وطرح دعواه التي لا دليل عليها، وإنما يمكن الشهادة بضدها استنادا إلى كتب التاريخ والطبقات التي بينت أنهم كانوا يتولونهم ويتقربون إليهم.

وهذا ما عرف عن الرفاعية حتى المتأخرين منهم، فقد روي عن أحد كبار مشايخهم في عصرنا الحاضر واسمه الشيخ وهيب البارودي الرفاعي الطرابلسي (ت 1362)، أنه عمل أستاذا في معهد الفرير (269) وتتلمذ على يديه المطران عبد وجورج صراف وسابا زريق وغيرهم من كهان النصارى وكان لهم معه أطيب العلاقات، وكان هو بدوره يقيم معهم علاقات ودية وصداقات مع رجال الدين المسيحي إلى درجة أنه كان يرسل أبناءه لحضور احتفالات المسيحيين في الكنائس.(270)

ولا يزالون إلى اليوم تحت نظر وتأييد المتسلطين على بلاد المسلمين في مصر وغيرها، وفي لبنان يسرحون ويمرحون تحت عناية النظم المتسلطة عليه والتي يعاني منها المسلمون الويلات والدمار والقتل والسجن.

(269) وهو معهد نصراني أسهم في تضييع كثير من أبناء المسلمين في لبنان وعمد إلى تربيتهم تربية نصرانية تبعدهم عن دينهم. وترغبهم بالديانة النصرانية .
(270) الطرق الصوفية ومشايخها في لبنان 119 _ 120 محمد درنيقة ط: دار الإنشاء بطرابلس .



الكتـاب الخامس

نماذج غلو الرفاعية في شيخهم ومشايخهم

قالوا عن الرفاعي: إنه:

« كعبة القاصدين وقبلة أهل الحال ». [271]

وأنه « كما أن الكعبة قبلة المصلين، وكما أن العرش قبلة أصحاب الهمم، فكذلك الشيخ قبلة المريدين. [272]

فالعرش قبلة الهمم، والكعبة قبلة الجباه، وأحمد قبلة القلوب ». [273]

وهم بذلك جعلوا للمسلم أكثر من قبلة وجعلوا أخصها: أحمد (القبلة) إذ القلوب تتجه إليه بينما يتجه الناس إلى سواه بهممهم وجباههم، وكأن قلوبهم تكون منعزلة عن الكعبة حين يتوجهون إليها. فجعلوا الرفاعي ندا حتى للكعبة لا سيما حين أخبروا أنها أتت بنفسها والرسول ع إلى قرية الرفاعي [274].

وأنه « غوث الثقلين » أي الذي تستغيث به الجن والإنس [275] بل إن النعجة

(271) القواعد المرعية 7، التاريخ الأوحد 103، الفخر المخلد 2، المعارف المحمدية 73.
(272) الفجر المنير 88، قلادة الجواهر 132، روضة الناظرين 73 .
(273) روضة الناظرين 73 .
(274) روضة الناظرين 59 .
(275) صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار، عن كتاب النجوم الزواهر 66، لأحمد الرحبي الحسيني ط: دار الحرية _ بغداد 1980.

تستغيث به إذا هاجمها الذئب وتقول بلسان فصيح أدركني يا سيدي أحمد [276].

وأن الله صرفه الله في الكون [277]

وأنه « مجيب الدواعي [278] وأمان الخائفين، والمتحكم في ذرات الكون [279]

وأنه ملجأنا وملاذنا ومفزعنا وولي نعمتنا. [280]

وأنه كشاف المدلهمات والكروب [281]

وأن التمسك بأذياله من أسباب النجاة. [282]

وأن الله ختم به الولاية فهو « خاتم الأولياء ». [283]

وأن الله جعله ظلا ظليلا وأمانا لأهل الأرض، وأن مقامه وخلافته تشهد بها السموات والأرض، وأن كل الناس أجابوا ولايته، حتى الذر الذين لم يزالوا في أصلاب الآباء قد شهدوا بولايته. [284]

فبه يدفع الله البلاء، وبه يمطر السماء وبه يرحم الخلق، وبه تخضر الأرض، وبه يدر الضرع، وبه تنزل البركات، وبه ترفع الدرجات. [285]

(276) المعارف المحمدية 72 _ 73 .
(277) قلادة الجواهر 72 .
(278) قلادة الجواهر 427، ضوء الشمس في قول النبي صلى الله علي وسلم بني الإسلام على خمس 1 / 134 للصيادي .
(279) إرشاد المسلمين 13 _ 14 .
(280) قلادة الجواهر 17، الفرقان 14 و 36 ، القواعد المرعية 28، ضوء الشمس 1 / 304 .
(281) الفخر المخلد 3 .
(282) القواعد المرعية 38 .
(283) المعارف المحمدية 90، قلادة الجواهر 36 و 432، التاريخ الأوحد 108 .
(284) قلادة الجواهر 35 _ 36.
(285) قلادة الجواهر 131 .

ووصفوا الشيخ رجب الصيادي الرفاعي بأنه « رب الخوارق والفواصل، الواجد الماجد ».[286]

وقالوا بأنه لو قدر أن يكون الرفاعي حيا في زمن النبي ع لنزلت فيه آيات تتلى.

نقل ذلك الصيادي عن صدر الدين السبكي الذي رثى الرفاعي ببيتين من الشعر قال فيهما [287] :

يـا ابـن الرفـاعي يـا مـن شـمس   لهـا بكـل فجـاج الكـون عنـوان
لو كنـت في زمـن المختـار شافعنـا   لجـاء فـي خلقـك الممـدوح قـرآن

وقد يرون مثل ذلك لغير الرفاعي، فقد نقل الصيادي عن محارب بن دثار أنه أثنى على داود الطائي ثم قال:

« لو كان داود الطائي في الأمم الماضية لقص الله علينا من خبره ». [288]

وهذا غلو وادعاء أنه كان يمكن أن تكون بعض آياته على خلاف ما هي عليه الآن لو كان الرفاعي في عهد النبوة. ثم ليس الرفاعي أعز عند الله من أبي بكر وعمر اللذين كانا أحب الناس إليه والى نبيه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يرد ذكرهما في قرآنه!.

وقد وصفوا تاج الدين الرفاعي أنه «غياث الملهوفين» [289]

والشيخ عبد الرحيم بن علي الرفاعي أنه «غوث الثقلين» [290] يعني أن الجن

(286) تنوير الأبصار 119، خزانة الامداد 159، الفرقان 84 .
(287) قلادة الجواهر 439 .
(288) قلادة الجواهر 448.
(289) روضة الناظرين 64 .
(290) روضة الناظرين 95 .

والإنس تستغيث به عند الشدائد والكربات.

ولقد شجب الرواس فكرة الغلو هذه التي اتسم بها الكثيرون من أهل التصوف واعتبرها من طباع أهل الشرك. قال :

« وبويعت في الحضرة على عدم النظر إلى الآباء والأجداد، فان المفاخرة بهم من طباع أهل الشرك، والغلو بهم من بقايا نخوة الجاهلية ».[291]

غير أنه قال كلمة حق في كتاب مليء بالباطل وهو « بوارق الحقائق » الذي يحكي فيه قصة طوافه بأهل البيت والمنتظر « الحجة » وخروجهم من قبورهم لاستقباله في كل زيارة وكل مناسبة.

ثم إن آل الصيادي ـ والرواس منهم ـ يعتبرون السلالة التي غلت في الطريقة وفي الرفاعي ما لم يفعل غيرهم لا سيما محمد بن حسن وادي الصيادي الملقب بـ «أبي الهدى » الذي نقلت من كلامه أكثر انحرافات الرفاعية وغلوهم.

ويأتي الشيخ بهاء الدين ابن عم الرواس بأبيات يمتدح فيها آباءه وأجداده، ويدعو المحتاجين والمضطرين إلى الاستغاثة بهم فيقول فيما ينقله الصيادي عنه[292]:

إشـاراتنا فـوق الـرؤوس تخفـق   وأعلامنـا تحـت المعـالي تـصفق
ومـن نـال مـن أنفاسـنا هـام قلبـه   وأثوابـه شـوقا ووجـدا يمـزق
ونحـن بنـو الغوث الرفـاعي أحمـد   كمالاتــه والــسر فينــا محقــق
ومن أمنا لم يخش ضيما ولا عنـا   وأيـدي البلايـا نحـوه لا تطـرق
لنا مدد في سائر الأرض قد سرى   ونحـن شـموس فـي سـما الكـون

(291) بوارق الحقائق 272 .
(292) تنوير الأبصار 134 .

بل يقول الصيادي نفسه [293]

الأحمـــديون للاســـلام أركـــان ... وفـوا العهـود وأشـعاث الحمـى

بهـم أشـد علـى الأخطـار مقتحمـا ... لا الـسم سـم ولا النيـران نيـران

بهـم تفـرج عـن ذي النـون غمتـه ... وفـاز نـوح ولـم يمـسه طوفـان

عش طيـب الأمـن يـا مـن يـستجير ... فمـا عليـك لـصرف الـدهر عـدوان

ذاك الكبيـر أبـو العبـاس أحمـدهم ... لـــه علـــى ملكـــوت الله ايـــوان

هـذا أبـو العلمـين الفـرد حجتنـا ... فـي يـوم لا يعـرف الخـلان خـلان

غوث الخلائـق مـن ينبـوع منهجـه ... تفيض في الكون أسرار وعرفان

يحمي الضعيف إذا ما سن شفرته ... دهـــرا وأرضـــى الرزايـــا وهـــو

أجـار حتـى الثريـا فـي مناعتهـا ... تـــود لـــو أنهـــا قـــوم وجيـــران

ومن صور الرفاعية في مشايخهم اعتقادهم أن البركة تحصل بمجرد ذكر أسماء مشايخهم ولذلك أمروا أتباعهم عند ذكر أسمائهم أن يمسحوا بأيديهم على وجوههم.

وصرح الرفاعي أن الشيخ منصور كان يأخذ التوبة على الناس حتى الطفل الذي في المهد وحتى الأجنة في البطون [294] ثم قال: « إذا ذكرتم الشيخ منصور

(293) الكنز المطلسم 85 ـ 87 .

(294) من الظواهر المخالفة للشرع عند الرفاعية أن توبة التائب تتم عن طريق الشيخ، فيذكر الصيادي دائما مجيء رجال يأتون الرفاعي ويقولون «خذ علينا العهد وتوبنا» (قلادة الجواهر 57، 76، 87، 88، 89، 95).

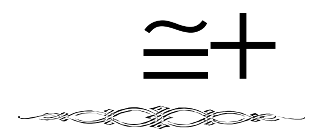
بينما التوبة في الإسلام الواسطة فيها بين العبد وربه. وإنما هذه الواسطة شبيهة بواسطة القديس عند النصارى الذين يذهبون إليه ليعترفوا بخطاياهم ويأخذون العهد على يديه أن لا يعودوا إليها .

فأمروا أيديكم على وجوهكم ينورها الله تعالى ببركته ». [295]

ونقل عن أحد مشايخ الرفاعية أنه رأى النبي ε في المنام وكلما ذكر أمامه أبو الوفا قال υ: بسم الله الرحمن الرحيم ما أقول فيمن أباهي الأمم به يوم القيامة. قال الوتري: « ولذلك كان مشايخ الرفاعية إذا ذكروا أبا الوفا يسمون الله تعالى ثم يأتون بذكره ». وكانوا يقولون: « عجبنا لمن يذكر اسم السيد أبي الوفا ولم يسم الله ويمس بيده على وجهه كيف لم يسقط لحم وجهه لهيبته ».[296]

(295) الفجر المنير 75، قلادة الجواهر 181 ـ 182، روضة الناظرين 20.

(296) ترياق المحبين 42، روضة الناظرين 28 .



قريــة الرفاعي « أم عبيدة » البيت الـحرام

لقد أضحت قرية «أم عبيدة» (مسقط رأس الشيخ أحمد الرفاعي) عند الرفاعية البقعة المقدسة والبلد الحرام الذي يتقرب الخلائق بزيارته إلى الله تعالى، ويتوجه إليه أصحاب الحوائج والكربات لدفع حوائجهم وكرباتهم، وذكروا أن أمر قدسيتها قد تم بمقتضى وعد الهي.

فقد ذكر الصيادي أن الشيخ الرفاعي قال: «إن الله أعطى هذه البقعة خاصية تقرب الخلائق إلى الله، ووعدني أنه يجيب إلى هذه البقعة للزيارة زبدة الخلق لاغتنام بركتها، وأن يجعل خواص خلقه من مشارق الأرض ومغاربها في هذه البقعة».[297]

وقد جعلوا قرية « أم عبيدة» بمنزلة البلد الحرام فزعموا أن الأمر الإلهي قد صدر إلى الرفاعي بأن ينادي بالناس من كل حدب وصوب ليحجوا إليها ففعل مثلما فعل إبراهيم υ حين نادى بالناس بالحج.

وزعموا أ نه قال: « قيل لي: قم فناد أهل المشرق والمغرب والسهل والجبل إلى زيارة هذه البقعة السعيدة، فقام الرفاعي وصار يشير بيديه وهو واقف ويقول: « تعالوا إلى « أم عبيدة » تعالوا إلى هذه البقعة المباركة: كل شهر قوم، وكل سنة قوم،

(297) قلادة الجواهر 129 و 87، الفجر المنير 76 .

وكل وقت قوم ثم أردف يقول « نعم، نعم » فلما سئل عن ذلك قال: لما ناديت أجابوني بقدرة الله خلق كثير لا تحملهم هذه البقعة فلما رأيت ذلك قلت رويدا رويدا كل شهر قوم، كل سنة قوم ».[298]

* من دخلها لا تمسه النار

قد جعلوا لقرية " أم عبيدة " فضائل عديدة ذكروا منها:

1ـ أن زائرها يروح ويأتي تحت ظلال أجنحة الملائكة.[299]

2ـ أن زائرها لا تأكله النار ولا تضره وهذا من وعد الله للشيخ الرفاعي كما يقولون.[300] وهذا ما لا يضمن في العادة لزائر مكة ولا المدينة.

3ـ أن زيارتها وملازمتها كفيلة بقضاء كل حاجة، ويروون في ذلك قصة الأمير عبد الله الصيرفي الذي وقع في حالة دين فلازم قبة الشيخ أحمد الرفاعي فقضيت حاجته.[301]

4ـ أن زائرها يتوجه إليها عند طلب حاجته ويخطو إليها ثلاث خطوات. يقول الصيادي: « من أهمه أمر فليتوضأ ويصلي لله ركعتين ثم يصلي على النبي مائة مرة، ثم يتجه إلى جهة البصرة محل مرقد الغوث الرفاعي ويخطو ثلاث خطوات ويقول له:

أيظلمنـــي الزمـــان وأنـــت فيـــه وتـــأكلني الـــذئاب وأنـــت ليـــث

(298) قلادة الجواهر 43 .
(299) بوارق الحقائق 224.
(300) إرشاد المسلمين 87، بوارق الحقائق 229 .
(301) المعارف المحمدية 40 .

ويــروى مــن بنانــك كـل ظــامي وأظمــأ فــي حمــاك وأنــت لــيث

وقد جربها رجل مظلوم ظلمه آل غريب فالتزم القبة الرفاعية وقال هذين البيتين فقال له الشيخ أحمد في المنام « قضيت حاجتك » فما مضى شهر حتى فني آل غريب عن آخرهم.(302)

وزعموا أن الرفاعي كان يقول: « إذا كان لكم حاجة ولم تقدروا أن تصلوا إلى (قرية) أم عبيدة فتوجهوا نحوها لله تعالى ثلاث خطوات واسألوا حاجتكم ». (303)

وهذا متعارض مع ما أوصى به الشيخ لأتباعه: أن لا يجعلوا رواقه حرما، ولا قبره بعد موته صنما.(304)

وهم يعتبرونه في قبره حيا متصرفا. ذكر الصيادي أن خادم القبة الأحمدية نعس مرة فنام وفي يده الكتاب وزجاجة الزيت بجانبه فرأى السيد أحمد في المنام وهو يقول له: « يا أبا الرضا تنبه، لولا أني صنت لك الكتاب لأخذه الزيت. فتنبه فوجد الكتاب صار في مكان والزجاجة في مكان آخر ».(305)

* أوصاف القرية الحرام ومزاياها عندهم

وقد وصفوا هذه القرية بأنها :

1ـ كعبة هموم المحققين، وحرم الأمان للطالبين، البيت المقدس الأمين، مهبط

(302) قلادة الجواهر 435، 239، المعارف المحمدية 40، 112، بوارق الحقائق 229، خزانة الإمداد 34، العقود الجوهرية 46 ـ 47 .
(303) قلادة الجواهر 129، 165، 166، الفجر المنير 50، 61، خزانة الإمداد 34، بوارق الحقائق 227 .
(304) الكليات الأحمدية 115، حكم الرفاعي 12، البرهان المؤيد 52 .
(305) المعارف المحمدية 40، خزانة الإمداد 33 .

الرحمات، منبع الفتوحات، نمط الجفر العلوي. (306)

2ـ محط رحال العباد ومنها ينثر الخير إلى سائر البلاد.

3ـ البقعة المقدسة، طور سيناء قلوب العارفين. (307)

* الرسول والكعبة يزوران قرية أم عبيدة

إن كل هذه الصفات التي تتصف بها قرية أم عبيدة تجعلها أفضل من المساجد الثلاثة، وأولها في ذلك مكة. وكيف لا تكون أفضل من مكة وقد زعموا أن الكعبة رؤيت وهي قادمة تشد رحالها إلى قرية أم عبيدة مع الرسول ε.

فلقد زعموا أن أحد الصوفية رأى في المنام خياما عظيمة على الطريق فسأل: لمن هذه الخيام فقالوا: هذه لرسول الله ε فدخل إليه وسلم عليه.

وقال: يا رسول الله إلى أين هذه الرحلة المباركة؟

فقال: إلى قرية أم عبيدة لزيارة أحمد بن أبي الحسن الرفاعي.

فقلت: يا رسول الله: الناس لك يزورون والى نحوك يقصدون!

فقال: يا حاج أنت حججت وقصدت البيت؟

فقلت: نعم .

فقال: ارفع رأسك فانظر.

قال : فرفعت رأسي فنظرت إلى الكعبة وهي سائرة .

(306) بوارق الحقائق 221 - 222. وهذا تصريح آخر من قبلهم بالجفر المكذوب. المنسوب إلى الإمام علي τ مما يؤكد ميول هذه الطريقة إلى التشيع. وقد سبق الكلام عليه أنظر:
(307) بوارق الحقائق 226.

قال النبي ε: ها أنا والكعبة زائرون، زورا زرنا .

فقام الرجل من نومه وهب ينادي في الناس ويحثهم على المبادرة إلى المسير إلى قرية الرفاعي حيث الرسول ε والكعبة زائرون. [308]

وهم إذا تكلموا عن الكعبة لم يعظموها كتعظيمهم قرية « أم عبيدة » وإنما يقللون من شأن الطواف حولها ويثبطون الناس عن الذهاب إليها. مثلما نقل الصيادي عن الجنيد أنه كان يطوف بالبيت الحرام فاعترضته جارية وقالت:

« يا جنيد: تطوف بالبيت أم برب البيت ؟

فقال: أطوف بالبيت .

فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار ». [309]

إن هذه الهالة التي يحيطها الرفاعية بقرية أم عبيدة لا حقيقة لها إنما هو كلام لم يتعد الورق وبطون كتب أهل هذه الطريقة. وإلا فقرية «أم عبيدة» لا شهرة ولا ذكر لها في التاريخ، ولم يذكرها ياقوت الحموي ولا غيره.

ودعوى أبي الهدى الصيادي الرفاعي أن سبط الجوزي [310] دخلها ووجد فيها

(308) إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين 84، روضة الناظرين للوتري 59 .
(309) قلادة الجواهر 454 .
(310) ذكر عنه أنه « كان يذكر في مصنفاته الغث والسمين. ويحتج بأحاديث ضعيفة كثيرة. وكان يصنف للناس بحسب مقاصدهم. فيصنف للشيعة ما يناسبهم ليعوضوه بذلك، ويصنف على مذهب أبي حنيفة لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه، ولهذا يوجد في بعض كتبه سب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة لأجل إرضاء بعض طوائف من الشيعة. أنظر كتاب منهاج السنة النبوية 2 / 133 .

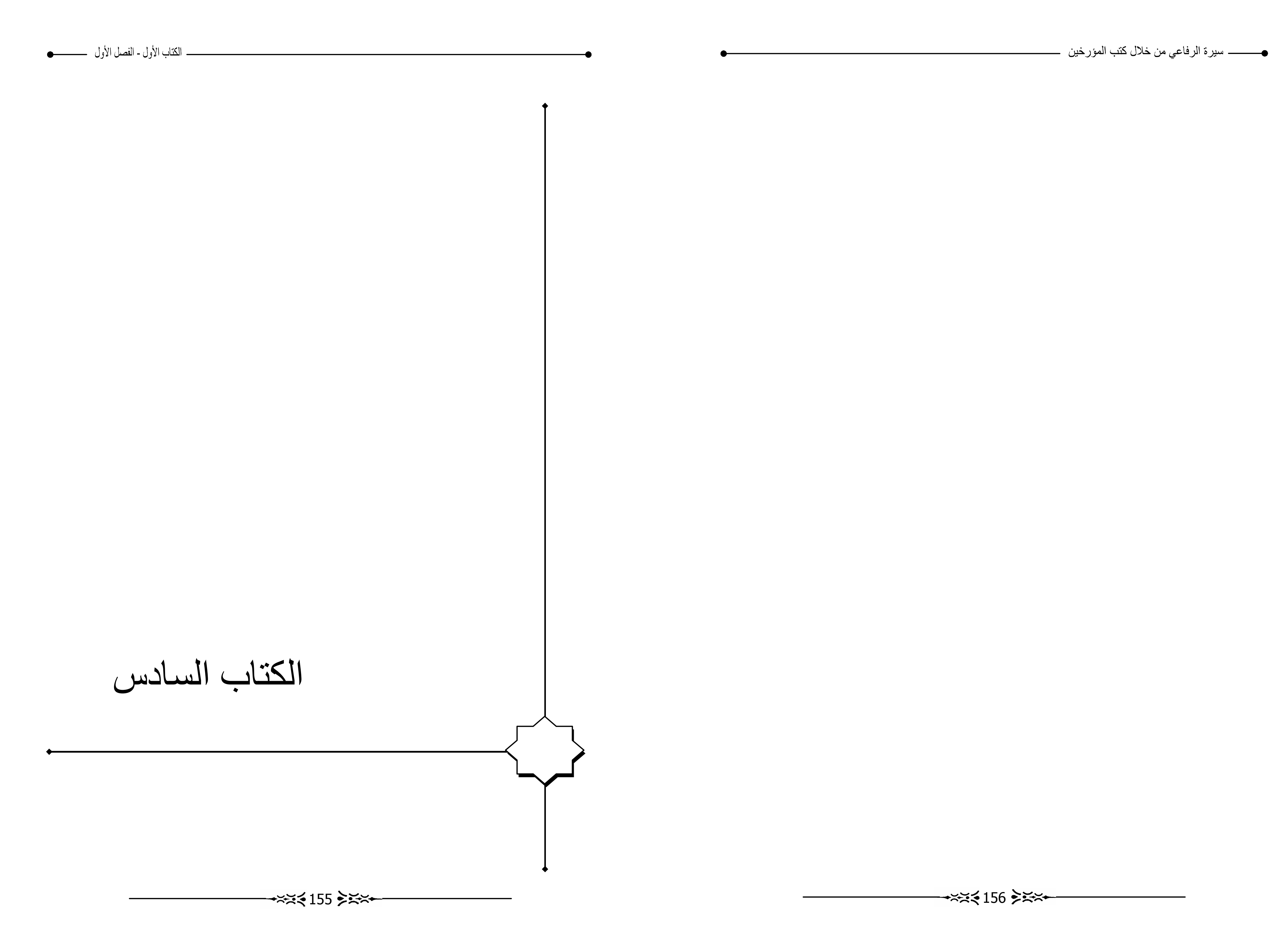
خلائق كثيرة يقدرون بمائة ألف إنسان [311] دعوى لا صحة لها. فان سبط ابن الجوزي قد ولد بعد وفاة الرفاعي بثلاث سنوات. [312]

وهكذا رأينا وصف قرية الرفاعي وقبته بأنها الكعبة والحرم والبيت المقدس والبقعة المقدسة ومهبط الرحمات وكشف الكربات وموضع قضاء الحاجات فهل يتوافق كل هذا مع تعاليم شيخهم الرفاعي الذي كان يقول لهم:

« يا سادة: لا تجعلوا رواقي حرماً، ولا قبري بعد موتي صنما، عليكم به سبحانه، لا يضر ولا ينفع، ويصل ويقطع ويفرق ويجمع إلا الله ». [313]

لقد بات من الملاحظ أنهم ينتزعون من صفات الله، ومن صفات النبوة للرفاعي، وينتزعون صفات بيت الله وبلده الحرام لقرية الرفاعي فماذا يريدون من وراء ذلك؟

(311) بغية أولي الإفهام في الفرق بين الحال والمقام 221 ضمن مجموعة أشرف الوسائل.
(312) انظر دائرة المعارف الإسلامية 10 / 148 .
(313) الكليات الأحمدية 115، حكم الرفاعي 12، البرهان المؤيد 52 .



الكتاب السادس

الاستغاثة بالرفاعي

هذا الباب هو النتيجة والهدف الذي من أجله سطرت كل كرامات مشايخ الرفاعية وامتيازاتهم وخوارقهم، لقد سيق كل ذلك من أجل تقرير أنهم الأغواث الذين يلجأ إليهم المضطر، ويستغيث بهم الملهوف.

فمن لا يملك التصرف في الأكوان كيف يرجى منه كشف الضر ورفع الكرب؟ فلذلك ذكروا أن مشايخهم يتصرفون في الأكوان.

ومن لا يملك الكشف يكون غافلا عما يغيب عنه، فكيف يرجى منه سماع الاستغاثة فلذلك ذكروا أنهم يسمعون المستغيث بهم أينما كان.

ومن لا يملك تغيير المقدور وغفران الذنوب كيف يرجى منه طلب ذلك؟ فلذلك ذكروا أن مشايخهم لهم صعود ونزول يصعدون إلى السماء ويحضرون ديوان الربوبية فيمحون من ذنوب مريديهم ما شاؤا.

ولعلي قبل الشروع في دخول هذا الباب أذكر القارىء المنصف الغيور على دين الله وتوحيده بآيتين من كتاب الله :

(الأولى): {[illegible]} (النحل 21).

(الثانية): {[illegible]}. (النحل 53)

* الاستغاثة بالرفاعي في نظر الرفاعي

قد أشرت فيما سبق إلى أن الرفاعية قد جعلوا لشيخهم رتبة «الغوثية» وذكروا أن المظلوم يستغيث به، بل إن النعجة تستغيث به إذا انقض عليها الذئب وتناديه بلغتها: « يا سيدي أحمد ». [314]

وأن الرفاعي ما زال يرتقي من مقام إلى آخر حتى ارتفعت رتبته عن مقام «الغوثية» حتى صار هذا المقام ناقصا وقاصرا عن المقامات الأخرى التي تلته[315].

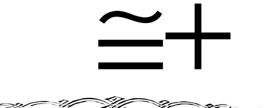
(314) المعارف المحمدية 72 _ 73.

(315) قلادة الجواهر 128، ترياق المحبين 7.

بمعنى أنه صار منزها عن رتبة «غوث الثقلين»[316] تلك الرتبة التي اعتادوا أن يصفوه بها من قبل. حتى قالوا بأنه ارتفع عنها إلى مرتبة النيابة عن النبوة وأن مرتبة النيابة عن النبوة أرفع وأجل من مرتبة الغوثية. [317]

قالوا: «ولهذا لما قال له أحد تلامذته: أنت القطب، قال له الرفاعي: نزه شيخك عن القطبية. فقال له حينئذ: أنت الغوث. قال له الرفاعي: نزه شيخك عن الغوثية ». [318] فهذا التنزيه عندهم إنما أراد به الرفاعي ترفعه عن هذين المقامين القاصرين الناقصين إلى ما هو أعلى منهما.[319]

(316) روضة الناظرين 95.
(317) المعارف المحمدية 60.
(318) طبقات الصوفية للشعراني 441/1، الفجر المنير 86 _ للصيادي، قلادة المحبين 88، التاريخ الأوحد 106.
(319) أنظر التاريخ الأوحد 106.



موقف الرفاعي من الاستغاثة بغير الله

وهذا التأويل لا يفيده كلام الرفاعي من قريب ولا من بعيد، وإنما يقال بأن سبب إنكاره على تلميذه كائن في أنه يعتقد أن ذلك من خصائص الألوهية وأن وصف المخلوق بمثل هذه الصفة شرك.

يؤكد ذلك قول الرفاعي: « إذا استعنتم بعباد الله وأوليائه فلا تشهدوا المعونة والإغاثة منهم فإن ذلك شرك ».[320]

فهذا النص يفيد بوضوح أن الاستغاثة بالأولياء يعدها الرفاعي من الشرك المنافي للتوحيد، ولذلك اعترض على تلميذه حين وصفه بها.

وزيادة على ذلك فقد كان الرفاعي يرى العكوف على قبور المشايخ والتبرك بها من الوثنية، وسمى القبر في مثل هذه الحالة «صنما» .

قال :

«يا سادة: لا تجعلوا رواقي حرما، ولا قبري بعد موتي صنما، عليكم به سبحانه، لا يضر وينفع ويصل ويقطع ويفرق ويجمع ويعطي ويمنع إلا هو». [321]

وهذا الكلام موجود في الكتب التي يشدد الرفاعي على صحة نسبتها إلى

(320) البرهان المؤيد 79.
(321) البرهان المؤيد 52، حكم الرفاعي 12، الكليات الأحمدية 115 جمع الصيادي في هذا الكتاب أقوال الرفاعي كلها.

شيخهم والتي يذكر فيها أن الله يقول:

«ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماء من يديه ووكلته إلى نفسه، وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بي دون خلقي إلا أعطيته قبل أن يسألني» (322).

وأن عيسى υ قال: « طوبى لعبد سأل الله ولم يسأل إلا الله ». (323)

وروى أن بعض الصالحين وقع في بئر، ومرت بجانب البئر قافلة فأراد أن يستغيث فهتف به هاتف « أتستغيث بغيري وأنا غياث المستغيثين؟ ». (324)

وأن الله تعالى قال لعبد من عباده: « لا تسأل غيري فأمقتك ».(325)

هذا موقف الرفاعي من الاستغاثة بالمشايخ وملازمة قبورهم، وهذا هو موقف كبار أئمة الصوفية وعقلائها أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى الذي كان يشنع على المشتغيثين المستعينين بغير الله فيقول في كتابه «الفتح الرباني»:

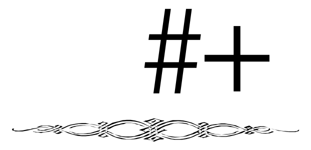
يا من يشكو الخلق مصائبه، إيش ينفعك شكواك إلى الخلق، لا ينفعونك ولا يضرونك، وإذا اعتمدت عليهم وأشركت في باب الحق عز وجل يبعدونك، وفي سخطه يوقعونك... أنت يا جاهل تدعي العلم، تطلب الخلاص من الشدائد بشكواك الخلق.. ويلك، أما تستحيي أن تطلب من غير الله عز وجل وهو أقرب إليك من غيره ».(326)

وقال لولده عند مرض موته: « لا تخف أحدا ولا ترجه، وأوكل الحوائج كلها إلى الله عز وجل واطلبها منه، ولا تثق بأحد سوى الله عز وجل، ولا تعتمد إلا عليه

(322) حالة أهل الحقيقة مع الله 124 منسوب إلى الرفاعي رحمه الله.
(323) حالة أهل الحقيقة مع الله 68.
(324) حالة أهل الحقيقة مع الله 121 ـ 122.
(325) حالة أهل الحقيقة مع الله 134.
(326) الفتح الرباني والفيض الرحماني 117 ـ 118 ، 159 ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

سبحانه، التوحيد التوحيد، وجماع الكل التوحيد ».(327)

(327) الفتح الرباني 373.



موقف أتباع الرفاعي من الاستغاثة بغير الله

هذا هو مذهب الرفاعي والجيلاني رحمهما الله من الاستغاثة، فما هو يا ترى مذهب الرفاعية؟

فلنستعرض هذا الكم من الأبيات الشعرية التي نسقها محمد أبو الهدى الصيادي الذي كتب في الطريقة ما يزيد على الخمسين مصنفا. فمن ذلك ادعاؤه عن الرفاعي أنه قال [(328)]:

من لاذ فينا اكتفى عن غيرنا أبدا — وجاء في ركبنا بالأمن من ندم

فالجأ بأعتاب عزتي والتمس — وطف ببابي وقف مستمطرا نعمي

ولازم الذل في شطحاء منزلنا — تنجو بهمتنا من حالة العدم

وليس يعقل أن يقول الرفاعي مثل هذا القول الشركي « من لاذ فينا اكتفى عن غيرنا » وهل يكتفى أويستغنى بالرفاعي عن الله تعالى الله؟ .

ثم أن هذا لا يتفق مع ما حكوا عن الرفاعي أنه كان كلما طلب أحدهم الدعاء منه يقول له: « من أنا حتى أدعو لك؟ ما مثلي إلا كمثل ناموسة على الحائط لا قدر لها وكيف تدعوه نفسه إلى ذلك من هو لا شيء ».[(329)]

(328) قلادة الجواهر 233 ـ 234 .
(329) البرهان المؤيد 44 .

قال الشيخ الآلوسي في غاية الأماني:

« وقد تكلمت يوما مع أحد غلاة الرفاعية اذ استغاث بالرفاعي:

فقلت له: هل يسمع الآن الرفاعي نداءك وهو في قبره في قرية « أم عبيدة » ويمدك بالمدد؟

فقال: نعم .

قلت: فإذا اتفق مثلك في بلاد كثيرة ومواضع متعددة ألوف مؤلفة في أقطار شاسعة، هل يسمعهم أحمد الرفاعي ويمدهم ويغيثهم ؟

قال: نعم.

قلت له: أرأيت أن كان كثيرون مثلك في بلاد أخرى متعددة يستغيثونه في نفس الوقت الذي تستغيث أنت فيه، هل يسمع نداءهم جميعهم في آن واحد ويغيثهم؟

قال: نعم. [(330)]

فانظر كيف صار اعتقادهم في الرفاعي: أنه لا يشغله سمع عن سمع ولا يغفل عن أدعية الداعين واستغاثة المستغيثين ولو تعددوا واختلفت أمكنتهم في الوقت الواحد، فهذا بلا ريب إضافة صفات الخالق إلى المخلوقين !!

وهذه مجموعة من أبيات الشعر التي قالها الصيادي، وقد تكون لغيره ونسبها إليه[(331)] وهي تحوي في ثناياها أصنافا من الشرك والاستغاثة بالرفاعي وارتجائه وطلب المدد منه.

(330) غاية الأماني في الرد على النبهاني 1 / 345 ـ 346 لمحمود شاكر الآلوسي العراقي ط: دار أحياء السنة النبوية .
(331) تجدر الإشارة إلى أن الشيخ عبد الحميد الرافعي قد نحل كثيرا من أشعاره إلى الصيادي (انظر الأعلام للزركلي 3 / 287).

يقول الصيادي [332]:

يا رفاعي وقعت في أعتابك ... فتدارك عبدا يلوذ ببابك

يا رفاعي يا غوث كل البرايا ... لا تضيع طفلا جميل الرجا بك

أنت غوث الوجود مفتاح كنز الـ ... ـوجود والخير سح من ميزابك

أنت حصن الملهوف والباذل الـ ... ـمعروف والعاجزون من أحزابك

أنت باب الرسول من غير شك ... وأتينا نرجو العطا من بابك

وأنا عبدك الذي باعتقاد ... علقت راحتاه في أثوابك

فتحرك بهمة وأغثني ... وتذكر تشرفي بانتسابك

رضي الله عنك أدرك فإني ... يا رفاعي وقعت في أعتابك

ويقول [333]:

لك يا غوثاه تصريف الزمان ... حيث أنت المرتجى في كل آن

أنت في بابك محراب الأمان ... فتداركني وأصلح سببي

وأغث إنني في تعب

ويقول [334]:

كل الأنام عيال ... عليك يا ابن الرفاعي

يا بحر كل المزايا ... ويا مجيب الدواعي

(332) الكنز المطلسم 61 ـ 62 .

(333) العقود الجوهرية 24 .

(334) قلادة الجواهر 427 .

ويقول [335]:

يا ابن الرفاعي تدارك ... لمن أتى واستجارك

شيخ العريجا أغثني ... أصبحت في الحي جارك

لا تلو طرفك عني ... إني أروم انتصارك

يا أحمد الأصفياء ... يا وارث الأنبياء

يا شيخ كل الوجود ... يا بحر فضل وجود

يا ابن الرسول أغثني ... فقد تعاظم حزني

فإن تغاضيت عني ... يصبح عاري عارك

ويقول [336]:

لذ بباب الجليل الرفاعي ... ولك الأمن من ملم الدواعي

وتململ برحبه فحماه ... حرم الوصل قاطع الانقطاع

فهو في العارفين كعبة بيت الـ ... وصل محراب جامع الانتفاع

وملاذي وملجأي ونصيري ... ومغيثي ومنقذي من ضياع

فعليه الرضا من الله ما صلى ... وطاف بالبيت ساعي

ويظهر من البيت الآتي مدى اعتقاد الرفاعية في شيخهم من الحماية والقدرة والضر والنفع حيث يرجون منه ما لا يرجون من الله تعالى.

يقول الصيادي [337]:

يلاذ به أن جار في الدهر حادث ... ويحمى بعلياه إذا الزمن اعتدى

(335) قلادة الجواهر 382 ـ 383 .

(336) ديوان الفيض المحمدي 120 ـ 121.

(337) تنوير الأبصار 10.

ويقول [338]:

به أحتمي أن سامني غدر غادر … ودوما إليه في الصعاب التجائيه

ومن كل كرب أستغيث باسمه … فذا مأمني من كل عاد وعادية

وما لي سواه في الأنام وسيلة … ولا منجدا أيام تسطو أعاديه

وما لي اله إذا جئت خائفا … وقمت أؤدي في القيام حسابيه

ويقول [339]:

غوثاه بالمصطفى وبالمرسلين وفي … كل الصحابة أهل المجد والهمم

أسرع وقم واكفني شر الزمان وجد … عطفا بنظرة لطف تحي لي عدمي

وانهض بهمتك العليا وقل حصل الـ … ـمقصود صدقا وأسعف وارع لي

غوثاه يا ابن رسول الله خذ بيدي … يا سيد الأوليا يا ثابت القدم

ما لي لباب رسول الله واسطة الاك … فاسمح وقل لا تخش من ندم

ويقول [340]:

توسل يا أبا العلمين عن النبي … بنيل مأربي القصي

لأنك يا رفاعي القوم غوثي … وواسطتي لوالدك النبي

وأنت (ملاحظي) في كل حال … فداركني وشيد أركان حبي

ويلاحظ في مقاطع الأبيات الأخيرة أن أبا الهدى الصيادي يدعو إلى اتخاذ الرفاعي وسيلة ليس إلى الله كما هو دأب الصوفية، بل إلى النبي، متوسلين إلى المخلوق بالمخلوق، متقربين بالرفاعي إلى النبي زلفى. وهذا شر وأشنع من شرك أهل الجاهلية الأولى الذين كانوا يتقربون بالمخلوقين إلى الخالق زلفى.

(338) الكنز المطلسم 84 ـ 85 .
(339) ديوان الفيض المحمدي 126 .
(340) ديوان الفيض المحمدي 127 .

وينقل عن محمد نور أفندي قوله [341]:

يا ابن الرفاعي الرفيع مقامه … يا سيد الأقطاب والسادات

شرفت قيعان العراق جميعها … فغدت بقبرك مهبط البركات

كم نظرة وجهتها لمضيع … فجمعت الأمر منه بعد شتات

ولكم صرفت القلب نحو عويجز … فرفعت رتبته إلى الغايات

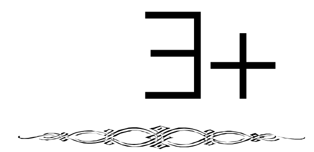
يا من يؤمل يوم كل ملمة … يا من يؤم حماه للفضحات

يا صاحب العلمين يا بحر الندى … يا عمدتي أبدا وحصن نجاتي

أدعوك غوثا يا ابن بنت محمد … يا سيدي يا عالي الدرجات

لا تقطعن رحمي لذنب مسني … وأقل دائما بفضلك عثراتي

(341) الكنز المطلسم 80 ـ 81 .



استغاثتهم بالرسول ع و غلوهم فيه بلا حد

أما بشأن الرسول ع فالصيادي ـ والصوفية أيضاً ـ يعتقدون أن النبي ع هو علة الوجود وغاية كل موجود، ولولاه لما خلق الله الأكوان. ومع ذيوع هذه الفكرة بين المتصوفة فإنها تتعارض مع علة خلق الوجود التي صرح بها القرآن الكريم (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

وهي تصرف الناس عن معرفة السبب الحقيقي في خلق الله لهم، وهو تحقيق توحيد الله في العبادة. وهم يظنون أنهم بذلك يعظمون النبي ع ويرضونه ولا يدرون إنهم إنما يصرفون الناس عن معرفة الأصل الذي أرسله الله تعالى من أجله. يقول الصيادي في « نور الإنصاف»[342] :

« وليعلم أن النبي ع هو .. العلة الغائية لخلق الخلق ومعرفة الحق».[343] وقد زعم أن مجرد تسمية الرجل «محمد» كاف في دخول الجنة وأورد لذلك حديثا لا أصل له وفيه: إنه ينادي يوم القيامة مناد: إلا من اسمه محمد فليدخل الجنة.[344]

(342) ديوان الفيض المحمدي 39 .

(343) قلادة الجواهر 118 .

(344) ضوء الشمس للصيادي 104/1، وكذلك 183/1 وزاد الرفاعي كان هو ومولوده في الجنة (عن كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله 140).

ويذكر الرواس الرفاعي أن هذا الاسم المحمدي «ممدود على صحائف الأكوان من أم زيق الأزل إلى حاشية ذيل الأبد».[345]

وأنشد الصيادي يقول [346]:

أنت الذي لولاك ما كان الورى ... ولغير فهمك سره مجهول

وقال الواسطي [347]:

هو الذي خلق الله الوجود له ... هو الذي فضله جاءت به الكتب

لولاه لم تكن الأكوان كائنة ... ولم يكن للورى نسك ولا قرب

وأنت أرحم من لاذ المسيء به ... وخير من يرتجى أن جدت الكرب

صلى عليك اله العرش ما طلعت ... شمس وأصبح نجم وهو محتجب

وقد شعر الصوفية بتناقض فكرة ربط علة خلق الكون بمحمد ع مع فقدان هذه العلة بموته كما قال تعالى: {⑤⌘☼←❄✞⚐✓⇨ ✓⌖"❄✡✈❶♦ ➔⌖⑤☼⌘←❄✞⚐↗♦➢ ✓⌖✈"❄✡✈❷♦⬆➲⌖}، حيث يعترض معترض ويقول: إذا كان الوجود مخلوقا من أجله فما قيمة هذا الوجود بعد موته ولأي غاية يبقى؟

فقالوا حينئذ بحياته حياة كحياته التي كان يحياها قبل موته من أكل وشرب ورقابة على الأكوان وتحكم في العوالم العلوية والسفلية وهو في قبره. وأنه يخرج ويزور الأولياء والصالحين، ويقضي بنفسه حوائج المحتاجين، ويغيث المستغيثين به.

(345) بوارق الحقائق 176.

(346) ديوان الفيض المحمدي 39 .

(347) ترياق المحبين 71 ـ 72، روضة الناظرين 105، 106 .

وتتجلى حقيقة الشرك واضحة عند الصوفية من خلال البيت الشعري الثالث من هذا المقطع والذي يجعل فيه الواسطي النبي ε أرحم من يلوذ إليه المسيء وخير مرتجى عند حصول الكرب والشدة متناسيا بذلك أرحم الراحمين سبحانه، معرضا عن قول النبي نفسه « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. وعن قول الله تعالى: {➔⌖⑤☼✠●✞⑤ ⋎⌖⅄⌖✈⍉☼➢♦ ⑤⍉✪⇧☺●♦✈ ⏀ ⑤⍉⌧🖫❄⑨⌖ℛ◻●✠ ☆⌖❄⌖⍉⌖✈ ⋎⌖⍓ ❸❄⌖❄•♊⇗♦⬆⊃⌖ ⑤✠☼①✞⊱☼②💻 ⑤✠☼▦❄⌖✈⑥⬇♦☞}، وقوله: {⍉❄♦⍉✠ ⑤⍉⌨♦⇨☺ ▦❄♦⍉❄⌖⑩✡✈❄"⍉☼➢ ⋎✈✡❄⍉♊↗⌖⑥ ➔⌖⋎✡⍉ ⌀⍉☼⍉✠✈ ⌀✞❄●⇔⑦⌧ ❼❄☼➢⌖✈ ⑤✞☹←❷♦➢⇔ ❸❄♦✸❄◻●✠⌀☼⬆⊃⌖}.

جاعلين رسوله ندا له. ولذلك يجعلون الله تعالى في أحد أبياتهم الشعرية ثالث الثلاثة فيقولون [348]:

حـــسبنا الله والنبـــي وهـــذا الـــ	**غوث حصنا عن الجبال الرواسي**
نـــاده لـــن تـــراع وأبـــشر إذا مـــا	**قلـــت غوثـــاه يـــا أبـــا العبـــاس**

* حقيقة حياة النبي ε

قال الصيادي :

«وأما بشأن النبي صلى الله عليه وسلم فانه حي في قبره، منعم متصرف كتصرفه حال حياته، متصرف ـ وهو فيه ـ بالعالم العلوي والسفلي. [349]

(348) روضة الناظرين 110 .
(349) نور الإنصاف 14 ـ 15 .

وهو حي سميع يأكل ويشرب ويتنعم. وأن أهل الكشف من خواص هذه الأمة انكشف لهم ذلك في العالم الروحاني لا الجسماني». [350]

وأكد على أن كل الأولياء من المتصوفة: « يرونه ε ويسمعون خطابه الكريم، وأن الفرق بين الولي وبين غيره هو سماع خطابه المبارك وعدمه.[351]

وبنى على هذا أن الاستمداد من الأموات أولى وأحرى بالإجابة من الاستمداد بالأحياء، وذلك لتصرفهم في قبورهم.

قال: « وعلى هذا فالاستمداد من الأموات أسرع عندي لقضاء الحاجة. [352]

وهذا من قبس التشيع، فان الشيعة يرجون من الأموات ما لا يرجون من الحي الذي لا يموت. وهو سم شركي دس في قالب تصوف يقتل التوحيد في النفوس ويجعلها تعتقد في غير الله ما لا تعتقده في الله.

وانظر إلى آثار هذا الشرك في كلام الصيادي وأشعاره الذي يستغيث الله تارة ويسترحمه ويستعينه فيقول [353]:

رحـــيم فكـــن عـــوني وغـــوثي	**ويـــا مالـــك ملـــك فـــؤادي بالـــذكر**

ثم يطلب الرحمة والعون والغوث من غيره فيسألها النبي نافيا أن يجد العون والنصرة من غيره قائلاً [354]:

رســـول الرضـــى أدرك عبيـــدك	**تكرم تحنن جد تعطف أبا الزهرا**

(350) قلادة الجواهر 105 ـ 106، ضوء الشمس 176/1.
(351) ضوء الشمس 1 / 178.
(352) نور الإنصاف 16 .
(353) ديوان الفيض المحمدي والمدد الأحمدي 7 ط: مطبعة الجوائب 1298 تركيا.
(354) ديوان الفيض المحمدي 67، 38 .

علمتك يا مولاي ذخري وناصري ... وعوني في الدنيا وذخري في
وأنت عياذي والنصير وموئلي ... كفى بك يا سيف القضا ذخرا
غوثاه يا سيد السادات خذ بيدي ... فلن أرى لي أعوانا وأنصارا

ويقول [355] :

غوثاه يا مصطفاه أنظر بمرحمة ... عصابة قد أضرتها خطاياها
ويا أبا القاسم الغوث الغياث فقد ... ضاقت بنا الأرض أقصاها وأدناها

ويلح على النبي ε ويسأله مزيدا من الرحمة والعون والحماية والنصرة فيقول [356]:

أنت الذي لولاك ما كان الورى ... ولغير فهمك سره مجهول
يا روح كل الكائنات ومن به ... من غير شك يحصل المأمول
يا غوث كل العالمين وهيكل الـ ... ـمدد المتين إذا ألم مهيل
ها أنت نصرة عاجز مثلي أتاك ... له ببكاء تلهف وعويل
وارحم عبيدا حين يحشر في غد ... من غير حبك ما لديه فتيل
وحماك رحماك الغياث فإنني ... ما لي وحقك عن حماك عدول
فأغث بفضلك واكفني هم الزمان ... ففيك فيه على بنيه أصول
وارحم إذا داعي الحساب دعا ... المرتجى والسيد المأمول
واشمل بعطفك والدي واخوتي ... وبني اذ بك للمراد حصول
واعطف على أهلي وكل عشيرتي ... عطفا به عند الرجاء قبول

(355) صريح الكلام في حكم عالم المنام 195 (ضمن مجموعة أشرف الوسائل) .
(356) ديوان الفيض المحمدي 39 ـ 40.

ها أنت كالئنا إذا الباغي بغى ... ولحفظنا يوم الكروب كفيل

ويجعل منه روح ذرات الكون وأصل سر الوجود ويزداد إلحاحا في طلب الرحمة والعون منه فيقول [357]:

لولاه لم يكن الوجود ولا درى ... كل العبيد تفرد المعبود
لولاه ما رفعت بقبتها السما ... ء ورصعت من أنجم بعقود
هو روح ذرات العوالم كلها ... ذو المعجزات وذو اللوا المقصود
أدعوك دعوة مستجير لائذ ... بعريض جاهك من جفا وصدود
فلأنت غوث العاجزين وذخرهم ... ومجيرهم من وهدة التنفيذ
يا خير من قصد العفاة رحابه ... وأتاه صاحب مقصد بقصيد
ضاقت علي مذاهبي فامنن علي ... ضعفي باحسان يغيظ حسودي
وانظر بعين الرفق كسري واكفني ... هم الزمان ووصمة التنكيد

* حزب الاستغاثة عند الضيق: شرك واضح

ويعلمنا الصيادي ما يجب علينا أن نقوله إذا مسنا الضيق، ولنذكر من هذه التعاليم ما يلي ليقف المنصف بنفسه على حقيقة اعتقاد الرفاعية في غير الله تعالى. يقول :

« وجهي على بابك يا رسول الله :

يا مهبط سر نفس الجناب الإلهي

يا باب الله الأعظم الذي هو عين الدخول على حضرة الله الأكرم .

(357) التاريخ الأوحد للغوث الرفاعي الأمجد ط: المطبعة المحروسة 1931 ـ مصر.

يا أصل فيض الله الجاري في ملك الله .

يا حركة الوجود في كل موجود

يا روح روح الحق الموجودة مع كل كائن .

يا دولة قلم أمر الله الخاط بقدرة الله .

يا بدل الحقيقة الإلهية في المعاني المعنوية .

يا أوحد من في الكونين ويا كاشف وهن الغين يا صاحب قاب قوسين.

يا عين الكل ولولاك لما كان، يا روح الكل ولأجلك خلق.

يا عين كل عين أعن أغث التفت تعطف تكرم تفضل علي يا إمام المرسلين.

يا آلة المنح والمنع وكل رمز غيبي في العرش والفرش وسطح القدرة وأرض المقادير والمكونات والكليات والجزئيات والعلويات والسفليات الباطنيات والظاهريات في كل ماض وآت .

أنا عبد أعتابك ألوذ بجنابك ألتجيء .

التفت إلى بعين عناية عطفك وكرم جودك .

بحق عينك الطاهرة الشريفة المطلعة علي، وعلى كل شيء في الفوق الأعلى والتحت الأدنى والأقصى .

لاحظني بعين إحسانك ومددك العالي .

وانظرني بنظر حنانك ورحمتك .

وأمر بفضلك (صاحب الزمان) وأهل حاشيته الأعيان أن يساعدوني في قضاء كل حاجة تحدث أو حدثت لي من حوائج ديني ودنياي فانك قادر بإذن ربك على ما

تشاء. قال الصيادي بعد ذلك: « وكان ـ أي الرفاعي يأمر بقراءة هذه الاستغاثة عند الضيق ».[358]

وإذا كان الضيق لا يزول إلا بمثل هذه الألفاظ الشركية التي ترتقي بالنبوة إلى مرتبة الألوهية ولا يحصل الانشراح إلا بها فهذا من باب قوله تعالى:
{➔⧫⌦✞❄☛⧫⧫✡♓ ⧫♦⧫♓ ✹⧫⧫⧫♓ ⑩✡⑥⧫⌦⧫✡☛❄⧫■⧫ ✧⧫•♊⊙♉⑤}.

* التثبيط عن دعاء الله والاستغاثة به

وحين يكون الدعاء إلى الرفاعي أو الجيلاني أو البدوي أو الدسوقي فإن الصوفية يزينونه في نفوس الناس ويرغبون به ويقولون: هذا الدعاء مجرب في كشف الكروب، أما إذا كان الدعاء لله فانهم يهونونه ويقللون من شأنه :

فتارة يعتبرون الدعاء متعارضا مع مبدأ التوكل والتسليم والرضا بحكم الله، ويقولون لن يغني الدعاء عن القضاء.

وفي ذلك يروي الرفاعي أنه لما وضع المنشار على رأس زكريا ‍υ أراد أن يستغيث فعاتبه الله على ذلك وقال له: «إلا ترضى بحكمي» فسكت حتى قطع نصفين.[359]

وفي مثل هذا يروي الغزالي أن ولدا ضاع لأحد الصوفيين، فقيل له: لو سألت الله تعالى أن يرده عليك. فقال: اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي.

(358) قلادة الجواهر 392 ـ 393 .
(359) حالة أهل الحقيقة مع الله 115 .

(360)

وسئل أبو سليمان الداراني عن مقام الرضا فقال: « أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعيذ به من النار ».[361]

وتارة يعتبرون استجابة الدعاء سبب في نقصان درجة الداعي عند الله تعالى.

وفي هذا يروون أنه جيء إلى الشيخ أحمد الرفاعي بمريض يطلبون منه الدعاء له فأبى وتركوه عند الباب وقالوا: دعوه لعل الشيخ في ممره ومجيئه عليه أن يرحمه، ومع ذلك فلم يلتفت للمريض.

فقال أحد تلاميذه: يا سيدي أما تنظر إلى هذا الرجل المسكين وترحمه وتسأل الله له العافية ؟

فقال: لي كل يوم عند الله ألف حاجة مقضية ما سألته منها حاجة في الدنيا.

اعلم أن الرجل الجيد المتمكن في نفسه: إذا سأل ربه حاجة وقضيت له نقصت درجته عند الله تعالى .

فقال له تلميذه: أنت تدعو عقب كل صلاة .

فقال الرفاعي: ذلك الدعاء تعبد مندوب إليه .. أما أمور الدنيا فإني أستحيي من الله تعالى أن أسأله شيئا من ذلك. [362]

وتارة يتصنعون الاستحياء من سؤال الله شيئا من أعراض الدنيا. [363]

---

(360) إحياء علوم الدين 350/4، الأربعين في أصول الدين 200 للغزالي.
(361) الرسالة القشيرية 90 ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت .
(362) قلادة الجواهر 82 .
(363) حالة أهل الحقيقة مع الله 134 .

وهكذا نجد شذوذ هذا المسلك عند المتصوفة وبعده عن تعاليم الإسلام، فإنهم يستحيون من دعاء الحي القيوم الذي يقول في كتابه «أدعوني». ويعتبرون دعاءه منافيا للرضا بالقضاء. أما دعاء الأموات فلا يستحيون من أن يدعوهم ويقولوا: أغث تعطف تكرم جد لب النداء المدد المدد.

%+

حجة الرفاعيين في جواز الاستغاثة والرد عليها

ويحاول الصيادي تبرير الاستغاثة بغير الله بشتى الوسائل :

فتارة يخلط بين الشفاعة والاستغاثة ويراهما شيئاً واحداً فيقول [364]:

« لا يخفى أن الاستغاثة به ε وبإخوانه النبيين والمرسلين وبالأولياء الصالحين هي عبارة عن سؤال الشفاعة منهم لقضاء الحوائج ودفع النوائب، ولا ريب أن كل من يناديهم فهو عالم حق العلم أنه لا يعبد إلا الله ولا يفعل ويمنح إلا الله. وقد أرشدنا رسول الله ε إلى الاستغاثة بعباد الله .. فأمر من انفلتت دابته بأرض أن يقول: يا عباد الله احبسوا ثلاث مرات، وإذا أراد عونا فليقل: يا عباد الله أعينوني. [365]

الجواب :

ولقد أحببت أن يكون أول ما يرد به على الصيادي في تحريم الاستغاثة من كلام الصيادي نفسه فإنه جاء بنقيض ما قاله هنا فقال داعيا إلى توحيد الله وإلى

---

(364) نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف 10 للصيادي ط: مصطفى محمد أفندي 1306 موجود بدار الكتب المصرية رقم (2356) وانظر قلادة الجواهر 243 ـ 244.

(365) هذا الحديث ضعيف ولا يحتج به. وفيه علتان: الأولى أن فيه معروف بن حسان وهو مجهول وليس معروفاً، الثانية أنه منقطع. وأما الرواية الأخرى ضعيفة أيضاً وفيها علتان أيضاً: الأولى أن الحديث فيه عبد الله بن شريك. (انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 2 / 108 ـ 109).

اللجوء إليه وحده:

1ـ «ولا يعول في الملمات إلا عليه، ولا يلتجأ في المهمات إلا إليه، إلا ترى العبد من أي ملة كان، وعلى أي معتقد انطوى: إذا كان في البحر أو في القفر وانصرمت وسيلته وانقطعت حيلته يضرع إليه، وتلتفت طبيعته الآدمية بكليتها إلى التوكل عليه » .[366]

وكذلك الوتري من الرفاعية فانه يدافع عن جواز الاستغاثة بالرفاعي، ويتهجم على من ينقض ذلك ثم تجد له من الكلام ما يناقض موقفه الأول كقوله :

«اللهم أنت المدعو والمرجو وحدك فلا يدعى غيرك، اللهم أن أبواب المخلوقين مغلقة الأقفال فلا تجعل بفضلك إلى أبوابهم رجوعي».

ثم يعود وينقض هذا التوحيد بعد صفحتين فقط: فيخاطب النبي ε بقوله:[367]

وأنت أرحم من لاذ المسيء به   وخير من يرتجى أن جدت الكرب

2ـ الصيادي يلبس الأمر على الناس فيجعل الشفاعة والاستغاثة شيئاً واحداً وهذا دأب غالب المتصوفة في التهرب عند الزامهم بأنهم بسألون المخلوقين فإن الفرق بين الأمرين واضح، فالاستغاثة يتجه بها إلى شخص واحد، أما الشفاعة فإنها تتعلق بشخصين: المستغاث به والوسيلة إليه. ولقد قال تعالى لمن قبلنا: ⌖⍉❄❄♊⬋☺✞⑥▭⍰❄❄⌖❄▦}

♐✖⬆⬧⍓✡⑨🖫⌫⌖❄❸ ⌖➢✡⌧ ♑⑧⍰❄⌖❄❷✡⍣🖫⌧⍂⑤

✠⍉✡◷⍰❄⌖⑨🖫⌧⍂⑥✡⑩ ✞⍈⌧⌖⍝🖫⌧⍂⑤

✞⍈⌧⌖⍝🖫⌧⍂⑤ ⌖➲⬆⬧⍓⬧❄❷🖫⍣⌖❄❸⌖➔

---

(366) ضوء الشمس 5/1 .

(367) روضة الناظرين 104 قارنه بالصفحة 106 .

{⌖➲⬆♦♦⚠✞⌫❄⌶⬁⌖❄❸ ⌶⍓♦❷←☺✞⑤⌖➔} (آل عمران 71).

3ـ أن الشفاعة لله جميعا، لا يشفع أحد ممن أوتي الشفاعة إلا بإذنه ولمن شاء.

4ـ أن الشفاعة بيد مالكها، وابتغاؤها من غيره غير مضمون فلماذا لا تطلب منه هو؟

5ـ أن الشفاعة نوعان: شفاعة بدعية شركية وهي التي تطلب من غير الله.

وشفاعة شرعية سنية، أما الشفاعة الشرعية السنية فالنبي ε علمنا كيف ننالها إذا كنا نريدها وذلك أن نسأل الله له الوسيلة، فإنه قال: « فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة ». فلماذا لا نطلبها بهذه الطريقة النبوية الكريمة؟ .

ففي الشرعية نسأل الله له، وفي البدعية نسأله من دون الله فتدبر وتنبه لهذه الفائدة.

6 ـ أن الشفاعة أنواع متفاضلة فأفضلها بين الخلق شفاعة نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه. وأفضل منها شفاعة رب العالمين الذي يخرج برحمته أضعاف أضعاف من قد خرجوا من النار بشفاعة الأنبياء ثم يقول: «ذهبت شفاعة الشافعين، وبقيت شفاعة أرحم الراحمين » .

فلا يدري المرء لعله يظن أن تكون شفاعته من النبي بينما يكون هو يوم القيامة ممن يفوزون بشفاعة الله لا غيره، والصوفية غافلون عن شفاعة أرحم الراحمين، يعظمون غيرها ولا يلتفتون إليها.

7ـ أن الصوفية إذا قيل لهم إن النبي ε أوتي الشفاعة فإنه يتبادر إليهم أنه يختار للشفاعة من يريد. وهذا خطأ فان جميع من أذن لهم بالشفاعة لا يشفعون إلا لمن ارتضى رب العزة كما قال: {⍓⌖⍨ ⭘✞⑤ ⑤⍉⌫✞⏵○✡⬃

▦❄⌖✹❄■⌔⌖☝♦ ⌔✡⍉⌖•⌖⍌♦☟⌨ ⑤✠☼♦①✞⏵②

⑩✡⑥✠☼♦●🖫←✡❄❄⇖✡🕮🗋}، وقال: {▦❄⌖❄⬆⬄⍓⌖▫☼♦○⌧

①②⇨☺ ❸❄⌖⍉⌔⌖☝♦ ⑤⍉⌫✹✞⏵⌔⌖❄⬁⌖➔♦

⑤✠☼♦①✞⏵② ⍓⌖⍉⬄ ⑤☺✞○✡➲⌖ ⌫✞❄⇖♦

⑤⍉⌫○⌖✈⌶⚠⌖❄⬁⍉♦ ➔⌖⊙⌖☆✡⬂③ ⌫✞❄⇖♦☟

⍉❄❄⌖⬆⬄①♈②}، وقال: {⍓⌖⑥ ⍓✡⍉ ✹⌖⌔✡"⌔ॐ

⑤✠☼♦①✞⏵② ⍓✡⍉✍ ⑩❄⌖⬁⌶•✡

⑤☼✠○🖫←✡⇖✡🕮🗋}. فالنبي أوتي الشفاعة لكنه لم يؤت الاختيار بل وليس ذلك لأحد إلا لله تعالى يأذن فيها لمن يشاء.

8ـ أن النبي ε صرح بأنه أوتي الشفاعة فهذا عهد اتخذه عند الله ونحن نشهد بصدقه، أما الأولياء فمن أين لكم أن فلاناً سيشفع وهل اتخذتم عند الله عهدا أنهم يشفعون وبالتحديد من تسمونهم « قل سموهم ».

9ـ أن من ينادي الأنبياء أو الأولياء مع اعتقاده أنهم لا ينفعون مع الله فإن ذلك لا ينفعه شيئا، بل انه زيادة في الحجة ضده فانه يقال له ولغيره: إذا كانوا لا ينفعون فلماذا تقصدونهم؟ ولماذا المغالطة: إلا يعتقد الصوفية أن مشايخهم وأئمتهم يملكون التصرف في الأكوان وأن لهم الكفاية والحماية والرعاية وأن الأرض مناطة بالقطب والجبال مناطة بالأبدال وأنهم يتفرقون في الأرض ليمسكوها من جميع زواياها كما يروي الصوفية ذلك ؟!.

10ـ أن الصيادي يتناسى الآن أنه كان يستشفع بالرفاعي إلى النبي ε وليس إلى الله كما يقول في الأبيات التي مرت معنا « ما لباب رسول الله واسطة إلا

أنت يا رفاعي»، وقوله: « وأنت واسطتي إلى نبيك » [368].

****

أضاف: « ونداء المخلوق للمخلوق سواء كان حيا أو ميتا غائبا أو حاضرا لا بأس به .. نعم يتضمن بعض النداء من المخلوق للمخلوق طلب الاعانة والإغاثة والشفاعة منه [369].

الجواب :

لاحظ كيف أنه هنا فرق بين الشفاعة وبين الاستغاثة وطلب العون في حين لم يكن يرى من قبل فرقا، ثم أن نداء الميت الغائب وترك الحي الذي لا يموت ولا يغيب دال على فساد توحيد الله عند المنادي ورجاؤه وطمعه فيما عند غير الله. ولقد صدق من قال من الصوفية: « استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق ». وكذلك الشعراني الذي قال: « كم من قبر يزار وصاحبه في النار» .

****

أضاف: « اسألوا الذين يستغيثون بالأولياء: هل يعتقدون أن أصحاب القبور يملكون النفع أو الضر من دون الله أم أنهم يعتقدون أنهم وسائط إلى الله وهم أسباب لا تأثير لهم وإنما المؤثر الحقيقي هو الله، وذلك كالمريض الذي يتناول الدواء ويعتقد أنه سبب والله هو الشافي المعافي .

إن من عكف على قبر وانقطع له عن الله عز وجل وظن أن الميت المدفون فيه يفعل ويصل ويقطع بغير أو من الله وهو المستبد بالفعل والآمر بنفسه فهو لا ريب فيه

(368) انظر ديوان الفيض المحمدي 126، 127.

(369) نور الإنصاف 10 .

من الضالين ».[370]

الجواب :

1ـ بل أنتم اسألوا المشركين: هل كانوا يعتقدون أن أصنامهم كانت تملك النفع والضر من دون الله أم أنهم كانوا يعتقدون أنها من الأسباب وأنها وسائط التقرب إليه كما قال الله عنهم: {⑥⌖✌ ←❄⌖⬀♊⑨⬧•⬧⬋⬧⮚♊ ⑤✠☀⬧①✞⮳② ⌦✡⬧”⬃⌖✠⑩✈❄⬧⬆←❄⌖⑥💻 ⑤✠☀⬧⌦✞⬂ ⑤⬂⬃✡⇨☺ ❍⬧⌦🖫⬃⌖⬂❖⬥}. فأنتم وإياهم في الزلفى سواء. وأنهم لم يكونوا يعتقدون أنها تنفع أوتضر من دون الله، وإنما النفع والضر من الله. فانه لما سألهم إبراهيم ν: « هل يسمعونكم إذ تدعون، أو ينفعونكم أو يضرون ». لم يقولوا نعم. وإنما حادوا عن الإجابة لأنهم لم يكونوا يعتقدون فيها النفع والضر. وإنما يتقربون بهم إليه كتقربكم بالقبور والقباب.

وكما أن الله لم يقبل تقربهم إليه بصالحي قوم نوح، فإنه لا يقبل تقربكم إليه بالبدوي والدسوقي والجيلاني والرفاعي .

2 ـ إذا كان من تستغيثون بهم أسبابا لا تأثير لهم وإنما التأثير من الله، وهم إنما مجرد سبب، فلماذا تستغيثون بالسبب وتنسون المسبب؟ أفلا كان من العقل ابتغاء السبب من المسبب ؟

لماذا لا تقولون مثلا: اللهم قيض لنا السبب الفلاني وهيئه لنا بدلاً من أن تقولوا أيها السبب أغثني أنا في حماك وغوثك. وكما أن المريض لا يجوز أن يقول للدواء «اشفني» إذا كان لا يعتقد التأثير منه، فكذلك المستغيث: لا يجوز أن يقول للمخلوقين أغيثوني أعينوني إذا كان يعلم أن الغوث والعون من الله. وإنما على الأقل أن كان ولا

(370) نور الإنصاف 11، 20.

بد أن يقول: اللهم أغثني بسبب من أسبابك. ولكن هل يظن الصيادي أننا لم نطلع على كتبه التي يقول فيها للرفاعي «أغثني يا رفاعي يا مجيب الدواعي »[371]

ويجعل نفسه عبدا للرفاعي فيقول: « أنا عبدك الذي باعتقاد علقت راحتاه في أثوابك ».[372] ويدعي في أخرى أن الرفاعي قال: « من لاذ فينا اكتفى عن غيرنا» .[373]

إنه يخفي الآن كل ذلك لئلا يظهر سم الشرك الذي دسه في رسائله ومصنفاته.

****

أضاف: «والذي احتج به البعض من قوله تعالى: {[illegible]}، وقوله: {[illegible]}، فالخطاب في هذه الآيات للمشركين الذين يدعون مع الله غيره أي يعبدونه. ويفسر هذا قوله تعالى: {[illegible]}، وقد تقدم الفرق بين النداء والدعاء.[374]

الجواب :

أن يقال: أن دعاء غير الله عبادة لغير الله. والدليل في ذلك قرآني :

(371) قلادة الجواهر 427 .
(372) قلادة الجواهر 234 .
(373) الكنز المطلسم 61 ـ 62 .
(374) نور الإنصاف 11 .

أولا: لقد تركز إنكار القرآن على المشركين كونهم يدعون غير الله. وتكرر هذا الإنكار بما يقارب الثلاث وخمسين مرة ولم يرد نص في القرآن يفيد أنهم كانوا يسجدون لها أو يصلون لها وإنما كانوا يعتقدون مجرد كونها واسطة إلى الله تقربهم إليه زلفى كما كانوا يقولون: {[illegible]}. ومن ذلك قوله تعالى :

{[illegible]} (الأعراف 194).

{[illegible]} (فاطر 14).

{[illegible]} (يونس 106).

{[illegible]} (الجن 18).

{[illegible]

⑤✺✠⌧✞⍃◆ ⌘⇔⬆⌖❄▦ ⑤⌧⍇❄⌖"❄⌖⍺⌖➔✡

➔⌖⇙⬖➢⇔ ⍺⌖⍝ ⬖⍺⌖⑥⌨▫✠⍝✺⌧⌂⌶

⍺⬅❄❄⌖⍝⍙✡⌫❄⬖⬆⍺⌖} (الأحقاف 5) .

ولقد ذكر الله تعالى قول إبراهيم υ لقومه:

{➔⌖⑤☺✞⍺⌶❷❄⌖◎✠⌧☼⍻☼➢⇔ ➔⌖⍻⌖⑥

❸❄⌖•⌶⍺⬖⬆⍺⌖ ⍻✡⍝ ⬖➔⍺✠ ⑤⍃⍈✡⇨☺} ثم اعتبر الله هذا الدعاء عبادة فقال :

{⍈❄⌖⌫❄⌖⍺⌖✈⑥ ⑤⍃⍺⌶❄❷⌖◎⌖⌧✞➚⬖➢⇔ ⍻✡⍝

⬖➔⍺✠ ⑤⍃⍈✡⇨☺}، ففي الآية الأولى {➔⌖⍻⌖⑥ ▦❄⌖⍈⌶⑨❄⬖•⬖➔⍺⌖} وفي الثانية: ثم قرن بين الدعاء والعبادة في آية واحدة فقال :

{⍉❄⬖⍉⌶ ⑤✠✺⬅⍚✡⍃ ⬅❄⬖➚✠"❶⇧ ⑤✞☺⍺⇔

⑤☺✞⍺⌶❄⑨⬖•⌖ ⑤⍃⌧✞⍚○✡▦❄⍈➚ ❸❄⌖❄•⌶⍺⬖⬆⍺⌖

⍻✡⍝ ⬖➔⍺✠ ⑤⍃⍈✡⇨☺🕮}.

وقال النبي ε: « الدعاء هو العبادة ». [375]

وبما أن الدعاء عبادة فيجب توحيد الله في العبادة وعدم دعاء غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو من كشف الضر ودفع البلاء .

ولهذا قال ε: [**أدع إلى الله وحده الذي أن مسك الضر كشفه عنك**]. [376]

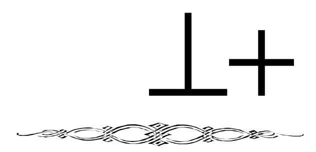
(375) أخرجه أبو داود رقم (1479) في الصلاة: باب الدعاء، والترمذي (3244)، وقال حديث حسن صحيح .

(376) أخرجه أحمد في المسند 5 / 64 ، 377. ورجاله رجال البخاري.

وقال: [**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**]. [377]

ولعلك عند مراجعتك لعبارة الصيادي الأخير تجد أنها قد تضمنت الاعتراف بأن عاء غير الله عبادة لغير الله فإنه قال: «فالخطاب في الآيتين للمشركين الذين يدعون مع الله غيره أي يعبدونه». وهذا ما نوافقه فيه من أن دعاء غير الله عبادة لغير الله ولكن: هل تنبه إلى ما قاله؟.

(377) أخرجه الترمذي رقم (2518) وقال: حديث حسن صحيح.



الاستغاثة بمشايخ الطريقة الرفاعية

أما الاستغاثة بمشايخ الطريقة فمثاله قول خليفة الشيخ أحمد الرفاعي علي بن عثمان:

« يا سادة، من كان له منكم حاجة فليلزمني بها، ومن شكى إلى سلطانه أو شيطانه أو زوجته أو دابته أو أرضه إن كانت لا تنبت أو نخلة لا تثمر أو دابة لا تحمل فليلزمني بها فإني مجيب له ».[378]

ويذكر الصيادي قصة قوم في بيروت يستغيثون بالبدوي وهو في قبره في مصر، ويسألونه بحق النبي ع أن ينجيهم من قبضة الإفرنج الصليبيين يقول الصيادي: «وذكر أن جماعة من أهل بيروت أسرهم الإفرنج، فألهمهم الله أن يقولوا: يا سيدي أحمد يا بدوي: إن الناس يقولون انك تأتي بالأسرى إلى بلادهم، وقد سألناك بالنبي ع أن تردنا إلى بلادنا. فمكنهم البدوي من الهروب من الإفرنج».[379]

وهذا يوضح حقيقة اعتقاد الرفاعية في الأموات من مشايخ التصوف وأنهم يفعلون ما لا يمكن للأحياء فعله. وقد ذكر الوتري أن من الأولياء أربعة يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء تماما وهؤلاء الأربعة هم: الشيخ عقيل المنبجي والشيخ

(378) قلادة الجواهر 323، روضة الناظرين 84 .
(379) قلادة الجواهر 402.

قيس الحراني والجيلاني والشيخ معروف الكرخي.[380] وقالوا في هذا الأخير: قبر معروف الكرخي: « الترياق المجرب» وأنهم جربوه لقضاء الحوائج.[381]

ثم مما يلاحظ في قصة استغاثة الأسرى بالبدوي أنهم توسلوا إليه بحق النبي ع، وهذا توسل إلى المخلوق بالمخلوق، وليس توسلا إلى الخالق بالمخلوق، وليس لله في ذلك ذكر ولا شأن عندهم .

وهذه الرواية ذكرها الصيادي في كتابه قلادة الجواهر. هذا الكتاب الذي قرظه كثير من علماء الشام ولبنان وأثنوا عليه مع ما فيه من أقوال الشرك.

وروى النبهاني عن عامر العراقي أنه أتى الشيخ إبراهيم الأعزب مودعا فقال له إبراهيم: « إذا وقعت بشدة فناد باسمي. قال عامر: ففي صحراء خراسان أخذتنا خيالة (قطاع طرق) فذكرت قول الشيخ وكان بجانبي رفقة فاستحييت من ذكر اسمه بلساني لأنهم « لا يفهمون مثل ذلك » فاختلج في صدري الاستغاثة به، فلم يتم ذلك حتى رأيته على جبل يومىء بعصا اليهم فجاؤوا بجميع أموالنا ».[382]

ولما مات الشيخ عبد الله البلتاجي زاره يوسف العجمي فضاعت حمارته في الطريق فجاء إلى قبر البلتاجي وقال له: « يا عبد الله رد علي حمارتي وإلا لم أعد أزورك. فطلع الشيخ عبد الله من القبر وأتاه بالحمارة من البرية وقال: يا يوسف إذا جئت لزيارتنا مرة أخرى فقيد حمارتك بقيد من حديد ».[383]

ورأى أحد مريدي الشيخ عز الدين الصياد أن ينقطع عن مجلسه وتعذر له

(380) روضة الناظرين 37 .
(381) قلادة الجواهر 437، الرسالة القشيرية 9.
(382) جامع كرامات الأولياء 1 / 237 .
(383) قلادة الجواهر 413 .

بأعذار عديدة. وفي إحدى الليالي رأى القيامة قد قامت وأنهم جاؤا به إلى جهنم، فلما قذفوه في النار صاح «يا شيخي» فمد شيخه عز الدين الصياد يده واجتذبه قبل أن يصل، وقد لفح النار ثيابه فاستيقظ مذعورا مرعوبا وقام لوقته ذاهبا إلى شيخه المذكور، فلما دخل عليه أكب «على رجليه» معتذراً، قال له شيخه عز الدين: «ولفح اللهب كما مس ثيابك مس جبتنا وصانك الله من النار».

قال المريد: « لقد رأيت أثر لفح اللهب في ثيابي وفي جبة أكمام سيدي حيث صارت دخانا ». (384)

علق الصيادي على هذه القصة قائلا: «وهذه الكرامة تشير إلى قوة تصرفه في البرزخ» أي تصرفه في اليوم الآخر وليس في الدنيا فحسب !!

وبعد: فهذه نماذج من عقائد هؤلاء وهي في نظري تحقق ما أخبر به النبي ε: [**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد الأوثان**]. (385)

والاتجاه إلى المخلوق عند الشدائد من الشرك والوثنية إذ ليس بالضرورة أن يكون الوثن ذاك الصنم الحجري. بل اتباع الهوى واستبداله بالشريعة وثنية أيضاً كما قال تعالى: {⇨❶⌶❄▦③⇩⌖●⌖❄⬂✞⊖⑤ ✠⌒⌖⩔ ⑤⌂❸❄✞⌲⌖⌖○⌖ ⑤✠⌖⌧✞❄⌖⌖⬈⌖⬉💧✋ ⬋⌖🡅⌖▫❄⌖⬉💧} (الجاثية 23) .

(384) إرشاد المسلمين 102 ـ 103، خزانة الامداد في تاريخ بني صياد 29 ـ 30.
(385) أخرجه مسلم رقم (21920) في الأمارة، وأبو داود رقم (4252) والترمذي رقم (2203) وأحمد في المسند 278/5.

الكتاب السابع

!+

أوجه التلاقي بين الرفاعية والشيعة

لقد خلف التشيع آثارا واضحة في التصوف كما صرح بذلك جمع من العلماء والمحققين كابن خلدون في مقدمته وغيره حيث قارن هؤلاء ما عند الشيعة من الغلو في الأئمة ومن تقديس قبورهم وقولهم بالعلم الباطن المسمى عند المتصوفة بـ«العلم المكتوم » أو «اللدني» الذي يزعمون أن عليا τ أخذه عن النبي ε من دون الناس، وأخذه عنه الخاصة .

لقد قارنوا ذلك بما يوجد في كتب التصوف. وانتهوا إلى تلك الحقيقة وهي أن التصوف «فرع من التشيع».[386]

وإذا كان الأمر كذلك فلننظر إلى أهم أوجه التقارب بوجه خاص بين الرفاعية والشيعة بالتفصيل:

* أئمة أهل البيت عند الرفاعية والشيعة :

يعتقد الرفاعية أن النبي ε نور محض وأنه لو بدا من نوره مثقال ذرة لاحترق ما بين العرش إلى الثرى.[387] وأن أهل بيته أنوار الوجود اللامعة وهي

(386) أنظر مقدمة ابن خلدون 322 و472 ـ 475 .
(387) حالة أهل الحقيقة مع الله 24 منسوب للشيخ أحمد الرفاعي ط: العمومية بمصر 1315 هـ .

أجزاء من الرسول النورانية.[388] بل قالوا عن الرفاعي نفسه أنه مظهر الأنوار الإلهية لأن الله خلقه من نور وجهه.[389]

ويعتقد الشيعة مثل ذلك فيقولون بأن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله[390] وقال الخميني: « إن الرسول والأئمة كانوا أنوارا».[391]

ويعتقد الرفاعية أن مشايخهم وأئمتهم أمان لأهل الأرض. ولقد قالوا بأن الشيخ علي الرفاعي كان أمانا لأهل الأرض وظلا ظليلا على سائر الخلق.[392]

وأن الله جعل أحمد الرفاعي ظلا يستظل به جميع الخلق.[393]

وفي المقابل ينقل الشيعة عن أئمتهم قولهم: « ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ». « ولو رفع الإمام من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله».[394]

وينسب الرفاعية إلى مشايخهم العلم المطلق بكل المكنونات. ولما أثنى الصيادي على قريبه «المهدي الرواس الرفاعي» وصفه قائلا:

---

(388) المعارف المحمدية 27، المجموعة النادرة 15 ضمن أشرف الوسائل تحقيق وجمع عبد الحكيم عبد الباسط الرفاعي .

(389) إجابة الداعي في مناقب القطب الرفاعي 11 للبرنزحي الرفاعي، إرشاد المسلمين 7، قلادة الجواهر 46، 432 المعارف المحمدية 90 .

(390) كتاب من لا يحضره الفقيه 4 / 414 لابن بابويه القمي .

(391) الحكومة الإسلامية للخميني 52 .

(392) قلادة الجواهر 350 .

(393) قلادة الجواهر 35 .

(394) كمال الدين وتمام النعمة 1 / 207 لابن بابويه القمي. وانظر الأصول من الكافي للكليني 178/1 ـ 179 .

بمكنـــون الغيــب حــوى اطلاعــا تــــراه بكـــل آتيــــه خبيـــرا[395]

ويرى الرفاعي أن الأولياء خزائن الله في أرضه وسمائه يضع فيهم ودائع سره وآياته التي لم يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل[396].

وهذا ما تعتقده الشيعة في أئمتها فيقولون بأن عندهم: علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء[397]

ويقول الخميني: « إن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل».[398]

والتوافق بين عبارة الخميني والرفاعي ظاهر في تفضيل الأئمة والأولياء على الأنبياء والملائكة .

والرفاعية يعتقدون في الرفاعي والشيخ منصور وغيرهما أن الله حكمهم في ذرات الكون.[399]

وكذلك الشيعة يعتقدون في أئمتهم ذلك. ولا يخفى قول الخميني: « إن لأئمتنا مقاماً سامياً، وخلافة تكوينية تخضع لها جميع ذرات الكون ».[400]

وتظهر سمة الغلو بين الفريقين جلية في أئمتهم حيث يرفع كل منهما أئمته إلى مستوى الألوهية، وإليك نصين لكلا الفريقين يثبت كل منهما هذا التقارب الرفاعية والشيعة :

---

(395) تنوير الأبصار 131.

(396) طبقات الصوفية للشعراني 173/1 .

(397) الأصول من الكافي للكليني 1 / 261.

(398) الحكومة الإسلامية 53 .

(399) انظر إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين 13 ، 14 ، 17 .

(400) الحكومة الإسلامية 53 .

روى الرفاعية عن أحمد الصياد الرفاعي أنه كان يقول [401]:

أنــا النــون قبـل النــون ملقــى — فـي بطـون الرضـا قويمـا بلالـي

صرت موسى فدك طور اشتياقي — صـرت عيسى ومـريم الـدهر كفـي

صرت في الربع يوسفا قـال قلبـي — صــرت يعقــوبي دبرانــي خليلــي

صرت ادريـس وارتقيت المعاني — وفهمــت الرمــوز بــالأين والأي

صـرت داود صـار حـالي سـليمان — وصــارت أضــداد حــالي بنــوطي

وهذه الدعوى قريبة مما عند الشيعة وإن كانت الشيعة قد تزداد غلوا عن الأولى في بعض الأحيان. ويتمثل هذا في النص المنسوب إلى علي τ:

« والله لقد كنت مع إبراهيم في النار، وأنا الذي جعلتها برداً وسلاماً، وكنت مع نوح في السفينة وأنجيته من الغرق، وكنت مع موسى فعلمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهد وعلمته الإنجيل، وكنت مع يوسف في الجب فأنجيته من كيد إخوته، وكنت مع سليمان على البساط وسخرت له الرياح ».[402]

ويتشابه الفريقان ـ الصوفية والشيعة ـ في البالغة إطراء ومدح علي τ، فيروي الصيادي عنه أنه كان يقول:

« أنا نقطة بسم الله، أنا جنب الله الذي فرطتم فيه، أنا اللوح المحفوظ، أنا اللوح وأنا القلم وأنا العرش وأنا الكرسي، وأنا السموات السبع والأرضون ».[403] وهذا موافق لما في بحار الأنوار للمجلسي .

(401) قلادة الجواهر 345 .

(402) الأنوار النعمانية 1 / 31 لنعمة الله الجزائري تحقيق القاضي الطباطبائي.

(403) ضوء الشمس للصيادي 1 /131 ـ 132، قارنه بكتاب « بحار الأنوار» للمجلسي 26 / 153 .

* الرفاعي ثالث الأئمة الإثنى عشر

الرفاعية يعتقدون بإمامة الإثنى عشر الذين قالت الشيعة بإمامتهم، ويجعلون شيخهم الرفاعي الإمام الثالث عشر بعدهم. يقول الصيادي:

«ولم يأت في أهل البيت الطاهرين بعد سادة الأئمة الإثنى عشر سلام الله عليهم ولي لله تعالى أعظم منزلة وأكمل عرفانا من الشيخ أحمد الرفاعي ».[404]

ولا يخفى أن أدراجهم الرفاعي ضمن الأئمة الإثنى عشر فيه إقرار بإمامتهم واعتقاد لها على النحو الذي رتبته الشيعة. لا سيما إذا علمنا أن الإمام الثاني عشر منهم واسمه محمد بن الحسن العسكري هو الإمام الغائب الذي يعتقدون أنه دخل في السرداب ولم يخرج منه إلى الآن والذي ينتظر الشيعة خروجه منه. ويعتبر بعض العقلاء من الشيعة اليوم أن فكرة المهدي المختبئ في السرداب ما هي إلا أسطورة وأماني يعيش الشيعة على أصدائها.

وهذه الفكرة ابتدعها محمد بن نصير النميري مؤسس الفرقة النصيرية، ولم يقبل بها الشيعة في بادئ الأمر ثم ما لبثوا أن أخذوا بها، مع أن كبار رواتهم ومؤرخيهم اعترفوا بعدم وجود إمام ثاني عشر لأن الإمام الحادي عشر لم يعقب وأن أقرباءه المعاصرين له قد فتشوا زوجاته وجواريه وتحققوا من ذلك فلم يجدوا واحدة منهن حاملا. [405]

وإمامة الأئمة الإثنى عشر إمامة دولة عند الشيعة التي تعتبر أن لهم الأولوية

(404) المعارف المحمدية 2 و 73 الطريقة الرفاعية 127، بوارق الحقائق 196 القواعد المرعية في أصول الطريقة الرفاعية 7، 38 ط: محمد أفندي مصطفى، ترياق المحبين 12، الكنز المطلسم 26، تنوير الأبصار 36، إرشاد المسلمين 97 .

(405) انظر كتاب الحجة من « الكافي » 505، الإرشاد للمفيد 339، كشف الغمة للأربلي 408، الفصول المهمة 289، جلاء العيون 2 / 762 للمجلسي، إعلام الورى 377 للطبرسي.

في الحكم على أبي بكر وعمر اللذين اغتصبا منهم هذا الحق.

وأول مهمات الإمام الثاني عشر إذا طلع من السرداب أن ينتقم لهؤلاء الأئمة الذين سلب حقهم في الإمامة فيحيي الله له الخلفاء الثلاثة الأوائل (أبا بكر وعمر وعثمان) ومن خلفهم من ملوك بني أمية إلى العباسيين .. إلخ فيعمل فيهم السيف والقتل، وهذه تسمى عند الشيعة بـ « عقيدة الرجعة ».

والرفاعية يعتقدون أيضا أنها إمامة « دولة » على ما سأناقشه فيما بعد [406]

ولما كانت هذه الموافقة بين الرفاعية والشيعة في اعتقاد إمامة الأئمة الإثنى عشر (ومن بينهم المهدي الغائب) تتنافى ونصوص السنة التي تحدثت عن مهدي آخر لم يولد بعد ويكون اسمه « محمد بن عبد الله » وليس يكون ابنا للحسن العسكري كما تعتقد الشيعة، لما كان هذا القول مماثلا لاعتقاد الشيعة الإثنى عشرية، ومخالفاً لما يعتقده أهل السنة حاول الرفاعية تبرير ذلك باختلاق رؤيا تحل المشكلة وتبرر هذا الاتجاه الشيعي عندهم، فرووا عن الشيخ عبدالجليل عبدالسميع الهاشمي الرفاعي أنه كان لا يقبل القول بإمامة الأئمة الإثنى عشر، غير أنه غير رأيه حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول له:

ولدي أحمد ثالث عشر الأئمة أئمة الهدى من أهل بيتي. قال: فكنت لا أقول بإمامة الإثنى عشر أئمة الهدى. فبعد هذه الرؤيا تأدبت وقلت بإمامتهم قولاً صالحاً لا يهدم منارة الإجماع.[407]

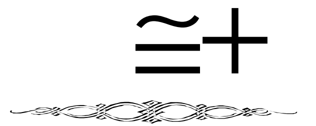
ودائماً يحل الصوفية مشاكل البدع بهذه الطريقة التي تلتبس على عامة الناس

(406) الكنز المطلسم 26. وانظر في تفاصيل عقيدة الرجعة عند الشيعة: عقائد الشيعة للزنجاني 229، الأنوار النعمانية للجزائري 2 / 89، حياة القلوب للمجلسي 3 / 303 .

(407) إرشاد المسلمين 45 .

فيكفي أن يزعموا بأنهم رأوا النبي ε في المنام ووافقهم على المسألة الفلانية لتصير بعد ذلك مشروعة عندهم وإن كانت نصوص السنة المنقولة عنه عليه الصلاة والسلام تخالفها.

وكم من أحاديث مكذوبة اعتقدوا صحتها بدعوى أنهم خرجوها في المنام وتحققوا من صحتها بسؤال النبي ε شخصياً عنها. وكم من بدعة صارت عندهم من السنة بدعوى أنه أمرهم بها في المنام. وهذا من خدع الشيطان عليهم فإن النبي ε لا يحل في المنام ما قد حرمه في اليقظة.



الرفاعية ينـتـظرون مهدي الشيعة المنـتـظر

ولقد استشهد الصيادي بهذا المنام وذكر أن صاحب المنام لم يكن يقول بإمامة الأئمة الإثنى عشر احترازا من موافقة الشيعة لكنه وافقهم بعد رؤيته. ذكر ذلك في كتابه (روضة العرفان) الذي خصصه في التحدث عن مزايا الأئمة الإثنى عشر.

ثم جعل الصيادي يعدد أسماءهم فيه على النحو التالي:

1ـ علي بن أبي طالب الإمام الأسد الغالب.

2ـ الحسن الإمام الجليل.

3ـ الحسين صاحب كربلاء.

4ـ زين العابدين علي السجاد.

5ـ محمد الباقر.

6ـ جعفر الصادق.

7ـ موسى الكاظم.

8ـ علي بن موسى الرضا.

9ـ محمد الجواد (أبو جعفر).

10 ـ علي الهادي (أبو الحسن).

11ـ الحسن العسكري (أبو محمد).

12ـ محمد المهدي المنتظر الحجة. (408)

وقد زعم المهدي الرواس الرفاعي أن النبي ε قال له: «تمسك بولدي أحمد الرفاعي فانه لا يجيء مثله إلى يوم القيامة إلا سميك (يعني من يوافق اسمه اسمك) المهدي بن العسكري». (409)

وزعم أيضاً أنه أتى قبة موسى الكاظم بمدينة « طوس » فبرز له الإمام المهدي الحجة المنتظر فكلمه هناك. (410)

وجعل المهدي الرواس أسانيده في المصافحة أربعة :

الأول : عن عمه ابراهيم الرفاعي.

الثاني : عن ابن عمه الشيخ عبد الله الراوي

الثالث: عن حجة الله الإمام المهدي بن الإمام العسكري في المدينة المنورة تجاه المرقد الأشرف المصطفوي قال: ثم دعا لي الإمام المهدي بخير. الرابع: عن الخضر الذي صافحه سبعا وثلاثين مرة عند قبر معروف الكرخي الذي قال له: صافحت كفي هذه سرادقات عرش ربي. (411)

وقد جعل الصيادي يتوسل إلى رسول الله ε بأهل بيته الإثنى عشر قائلا(412):

---

(408) بوارق الحقائق 141 ـ 142، وانظر النجوم الزواهر 113 لأحد الرفاعيين المعاصرين.

(409) بوارق الحقائق 212.

(410) بوارق الحقائق 318.

(411) المجموعة النادرة 230 (ضمن أشرف الوسائل).

(412) ديوان الفيض المحمدي للصيادي 47 ـ 48.

إليك التجائي يا إمام الورى	**سراج الهدى يا سيد الإنس**
أغث بقبول واصرف الهم والبلا	**وكيد العدا والقائمين ببهتان**
سألتك بالصديق صاحبك الذي	**مناقبه صحت بآيات قرآن**
بأسيادنا الغرالميامين قادة البرية	**أهل البيت أقمار الأكوان**
بدولة زين العابدين وصدقه	**وبالباقر المعروف في كل عرفان**
بجعفر أعني الصادق الوعد	**وبالكاظم الحاوي جلالة إيمان**
وبالعسكري ثم الرضا ثم بالتقي	**كذاك التقى ثم الجواد لعيان**
وبالسيد المهدي وكل فروعهم	**وأولادهم في كل أرض وبلدان**

وهذا كما ترى اعتراف بالإثنى عشرية وبالمهدية اللتين يدين بهما الشيعة الإثنى عشرية، وانحراف عن مذهب أهل السنة إلى التشيع.

* الشعراني ومهدي الشيعة المنتظر

وليس هذا الانحراف عن جادة أهل السنة خاص بالرفاعية وإنما هو عام في العديد من فرق التصوف ورجالاتها.

فلقد نقل الشعراني عن الشيخ حسن العراقي أنه اجتمع بالمهدي الحق وسأله عن عمره فقال له المهدي: «ولدت في أواخر المائتين من الهجرة، وعمري ستمائة سنة وأنا من ولد الإمام الحسن العسكري. قال الشعراني: هكذا أخبرني والله أعلم بحقيقة الحال. [413]

غير أن الشعراني صرح في موضع آخر بأنه سأل الكمل من مشايخ التصوف

(413) لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الإطلاق 489 ـ 490.

فأجابوا بنفس ما قاله المهدي المزعوم سواء بسواء. [414]

* مشاهد الأئمة ومقابرهم عند الفريقين

وكذلك نجد التوافق الرفاعي الشيعي في شد الرحال إلى مقابر الأئمة وأخذ العلوم منهم والالتقاء بهم حيث يؤمنون بأنهم يخرجون من قبورهم متى شاؤوا لقضاء حوائج المستغيثين بهم.

ولقد كان كتاب «بوارق الحقائق» للمهدي الرواس الرفاعي من أقرب الكتب الرفاعية الداعية إلى التشيع حيث سطر فيه تنقلاته الكثيرة بين قبور أئمة أهل البيت وذكر أنهم كانوا يخرجون من قبورهم واحداً واحداً أمامه، بل خرج له الأنبياء وأعطوه علوم الجفر وغيرها.

ولقد جاء فيه وصف قبر الشيخ أحمد الصياد بأنه: زيتونة لا شرقية ولا غربية «بتولية فاطمية سبطية محمدية عابدية باقرية جعفرية كاظمية مرتضوية أحمدية» [415].

وقد دفع الغلو بالصيادي إلى اعتبار قبر نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام أفضل من الجنة بل من عرش الرحمن ومن كرسيه. [416]

وادعى على السلف الصالح أنهم اتخذوا مقابر أهل البيت والتوجه إليهم والتوسل بجاههم إلى الله ذريعة لقضاء حوائجهم. وأن الناس قد جربوا في المشرق والمغرب مقابر أهل البيت فوجدوها بابا لدفع الأكدار، وسلما لبلوغ الأوطار. ثم أنشأ

(414) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية 4/1، 5، 139/2 على هامش طبقات الصوفية له أيضاً. ط: المكتبة الشعبية ـ القاهرة 1954.

(415) بوارق الحقائق 56 ـ 57.

(416) قلادة الجواهر 104.

يقول [417]:

جئــت بطيبــة والغــرى وكــربلا   والطــوس والــزورا وســامراء

مـا زرتهـم فـي حاجـة إلا انقـضت   وتبـــدل الـــضراء بالـــسراء

والشيعة كذلك يقدسون قبور أئمتهم، ويجدون عندها من الخشوع والرقة ما لا يجدونه في المساجد والصلوات. ويعتبرونها بابا لقضاء الحاجات وكشف الكربات فإن أئمتهم قائمون بمصالح العباد وهم في قبورهم.

* مراتب الأولياء ومراتب الأئمة :

وأما تقسيم الأئمة إلى أقطاب وإبدال وأوتاد وإنجاب وإغواث فإنه نظير تقسيم الباطنية للأئمة إلى الناطق والتالي والأساس والسابق ولكل وظيفته في الكون. وقد أخذ الصوفية فكرة النقباء الإثنى عشر من الإسماعيلية وكذلك فكرة أنهم لا يزيدون ولا ينقصون.[418]

وكذلك يتوافق كل من الفريقين في استخدام ألقاب مخصصة للأئمة مثل لفظ :

« صاحب الزمان ».

يقول الصيادي: « ورضي الله عن الإمامين والسبعة الأقطاب وعن الإبدال والإنجاب والأوتاد والأفراد القائمين بمصالح العباد ».[419]

ويدعو الصيادي الله أن يعطف عليه

قلب الأئمة لينال منهم حاجته، ويدفع بهم كربه فيقول: « ونسأله تعالى أن

(417) قلادة الجواهر 439.
(418) الفتوحات المكية 2 / 9.
(419) القواعد المرعية 18 ـ 19، المعارف المحمدية 103، وانظر قلادة الجواهر 344 للصيادي.

يعطف علينا قلب « صاحب الزمان » وحاشيته الكرام الأعيان، جعلناهم وسيلتنا إلى الله، أخذناهم درعاً لرد كل بلاء ودفع كل قضاء، قبلناهم بابا لنيل كل خير.[420]

وفي موضع آخر يطلب من الرسول ε أن يأمر صاحب الزمان وآله أن يساعدوه في قضاء حوائج دينه ودنياه [421].

وهكذا لم تعد الحاجة ترفع إلى الله وإنما تطلب من غيره بواسطة غيره أيضاً.

* الرفاعية يعظمون كتاب « الجفر » الشيعي

ويؤمن الرفاعية بكتاب الجفر الذي تعظمه الشيعة وتقدسه وتزعم أنه وعاء، فيه علم النبيين والوصيين وعلماء أمة بني إسرائيل، فيه علم ما كان وما يكون مفصلا (شيئا بشيء) إلى يوم القيامة. [422]

والمهدي الرواس من الرفاعية يصرح بأن الجفر علم صانه الله تعالى بآل البيت النبوي وخص به الأئمة ووراث الأئمة من الأغواث والأقطاب والأنجاب، وفيه أسرار عظيمة مما يتعلق بكل وارث منهم وهو عبارة عما يحدثه فيهم كخلافة أمير المؤمنين علي υ وولده الحسن السبط الهمام، وشبله المقدام الحسين وما سيجري في عهد المهدي سلام الله عليه ورضوانه، وهو سر خاص بهم لا يتعلق بغيرهم.[423] وهنا يبرز خط التشيع بوضوح فان الجفر ذكر إمامة علي ولم يجعلها تالية لإمامة أبي بكر وعمر. وإنما جعلها أول إمامة بعد النبي ε، وبالتالي يكون إقرار ذلك إقرار

(420) القواعد المرعية 19، وانظر كتاب روضة الناظرين 95 ، 136.
(421) قلادة الجواهر 392 ـ 393.
(422) الكافي في الأصول 239/1 كتاب الحجة باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة وانظر بصائر الدرجات 180/3 للصفاري.
(423) بوارق الحقائق 284 ـ 285.

لمذهب الشيعة في الإمامة.

ولقد كان للرواس نصيب من هذا الجفر، فزعم أنه لما اجتمع بقبر الشيخ أحمد الصياد الرفاعي [424] قال له هذا الأخير: « أنت منبع يجري منه نهر كنهر النيل.

قلت: دلني سلام الله عليك على هذا النهر الذي مثلته بالنيل. فذكر أن الصياد تكرم عليه بإعطائه بعض كلمات من «الجفر» العلوي الفاطمي وحل له أسرارها.[425]

وأنه حصل على تسعمائة سر من أسرار الجفر الفاطمي من الخليل إبراهيم υ. وذلك حين ظهر عليه أمام قبر من قبور الأئمة. وأعطاه خرقة عليها بعض الطلاسم والرموز السحرية. قال الرواس: « وقد صرح أولياء الله من آل فاطمة عليها السلام أن من حمل هذا السطر على هذه الصورة الشريفة عوفي مريضه وأفاق مصروعه وهو المانع من كل ملم ودافع لكل مهم». [426]

* محبة أهل البيت كفارة للذنوب

ومن أوجه التشابه بين الرفاعية والشيعة اعتقاد كلا الفريقين براءة محب أهل البيت من النار :

يدعي الصيادي أن النبي ε قال: « معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب».

وأنه قال: « من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ومن مات على حب آل

(424) يلاحظ استعمال كلمة «اجتمع» لأن الأموات من مشايخ المتصوفة يخرجون من قبورهم ويجتمعون بمن يحضرهم ممن يريد علما أو بيعة أو مددا.
(425) بوارق الحقائق 78 ـ 79.
(426) بوارق الحقائق 177 ـ 179. وهذا الكتاب أشبه ما يكون بكتاب رؤيا يوحنا الذي عند النصارى اللاهوتي فان فيه من العجائب والأساطير ومشاهدة الشياطين الشيء الكثير.

محمد بشره ملك الموت بالجنة، ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزاراً لملائكة الرحمة ».[427]

وأنه قال: « الزموا مودتنا أهل البيت، فان من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا ».

أضاف قائلا: « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة :

المكرم لذريتي

القاضي لهم حوائجهم

الساعي لهم في أمورهم

المحب لهم بقلبه ولسانه ». [428]

وفي المقابل نرى الشيعة يزعمون أن الله تعالى قال: « لا أدخل النار من عرف أبا طالب وان عصاني، ولا أدخل الجنة من أنكره ولو أطاعني ».[429]

ويدعون أن النبي ε قال: « من رزقه الله حب الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة فلا يشكن أحد أنه في الجنة ».[430]

ونحن لا ننكر أن حبهم إيمان وهو جزء لا يتجزأ من محبة النبي ε لكننا لا نعتقد بكفارة محبتهم على النحو الذي تعتقده الشيعة والصوفية وهو ما تعتقده النصارى في عيسى υ حيث يعولون على المحبة ويطعنون في العمل ويصرفون

(427) ضوء الشمس 1 / 251 ، 255.
(428) ضوء الشمس 1 /262 ـ 263.
(429) البرهان في تفسير القرآن للبحراني الشيعي 23، الخصال للقمي 2 / 583.
(430) تفسير نور الثقلين 2 / 504 للحويزي.

الناس عنه.

* عصمة أهل البيت النبوي :

أما عصمة أهل البيت فالصيادي ـ من الرفاعية ـ يصرح بأنهم «المعصومون المحفوظون » [431] ويفسر قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجز أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، قال: الرجس: الآثام والذنوب. [432]

* هل يتصور وقوع الظلم منهم ؟

قال الصيادي: «ولا ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلا وان ظلموه، فإن ذلك الظلم: ظلم في زعمه لا في نفس الأمر، حتى وان حكم الشرع بأنه ظلم» [433]

وليس أعجب من هذا التحكم والمغالطة والتحيز. هذه المغالطة التي لم سبق إليها ابن عربي الذي جعل الذنب المذكور في قوله تعالى: {⌧⚐✡”❄⌖⬀🡐❄◻⬃✡⭘⌖ ⌧✞℘⇨ ⑤✍📪💧⇨☺ ⮛⌖⑥ ❸❄⌖℘⌖•✞⚐⮜⌖ ⮛✡⮉ ⭘✞🡐❄✍⑨✡℘⇨ ➔⌖⮛⌖⑥ ❸❄⌖⑥✞😐·✞⚐⭘⌖} ذنبا صوريا لا معنى ولا حقيقة له. [434]

ويضيف الصيادي كلامه قائلاً :

بل حكم ظلمهم إيانا في نفس الأمر يشبه جري المقادير علينا .. من غرق أو حرق .. فلا يذم الإنسان قضاء الله وقدره، فكذلك الأمر في أهل البيت فإنه يقابل ما

---

(431) ضوء الشمس 1 /268 .
(432) ضوء الشمس 1 /251.
(433) ضوء الشمس 1 /269.
(434) ضوء الشمس 1 /265.

يطرأ عليه منهم بالرضا والتسليم.

فلا يؤاخذهم بما طرأ منهم في حقه ولا يطالبهم به، بل يتركه لهم ترك محبة وإيثار .. [435]

فيجب عليك أيها المسلم أن لا ترى لنفسك معهم حقا وتتنازل عن حقك لهم.

أما إذا كنت قاضيا بين واحد من أهل البيت وآخر من عامة الناس فيأمرك الصيادي بالتالي: «عليك أن تسعى في استنزال صاحب الحق من حقه إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت ». [436]

فهو يسوغ لهم الظلم ويحث الآخرين أن يطيبوا نفسا بهذا الظلم ويرضوا به كرضاهم بقضاء الله وقدره، وإلا كانوا متطاولين عليهم أن طالبوا بحقهم منهم ويدعو الحكام والقضاة أن يميلوا عن الحق إلى جانب الأئمة ولو كانوا ظالمين.

وبالمقارنة بين هذه الآداب مع الأئمة وبين الآداب التي افترضتها الباطنية مع الأئمة لا نجد فرقا إلا بالعبارة، ولقد تأملت إحدى رسائل الإسماعيلية للداعي الإسماعيلي الباطني القاضي النعمان بن محمد المغربي بعنوان «كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة يذكر آداب المريد مع إمامه على نحو مماثل لما يدعو الصوفية إليه ».

والسؤال: هل كان رسول الله ليرضيه مقابلة الظلم بالتسليم والرضا ووضع الحق بجانب أفراد أهل بيته وان ظلموا؟

ألم يقلها صريحة مدوية أمام الملأ «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد ع يدها. (متفق عليه)

---

(435) ضوء الشمس 1 /269 ـ 270.
(436) ضوء الشمس 1 /272.

ألم يتوعد عمر τ ابن عباس بالتعزير أن لم يكف عن الفتيا بإباحة زواج المتعة ؟

على أن الصيادي يوجب على كل مسلم احترام من انتسب إلى أهل البيت من غير أن يطالبوه إثبات صحة هذا النسب، يقول: «وليعلم أنه ينبغي احترام وتعظيم كل من ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون تكليفه إلى إثبات نسبته إليه ».(437)

* أبو طالب وأبوا النبي في الجنة :

أما موقف الرفاعية من أبي طالب وأبوي النبي ε فإنه موافق لمذهب الشيعة، وللصيادي رسالة سماها: « السهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب» ورسالة « الكنز المطلسم » ذكر فيهما أن أهل البيت كلهم مطهرون وأنهم كلهم في الجنة. وأيد رأي السيوطي الذي نص على إيمان أبي طالب وموته عليه. وأن أبوي النبي ε من أهل الجنة، وأن من رماهم بالنقص يكون مؤذيا لرسول الله ε وبالتالي يكون مقتحما للكفر. (438) ناقلا عن الشيخ كمال الدين الشمني الحنفي أن من قال بأنهما في النار فهو ملعون.

ولذلك إذا ذكر الصيادي أم النبي ε يقول: « رضي الله عنها، وإذا ذكر أباه قال: المعظم ».(439)

وقد جاء في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل سأله عن أبيه:

---

(437) ضوء الشمس 1 / 263.
(438) ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد 4 _ 5، ط: مصطفى أفندي 1307.
وانظر النجوم الزواهر 48 لأحمد الرجيبي الحسيني ط: دار الحرية بغداد سنة 1980.
(439) ضوء الشمس1 /112.

« أن أبي وأباك في النار».(440) وأما أمه فقد نهي عن الاستغفار لها. (441)

وقد هاجم الصيادي من نفى إيمان أبي طالب كما سبق وأشرت إليه، غير أنه نقض هذا الموقف فحكم ببعد أبي طالب عن الدين، مبينا أن نسبة قرابته لم تنفعه، قال: « إن نسبة الأبوة المعنوية أشرف من نسبة الأبوة الظاهرية، وهي التي جعلت بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي ψ من أهل البيت، وأبعد عنها أبو طالب ولم تنفعه نسبة العمومة. (442)

وأما أبو طالب فقد تواترت الأحاديث أنه في ضحضاح من نار ولولا النبي ε لكان في الدرك الأسفل منها. (443) وأنه لما مات قال علي τ للنبي ε: « إن عمك الضال قد مات».(444)

بيد أن أحد الرفاعية يزعم أنه لما مات أبو طالب رثاه علي كرم الله وجهه بهذه الأبيات (445) :

أبا طالب عصمة المستجير	**وغيث المحول ونور الظلم**
لقد هد فقدك أهل الحفاظ	**فصلى عليك ولي النعم**
ولقاك ربك رضوانه	**فقد كنت للظهر من خير عم**

فلم يجعلوه مؤمنا فحسب وإنما جعلوه من خيرة من يستجار به.

---

(440) أخرجه مسلم رقم (347) وأبو عوانة في مسنده 1 / 99.
(441) أخرجه مسلم رقم (976) والحاكم 1 / 375 ووافقه الذهبي.
(442) قلادة الجواهر 295.
(443) أخرجه البخاري 149/7 في فضائل أصحاب النبي ε، باب قصة أبي طالب، ومسلم رقم (210).
(444) أخرجه البخاري.
(445) النجوم الزواهر 136.

وكذلك الشيعة صنفوا العديد من الرسائل في ايمان أبي طالب مثل رسالة « مؤمن أهل البيت للخنيزي»، ورسالة للشيخ المفيد سماها « إيمان أبي طالب » ورسالة للحر العاملي سماها « شيخ الأبطح » قال فيها: « إن الشيعة الإمامية وأكثر الزيدية يقولون بإسلام أبي طالب وأنه ستر ذلك عن قريش لمصلحة الإسلام».[446]

(446) الأعلام للزركلي 4 / 166.

العلم الباطن بين الرفاعية والباطنية

دأب الباطنية على إثبات وجود علم باطن لم يبلغه النبي ε إلى الناس وإنما أسره إلى خاصته. وأخص خاصته هو علي τ الذي أخذ هذا العلم عنه ε، ثم تلقاه عنه أبناؤه من بعده. وبقي عند الإمام المعصوم الذي يؤتى من لدنه التأويل.

وقد وصفوا الإمام علي بأنه « باب مدينة العلم » و « وصي النبي وسره ».

ولقد اعتبر أهل السنة والحديث أن من وافق الشيعة في هذا الادعاء ألحق بهم واستحق وصفه بالتشيع ونهوا عن أخذ الحديث منه.

قال النووي رحمه الله: « قال القاضي: ولما عرف عن الحارث (أحد الرواة) قبح مذهبه وغلوه في مذهب الشيعة ودعواهم الوصية إلى علي τ وسر النبي ε إليه من الوحي وعلم الغيب ما لم يطلع غيره عليه: سيء الظن في الحارث (أي تركوا روايته لذلك).[447]

فهذه الألقاب التي اعتبرها القاضي غلوا في التشيع نجدها عند الصوفية عامة وعند الرفاعية بوجه خاص.

فالإمام علي عند الرفاعية « باب مدينة العلوم» [448] و«سر باب النبي ε

(447) شرح النووي على مسلم 1 / 99 .

(448) قلادة الجواهر 19 .

».[449]

وقد وافقوا الباطنية في قولهم بالعلم الباطن فقال الواسطي من الرفاعية:

««وقد صح أن سلمان تلقى علم الباطن عن أمير المؤمنين علي، وهو « أخذه » عن ابن عمه ε »[450]

ويعرف عندهم أيضاً بـ «العلم المكتوم » كما وصفه الغزالي [451] أو « العلم اللدني » الذي يزعمون أخذه عن الخضر مباشرة، مثلما يدعي الباطنية أنهم أخذوه عن المهدي المعصوم صاحب الزمان والسرداب مباشرة أيضاً.

وصار هذا العلم عند الصوفية علما آخر غير العلم اللدني الشرعي الذي أوتيناه من لدن نبينا والذي أوتيه هو من لدن ربه. وصارت له أحكام وفتاوى تختلف عن الأحكام المتعلقة بالعلم الشرعي حتى انك لتجدهم يقولون في ترجمة سيرة شيخ من مشايخهم: « درس الشيخ الفلاني وأفتى في علمي الظاهر والباطن . [452]

وقد جعلوا البوح بهذا العلم كفرا وأوجبوا كتمه، وهو عين قول الشيعة الباطنية الذين يقولون: « إن هذا العلم مكنون فاكتموه إلا من أهله».[453]

* نماذج من التفسير الباطني عند الرفاعية

ولا يكاد يستثنى التصوف قديما ولا حديثا من الإقرار بهذا العلم الباطن. وتحت

(449) المعارف المحمدية 30 .
(450) ترياق المحبين 7 ط: المطبعة البهية المصرية 1304 هـ .
(451) ميزان العمل 111 لأبي حامد الغزالي ط: دار الكتب العلمية.
(452) جامع كرامات الأولياء 189/1 للنبهاني .
(453) لطائف المنن للشعراني 489. وانظر في المقابل كتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي الشيعي 4 / 414 ـ 415 باب أحوال الأنبياء والأوصياء.

هذا العلم الباطن مسخوا معاني الآيات والأحاديث وحرفوها إلى معان أخرى مثلما فعلت الباطنية القرامطة والإسماعيلية والشيعة .

ثم صار للكلام معنى غير ما يدل عليه اللفظ، وصار لهم في كلام الله تفسير غير المأثور عن الصحابة وأهل التفسير، مثال ذلك :

روى الصيادي أن فقيها جاء إلى الشيخ علي بن عثمان الرفاعي وقال له: فسر لي قوله تعالى: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة).

فقال له علي: تريد تفسيرنا أو تفسيركم ؟

قال الفقيه: وهل هناك فرق بين تفسيرنا وتفسيركم ؟

قال: نعم .

قال: ما تفسيركم ؟

قال: الملك هو الله عز وجل، والقرية قلبك. [454]

والجنيد من الصوفية يفسر قوله تعالى: {①⌖②💻 ⑤☺☼☙✡⑧⇧☺ ⑤✍⇧②☺✞➮✡⌫✡☙✗✗}، أي لا أحب من يغيب عن عياني وعن قلبي » [455]. ويفسر قوله تعالى: « والذي يميتني ـ أي بالغفلة ـ ثم يحييني ـ أي بالذكر ». [456]

وفسر ابن عربي « النبأ العظيم » أي هو أمير المؤمنين علي υ. [457]

(454) قلادة الجواهر 325 ـ 326 .
(455) حلية الأولياء لأبي نعيم 10 / 265، كتاب «ضوء الشمس في قوله ε بني الإسلام على خمس» 71/1 للصيادي. طبعه عبد الحكيم عبدالباسط. مجهول مكان الطبع .
(456) ضوء الشمس 1 /71 .
(457) تفسير ابن عربي 2 / 755 ط: دار الأندلس ـ بيروت .

ومع أنهم رووا عن الشيخ أحمد الرفاعي إدانته لفكرة مخالفة الباطن للظاهر كقوله: كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة .. الشيخ ظاهره الشرع وباطنه الشرع، لوث هذه الخرقة كذاب وقال: الباطن غير الظاهر.[458]

إلا أنهم رووا له ما يناقض ذلك. فمن ذلك قوله: وقيل « اخلع نعليك » أي اخلع عن قلبك أهلك وولدك وكل ما سوى الله.[459]

قال الرفاعي: « لما أتى موسى الجبل نودي يا موسى اخلع نعليك: أي نفسك وزوجتك أنك بالواد المقدس عن رؤية الزوجة والنفس ».

ولهذا كان يقول الرفاعي لتلاميذه: «إذا دخلتم المسجد فاخلعوا نعال الغيرية».[460]

* الخلوة المحرمية في عاشوراء

ومن مراسم الطريقة المتوافقة مع مبدأ التشيع: تلك الخلوة المحرمية عند الرفاعية والتي تدوم سبعة أيام ابتداء من يوم عاشوراء يعتكفون فيها ويمتنعون عن النساء ولا يأكلون خلالها ذي روح وإنما يقتصرون على اللوز والسكر وأمثاله.[461]

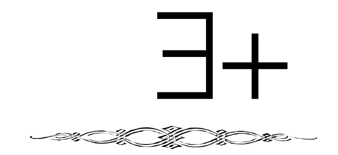
قال الدكتور الشيبي في كتابه: « الصلة بين التصوف والتشيع »

« فالخلوة المحرمية تعني أن على الرفاعي أن يعتكف سبعة أيام أولها الحادي من شهر محرم فإن «عاشوراء» هو اليوم الثاني لقتل الحسين كما تفعل الشيعة على صورة فيها من المبالغة في الحزن، لكن تقادم العهد أنسى أصحاب الطريقة دلالات

(458) الكليات الأحمدية 114، حكم الرفاعي 9 ، 11، وانظر البرهان المؤيد 53 ، 53 .
(459) حالة أهل الحقيقة مع الله 126 .
(460) البرهان المؤيد 78 .
(461) تطبيق حكم الطريقة العلية على الأحكام الشرعية 318 للصيادي .

مراسمها فلم يلتفتوا إلى الممرات السرية التي تصلهم بالتشيع »[462]

(462) الصلة بين التصوف والتشيع 448 ط: دار المعارف مصر. وانظر كتاب الطرق الصوفية 104 ـ 105 لعامر النجار ط: الأنجلو مصر.



الدولة الرفاعية ونفوذها على شيعة العراق

لقد كان الرفاعيون يتحدثون من وقت لآخر عن دولتهم ضمن الدولة العباسية وينقلون عن الرفاعي بعض الإشارات عن هذه الدولة التي ذكر فيها أنها من جملة البشائر التي بشره بها فقال: « إن رسول الله ع فتح باب الإرشاد وسلمه إلى » .. « واليوم ظهور دولة الرفاعية وطريقتها المرتضوية العلوية ».[463]

ومن المثير للعجب أن تكون لعائلة الرفاعي نقابة الشيعة ببغداد، فقد كانت لهم دولة نافذة تصل إلى حد حاجة الخليفة القائم بالله إليها آنذاك للحد من وقوع الفتن بين السنة والشيعة آنذاك، ولقد حدا ذلك بالخليفة إلى إعطاء جد الرفاعي منصب نقابة الطالبيين ـ الشيعة ـ في البصرة خصيصا لدفع تلك الفتن .

ومما جاء في نص هذا التنصيب :

« من عبد الله القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى العبد الصالح بركة الإسلام والمسلمين، قرة عين العترة الفاطمية يحيى بن ثابت .. اعلم أن توقيعنا هذا وثيقة « إمامية » بيدك، تعهد إليك منا بالنقابة على الطالبيين بالبصرة وواسط والبطائح وما يليها من أعمال، تأمر فيهم وأمرك النافذ المطاع، وكل ما يرفع منك للمقام الإمامي في

(463) النجم الساعي 73 .

شؤونهم ».[464]

وهذا النص يؤكد أن عائلة الرفاعي كانت لهم الكلمة النافذة على الشيعة والصلة الخاصة بهم والمنزلة الرفيعة عندهم، إذ ما معنى عجز الخليفة عن احتوائهم واضطراره إلى توسيط جد الرفاعي ؟ !!

ويؤكد ذلك ما قاله الصيادي من أن هذه الدولة آلت إلى الضعف بعد موت الشيخ أحمد هذه الدولة التي كانت امتدادا لدولة الأئمة الإثنى عشرية على حد تعبير الصيادي، فإنه قال: «ولم تقم دولة لولي من المسلمين بعد الصحابة وأئمة الآل الإثنى عشر كما قامت للشيخ الرفاعي».[465]

ويشير الوتري أيضاً إلى هذه الولاية التي كانت قبيلة بني رفاعة تتمتع بها فذكر إجماع خلفاء العباسيين على تفويض ولاية منطقة واسط لهم. وأنهم كانوا يتوارثون الولاية القلبية ويرسل الخليفة إليهم تفويضا بذلك.

ومن هنا نجد أئمة الرفاعية يلقبون عند تعيينهم من قبل الخلفاء بألقاب معينة مثل:

لقب « ممهد الدولة » للسيد عبد الرحيم .

ولقب « نظام الدولة » للسيد إبراهيم الأعزب (ابن أخت الشيخ) .

ولقب « مهذب الدولة » للسيد علي بن عثمان خليفة الرفاعي المباشر.

ولقب « عز الدولة » للسيد عبد الرحمن أو عبدالمحسن بن عبد الرحيم .

ولقب « شرف الدولة » للسيد علي بن عبد الرحيم .

(464) روضة الناظرين 23، وانظر ترياق المحبين للواسطي 8 ، 12 .

(465) الكنز المطلسم 26 .

ولقب « حسام الدولة » للسيد نجم الدين بن أحمد.[466]

وبقي الأمر كذلك حتى عزل الخليفة المستعصم بأمر الله هذا الأخير نجم الدين عن ولاية واسط فأذهب الله ملكه على حد قولهم. وهذه الدلة المزعزمة لا سند تاريخيا يثبتها فان أحدا لم يسمع بهذه الدولة ولا برؤسائها .

وقد جعل الوتري دولة المهدي المنتظر الحجة خاتمة الدولة الرفاعية، فذكر أن الدولة البضعية الباطنية الرفاعية بدأت عنده بـ: « السيدة العذراء البتول فاطمة أم السبطين الشهيدين سلام الله عليها»، وقام نيابة عنها بعد ذلك زوجها علي بطالعة «علي مني بمنزلة هارون » فادرع بدرع الخلافة البضعية وكالة عنها حتى لقي الله، ثم أدرع بمرطها النوراني السبطان الشهيدان الإمامان الحسن والحسين سلام الله وتحياته عليهما ودارت هذه النوبة الجامعة المحمدية في الأسباط الطاهرين سبطا بعد سبط إلى أن صينت في مقام الكنزية المضمرة إلى ولي الله المهدي الخلف الصالح سلام الله عليه ».[467]

وهذا نص صريح في اعتبار دولة الإمامة لأهل البيت وانتهائها بمهدي الشيعة، من غير أن يذكروا ابتداء هذه الدولة بالخلفاء الراشدين الثلاثة، وهو قول يفرح الشيعة به كثيرا إذ هو عين ما يرونه ويعتقدونه.

وتجدر الإشارة إلى أن مشيخة الطريقة تعتبر لدى الرفاعية نيابة عن النبوة وذلك على غرار ما تعتقده الشيعة في أئمتها.

فالشيخ الرفاعي بلغ قمة المقامات وهي مرتبة النيابة عن النبوة.

(466) روضة الناظرين 83 .
(467) روضة الناظرين 72 ـ 73 .

والشيخ منصور «نائب النبوة» كما قال الرفاعي [468] وهو شبيه بقول الشيعة أن أئمتهم نواب النبوة .

هذه النيابة التي يذكرها الرفاعية عن شيخهم لم تكن لتعني عندهم وراثة علم النبوة، وإنما كانت تعني دولة تستأثر بالعامة وتطبع فيهم تبعيتها، وتترك فيهم آثار الفاطمية الباطنية التي كان وراءها الفاطميون، من تقديس أئمتهم وتتبع آثارهم والتبرك بقبورهم .

* علي وزوجته وبنوه عند الرفاعية

وتحمل كتب الرفاعية في طياتها أفكاراً غريبة في علي وبنيه ψ شبيهة بما نجده عند الشيعة من غرائب الأقوال وعجائبها

وذكر الرفاعية أن اسم علي مشتق من « العلو » وسبب هذه التسمية أن أمه كانت إذا دخلت على « هبل » لتسجد له وهي حامل به علا بطنها فيتقوس فيمنعها من السجود. فسمي عليا.

قالوا: ومن أسمائه « يعسوب المؤمنين » واليعسوب أمير النحل. وهذا اللقب تلقبه به النصيرية دائماً. وسبب هذه التسمية عند الرفاعية أن عليا τ يقف على باب الجنة فيشم أفواه الناس، فمن وجد منه رائحة بغضه ألقاه في النار.[469]

* تفضيل علي على سائر الصحابة

ويبدي الصيادي من وقت لآخر نفثات التشيع، ويظهر بوضوح بشخصيته الشيعية واتجاهه وميله إلى أصول الباطنية، وذلك في كتابه « ضوء الشمس ».

(468) المعارف المحمدية 60، وانظر روضة الناظرين 20 للوتري، القواعد المرعية 18 .
(469) النجوم الزواهر 129 .

هذا الكتاب الذي قرظه جماعة من علماء الشام الذين إن أحسنا الظن بهم قلنا أنهم قرظوه من غير تفحص دقيق وهم :

ـ الشيخ محمد حسن حبنكة الميداني.

ـ الشيخ ملا رمضان.

ـ الشيخ عبد الرزاق الحفار.

ـ الشيخ حسن خطاب.

فإن مما جاء في هذا الكتاب عبارة تصرح بتفضيل علي τ على أبي بكر وعمر.

فقد قال الصيادي فيه: « وقال أبو بكر بن عياش: لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي في حاجة لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرباه من رسول الله ε ».[470]

قالوا: «ولعلي τ ميزة على سائر الصحابة وهو أنه لم يسجد لصنم قط».[471] وهذا قول الروافض أيضاً، ويريدون بذلك تفضيله على الصحابة، مع أن أبا بكر لم يفعل ذلك أيضاً. بل إن كل أبناء الصحابة لم يسجدوا لصنم قط فهل يكونون بذلك أفضل من آبائهم ؟

قالوا: « ولما ضربه ابن ملجم بالسيف وكان يحتضر دخل اوز إلى داخل الدار فجعل الخدم يطردهن فقال الإمام علي: دعوهن فإنهن نوائح ».[472]

ولقد قال غلاة الصوفية فيه مقولة النصارى في عيسى بن مريم، فزعم السيد

---

(470) ضوء الشمس 1 / 254 ـ 255 .

(471) النجوم الزواهر 128 ـ 129.

(472) النجوم الزواهر 131 .

محمد وفا [473] ـ من كبار الرفاعية ـ أن الله رفع علي بن أبي طالب كما رفع عيسى بن مريم υ. قال الشعراني معلقا على قوله :

« وبذلك قال سيدي علي الخواص رضي الله عنه، فسمعته يقول: إن نوحاً υ أبقى من السفينة لوحاً على اسم علي بن أبي طالب يرفع عليه إلى السماء فلم يزل محفوظاً في صيانة القدرة حتى رفع علي بن أبي طالب ».[474]

وذكر الصيادي الرفاعي أن جبريل أعطى النبي ε تفاحة من الجنة وقال: يا محمد كل هذه التفاحة فان الله تعالى يخلق منها بنتا فحملت خديجة ﵂ بفاطمة وبقيت تشم رائحة الجنة طيلة حملها بها. ولما وضعتها انتقلت الرائحة إلى فاطمة، فكان النبي إذا اشتاق إلى الجنة قبل فاطمة ».[475]

وذكر غيره من الرفاعية أن فاطمة ﵂ لما ولدت الحسن جاءت به إلى النبي ε في خرقة من حرير الجنة كان جبريل نزل بها إليه. وأنها كانت إذا ولدت طهرت من نفاسها بعد ساعة. [476]

وكذبوا على معاوية فزعموا أنه هو الذي دس السم للحسن فقتله وأنه عاهده عهودا ثم نقضها وقال: « إني منيت الحسن وأعطيته أشياء جعلتها تحت قدمي ولا أفي له بشيء منها ».[477]

---

(473) يحكون عن أبي الوفا هذا أن النبي ε سيأخذ بيده يوم القيامة ويباهي به الأنبياء ويقول لهم: « هل في أممكم مثل هذا ». عن قلادة الجواهر 198 .

(474) طبقات الصوفية للشعراني 2 / 43 .

(475) ضوء الشمس 250/1 .

(476) النجوم الزواهر 125، 137 .

(477) النجوم الزواهر 126 ـ 127 .

%+

الـخرقــة الصوفية وصلتـها بالتشيــع

ويعتقد الصوفية أن النبي ε ألبس علي بن أبي طالب الخرقة وهي لباس يرمز إلى أخذ السر (العلم الباطن) عنه وأن عليا ألبسها الخاصة ممن أخذوا هذا العلم الباطن عنه وهكذا ..

يقول ابن خلدون: « فشاركوا ـ يعني الصوفية ـ الإمامية والرافضة حيث جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة أن عليا ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريق .. وهذا لا يعلم عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه، بل الصحابة كلهم أسوة في طريق الهدى.

أضاف :

«وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها من القوم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه ».[478]

وهذه الخرقة جعل الصيادي فيها سندا من الشيخ أحمد الرفاعي إلى الحسن البصري قال: «وهو أخذها من علي بن أبي طالب زوج البتول وابن عم المصطفى الذي ألبسه إياها».[479]

(478) مقدمة ابن خلدون 323، وانظر 472 ـ 473 .
(479) قلادة الجواهر 274 .

قال هذا مع اعترافه في موضع آخر بأن « كثيراً من كبار الحفاظ والمحدثين كابن حجر والقسطلاني والسخاوي وبدر الدين العيني والذهبي ومغلطاي والعراقي والعلائي: كل هؤلاء أنكروا نسبة الخرقة واتصال سندها المزعوم وصرحوا أنه لم يرد في ذلك في خبر صحيح ولا ضعيف، منكرين سماع الحسن البصري عن الإمام علي بن أبي طالب ».[480]

ونقل الحافظ ابن حجر عن الترمذي قوله: « لا يعرف للحسن سماع من علي ».[481]

وقد ذكروا أن الحسن لم يدرك عليا، فانه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر τ[482].

وكان الحسن صغيرا بالبصرة حين كان علي بالكوفة. وإنما أخذ الحسن الحديث عمن أخذ عن علي τ كالأحنف بن قيس، وقيس بن عباد.

غير أن أهل البدع كالقدرية والجهمية والصوفية عكفوا على إلصاق شيء من بدعهم ونسبتها إلى الحسن قال الذهبي: «وهو براء من كل ذلك ». [483]

ويتساءل المسلم المحب لأصحاب رسول الله ε: لماذا يختص الحسن البصري ومعروف الكرخي والجنيد والبسطامي عن الصحابة بلباس الخرقة ويحرم منها أبو بكر وعمر؟ هل التابعون أعظم شأنا عند الله من صحابة رسوله بل أقول لماذا حرم الصحابة منها وأعطيت لصبي من آل الرفاعي وهو عز الدين الصياد[484] ألبسوه الخرقة وهو ابن أربع سنين؟ هل هو أفضل منهم؟

(480) تطبيق حكم الطريقة العلية 278 ـ 279، وانظر قلادة الجواهر 217 ـ 218 .
(481) تهذيب التهذيب 2 / 268.
(482) تهذيب التهذيب 2 / 264.
(483) أنظر سير أعلام النبلاء 4 / 582 ـ 583 .
(484) روضة الناظرين 144 .

وتجدر الإشارة إلى أن الصيادي ذكر عن الشاذلي كلاما يخالف شعيرة الصوفية في لبس الخرقة حيث قال: « وكان الشيخ الشاذلي قدس الله سره يقول لأصحابه كلوا من أطيب الطعام واشربوا من ألذ الشراب، وناموا على أوطأ الفراش، والبسوا ألين الثياب وأكثروا من ذكر ربكم، فان أحدكم إذا فعل ذلك وقال الحمد لله رب العالمين يستجيب كل عضو فيه الشكر .. وكان يقول: طريقنا إظهار النعمة في الملبوس دون التقشف لما فيه من عدم انشراح النفس به، فثياب أحدنا كثياب الأغنياء، وقلبه قلب فقير ».[485]

وأصل هذه الخرقة نصراني، فقد رأى أبو العالية (أحد كبار التابعين) رجلا عليه خرقة من الصوف فقال له « إنما هذه ثياب الرهبان ».[486]

ويخبرنا الجاحظ أن النصراني إذا أراد أن يتنسك يلبس الصوف.[487]

* السجادة الرفاعية :

ويشبه الخرقة ما يذكره الرفاعية عن السجادة التي اشتهر إطلاقها على الأئمة من أهل البيت عند الشيعة، مثل تسميتهم لزين العابدين وغيره بالسجاد. وصارت السجادة تتسمى باسم الفرقة التي تنتحلها مثل السجادة الرفاعية والسجادة التيجانية وغير ذلك .

قال الصيادي: « ومما اصطلح عليه السادة الرفاعية: اتخاذ السجادة. وأصل ذلك ما روي عن السيدة عائشة أنها قالت: كنت أجعل لرسول الله ε حصيراً يصلي عليها من الليل ».[488]

(485) قلادة الجواهر 290 .
(486) تلبيس إبليس 196.
(487) كتاب الحيوان 103/1.
(488) تطبيق حكم الطريقة العلية 320 .

الخاتمة

وفي هذه الخاتمة أحمد الله تعالى على توفيقه لإنجاز هذا البحث وإنهائه.

وأود أن تشتمل على بعض النتائج العامة فيه وهي:

1ـ أن المتأمل لمبادئ الطريقة لا يجد فيها حقيقة التوحيد الذي جاء به نبينا ε فان الاستغاثة بغير الله لكشف الضر وجلب النفع هو شرك يضاد ما جاء به الأنبياء.

2ـ أن الطريقة الرفاعية تصنف مع فرق الغلاة لأنها غلت في شيخها ومشايخها وتجاوزت بهم حدود المشروع والمعقول، ومن أبرز صور هذا الغلو جعلهم السموات والأرض في رجل شيخهم كالخلخال. وادعائهم أنه صار صفة من صفات الله، وأنه يحيي الموتى بكلمة كن.

3ـ أن الطريقة الرفاعية لا يمكنها تعريف الناس بشخصية الشيخ أحمد الرفاعي على حقيقتها لما تضمن كلامها فيه من تناقضات كثيرة.

4ـ أن الكرامات المنسوبة إلى الرفاعي وغيره من المشايخ (كالتصرف في الأكوان والإحياء والإماتة وتأخير الآجال المكتوبة ونقل المرض من رجل لآخر وتغيير المكتوب في اللوح المحفظ) لا تليق به ولا بهم.

5ـ أن الفصل الذي عقدته في بيان أوجه التلاقي بين الرفاعية والتشيع أظهر اتفاق الفريقين على كثير من الأمور المخالفة بالضرورة لمذهب أهل السنة مثل موافقتهم لهم في الإمام المهتدي صاحب السرداب وتعظيم كتاب الجفر، وتقديس الأئمة وعبادة قبورهم باتخاذها بابا لجلب كل محبوب ودفع كل

مكروه حسب تعبير الصيادي.

6ـ أن للرفاعية شعائر وأحزاب وأوراد مستحدثة في صيغها وهيئتها وتحديد عدد تكرارها، ومما يزيد من بدعيتها أنهم جعلوا لها خواصا معينة: فخاصية هذا الورد القضاء على العدو وخاصية ذاك نيل كل مطلوب، وخاصية الورد الفلاني تعطيف قلب النبي ع.

* لـماذا هذا الكتاب ؟

قد يقول قائل: ما جدوى كتابة هذه السلسلة في وقت تحتاج فيه الأمة إلى جمع الكلمة ونبذ الخلاف؟

أجيب عن ذلك ببيان الأسباب التالية :

1ـ إن هذا الكتاب إنما كتب طاعة لله في أداء الشهادة وتبيين السنة إذا ما ظهرت البدع والمحدثات وظنها الناس هي السنة.

2ـ إن هذا الكتاب إنما جاء ليكون نهيا للرفاعية وغيرهم عن منكرات الشرك والاستغاثة بغير الله، ولردعهم عما يعلمون الناس من أصناف البدع، ولقد حذرنا رسول الله أننا إن لم ننته عن المنكر ونأخذ على يد الظالم فإن الله يوشك أن يضرب قلوبنا بقلوب بعض. وإذا كان الله يضرب قلوبنا ببعض لمجرد منكرات الفسوق والمعاصي التي تظهر بيننا، فما بالك بمنكرات الشرك كالاستغاثة بغير الله وطاعة المشايخ في معصيته واستحداث البدع لهم؟ أليست هذه من أعظم الأسباب التي تضرب قلوبنا بقلوب بعض؟

3ـ أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لضرب القلوب ببعضها: فيكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب توحد الأمة وجمع شملها. والتخلص ممن يتسببون في أحداث الخلاف.

* كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة

3ـ أن توحيد الله أولى من توحيد الصفوف، ومنكرات الصوفية تتضمن خلاف توحيد الله فأيهما نقدم على الآخر: توحيد الله أم توحيد الصفوف؟ والحق الذي أؤمن به أن جمع الناس على توحيد الله ينتج عنه توحيد الناس. ولا يمكن جمع الأمة على خليط من اعتقادات التوحيد والشرك مهما اجتهد المصلحون. لأن الله هو الذي يؤلف القلوب وهو الذي يفرقها إن شاء كما قال: « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ». وكان ذلك بعد أن اجتمعوا على التوحيد الخالص والطاعة المطلقة ونبذ البدع والشرك التي هي من عوامل التفرق والتشرذم. إذن فتحقيق كلمة التوحيد شرط لتحقيق توحيد الكلمة.

3ـ أن الله لا ينصر الأمة وفيها أمثال هؤلاء، وكيف ينصرنا الله على الأعداء المشركين وعندنا نصيب من شركهم؟ إن مخالفات التصوف ممرضة للجسد الإسلامي تعيقه عن قيامه بوجه أعدائه، فإذا كان الجسد الإسلامي مريضاً فيجب مداواته قبل تكليفه بالقيام في وجوه أعدائه.

4ـ إن الذين ينهوننا عن إنكار منكرات التصوف والمحدثات والشرك إنما اخطأوا حين ظنوا أننا نحن الذين نفرق الوحدة والحق أن الذين يحدثون البدع والشرك هم العامل الرئيسي في تفرق الأمة فالواجب وضع حد لهم لا المنكرون عليهم.

5ـ أن أهل البدعة صاروا يعملون بين ظهراني المصلحين وعلى مرأى منهم، بلا ردع ولا إنكار عليهم، بل دخل البعض منهم إلى صفوف المصلحين. وهذا ينذر بوقوع اللعنة كما وقعت اللعنة على بني إسرائيل على لسان أنبيائهم

وضرب قلوبهم بقلوب بعض حين كانوا يجالسون أهل المنكر ويؤاكلوهم من غير إنكار للمنكر الذي كانوا عليه.

6ـ أن البدعة لا تعرف حدا تقف عنده، وإنما هي في تطور مستمر، فإن لم نعمل على إنكارها اليوم فسنجد أنفسنا غدا محاطين ببدع أعظم لن نقدر على ردعها وإنكارها.

7ـ أننا أمرنا بالتبليغ لنكون شهداء على الناس ويكون الرسول علينا شهيدا ونهينا عن كتمان الحق بأي وجه من الوجوه لأن كتمان الحق في عرف الشرع خيانة وهو خصلة من خصال بني إسرائيل، وان من العامة من يخدعون بالبدع والضلالات ولا يدركوا حقيقتها فمن يكون المسئول عنهم غدا أمام الله إلا المصلحون الذين يعلمون الحق ويكتمونه لمصلحة المسلمين وصونا لوحدتهم: «زعموا»؟!

ولئن كان لي من كلمة إلى القراء الأفاضل في ختام هذه الخاتمة فإني أوصي باتباع الكتاب السنة قولا وعملا، فإنهما وسيلة النجاة من فتن هذه السبل المضلة.

فعن عبد الله بن مسعود τ قال: « خط رسول الله ε خطاً، ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال :

هذا سبيل الله. وهذه السبل على سبيل كل منها شيطان يدعو إليه « ثم تلا قوله تعالى: { [illegible] }

(الأنعام 153). [489]

وقال رسول الله ε: « تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي ». [490]

وأن نعمل على إخلاص القول والعمل لله تعالى.

قال تعالى: { [illegible] } (الملك 2).

قال القاضي عياض « أفضل العمل أخلصه وأصوبه. قالوا ما معنى ذلك؟

قال: إن العمل إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل.

وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل أيضاً.

ولا يقبله الله إلا إذا كان خالصاً صواباً.

والخالص أن يبتغى به وجه الله تعالى.

والصواب أن يكون على السنة.

سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت. استغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(489) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (296) والحاكم 102/1 وصححه ووافقه الذهبي.

(490) إسناده حسن بمجموع طرقه. وقد رواه الحاكم 318/2 وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.